

أَوْعْظُ بِالْمَسِيحِ
مِنْ كُلِّ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

إِيمُونْدِ بِي. كِلَاوَنِي

الكتاب: الوَعظُ بِالْمَسِيحِ مِنْ كُلِّ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

المؤلف: إدْموند پي. كلاوني

ترجمة: فيولا يوسف

مراجعة ترجمة: مايكل حكيم

مراجعة لغة عربية: بيتر عادل

الناشر: الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للرابطة فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة نشر أو طبع بالرونو للكتاب أو أي جزء منه بدون إذن الناشر وللناشر وحده حق إعادة الطبع.

المحتوى

	تمهيد
٣	
٤	١ المسيح في كلِّ الكتاب المُقدَّس
٣٠	٢ تحضير عِظَة تُقدِّم المسيح
٤١	٣ المشاركة بِترحيب الآب (لوقا ١٥ : ١١-٣٢)
٤٩	٤ أنظرْ تكلفة الأمر (تكوين ٢٢ : ١-١٩)
٥٦	٥ عندما نزل اللهُ (تكوين ٢٨ : ١٠-٢٢)
٦١	٦ الانتصار الغريب للبطل (تكوين ٣٢)
٦٧	٧ هل يُمكن أن يكون اللهُ في وسطنا؟ (خروج ٣٤ : ١-٩)
٧٢	٨ تَقَابُلٌ مع القائد (يشوع ٥ : ١٣-١٥)
٧٦	٩ أدهشني التكريس (٢ صموئيل ٢٣ : ١٣-١٧)
٨٢	١٠ رَبُّ المِدْوَد
٨٨	١١ يسوع يَعِظُ بِالْحَرِيَّةِ (لوقا ٤ : ١٦-٢٢)
٩٣	١٢ صرخة المُخْلِصِ المتروكِ مِنَ اللهِ (مزمور ٢٢ : ١)
٩٧	١٣ نشيدنا الوطني (مزمور ٩٦ : ٣)
١٠٨	١٤ يسوع المسيح وضلال الإنسان
١١٩	١٥ الإيمان بالسَّمْعِ: رَبُّ الكلمة

تمهيد

يُدرِكُ قُرَاءُ الكِتَابِ المُقَدَّسِ وَمُعَلِّمُوهُ أَنَّ الكِتَابَ المُقَدَّسَ هُوَ كِتَابٌ قَصِصِيٌّ. نَصَحْتَنِي مُعَلِّمَةُ مَدَارِسِ الأَحَدِ فِي المَرِحَلَةِ الأَبْتَدَائِيَّةِ بِقِرَاءَةِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ، وَمِنذُ ذَلِكَ الحِينِ بَدَأْتُ فِي قِرَائَتِهِ. عِنْدَمَا مَرَرْتُ بِأَزْمَةٍ فِي مَرِحَلَةِ الجَامِعَةِ، عَلِمْتُ أَنَّ رَجَائِي الوَحِيدَ كَانَ أَنَّ أَقْرَأَ الكِتَابَ المُقَدَّسَ. لَقَدْ قَرَأْتَهُ، لَآ فِي شَكْلِ مَقْتَطَفَاتٍ قَصِيرَةٍ بَل سَاعَاتٍ وَأَيَّامٍ بِسَبَبِ اليَأْسِ وَالإِحْبَابِ. بَدَأْتُ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ، الأَصْحَاحِ الأَوَّلِ. وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى سَفَرِ يُونَانَ، تَوَقَّفْتُ عِنْدَ آيَةِ "لِلرَّبِّ الخَلَاصُ!" عِنْدَهَا أَدْرَكْتُ أَنَّ الكِتَابَ المُقَدَّسَ لَمْ يُقَدِّمِ سَرْدًا لِتَارِيخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، بَل لِتَارِيخِ مَعَامَلَاتِ اللَّهِ فِي خَلَاصِ شَعْبِهِ المُخْتَارِ. يَدُورُ الكِتَابُ المُقَدَّسُ كُلُّهُ حَوْلَ مَا عَمَلَهُ اللَّهُ. إِنْ الذِّي يَمْسُكُ العَالَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ لِيُخَلِّصَنَا. إِنْ الكِتَابُ المُقَدَّسُ هُوَ قِصَّةٌ عَنِ اللَّهِ الذِّي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ لِيُولِدَ مِنَ العَذْرَاءِ مَرِيْمَ، لِيَعِيشَ وَيَمُوتَ لِأَجْلِنَا، وَيَقُومَ مُنْتَصِرًا مِنَ القَبْرِ. لَمْ تَكُنِ القِصَّةُ بِشَأْنِ تَمَسُّكِ بِاللَّهِ الذِّي كَانَ مَصْدَرَ رَجَائِي، بَل بِشَأْنِ إِمْسَاكِ هَذَا الإِلَهِ بِي.

بَيْنَمَا اسْتَمَرَّيْتُ فِي دِرَاسَةِ وَتَعْلِيمِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ، كُنْتُ أَرَى بِشَكْلِ مُتَزَايِدٍ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ فِي العَهْدِ القَدِيمِ تَحَقَّقَ فِي العَهْدِ الجَدِيدِ. لَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا الوَعْدُ فِي مَجِيءِ اللَّهِ الابْنِ. يَشْهَدُ إنْجِيلُ يُوْحَنَّا عَنِ أَلُوْهِيَّةِ يَسُوعَ المَسِيحِ، الكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا. يَخْبِرُنَا يُوْحَنَّا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الشَّخْصُ الذِّي رَأَى إِشْعِيَاءَ النَّبِيَّ فِي رُؤْيَيْهِ لِلسَّيِّدِ الجَالِسِ عَلَى العَرْشِ بَيْنَ الكَرُوبِيمِ (يُوْحَنَّا ١٢ : ٤١).

عَرَّفَ المَلَاكُ الذِّي ظَهَرَ لِمُوسَى فِي العَلْيَقَةِ المَشْتَعَلَةِ فِي البَرِّيَّةِ نَفْسَهُ بِصِفَتِهِ اللَّهُ "الكَائِنُ." لَآ تُخْبِرُنَا الأَنَاجِيلُ الأَرْبَعَةَ وَحْدَهَا بِقِصَّةِ يَسُوعَ. تُخْبِرُنَا كَذَلِكَ أَسْفَارَ مُوسَى الخَمْسَةَ بِذَلِكَ، وَالتِّي اِحْتَوَتْ عَلَى وَعْدِ اللَّهِ بِالنَّبِيِّ الأَتِيِّ. كَذَلِكَ تَفْعَلُ بَاقِي أَسْفَارِ العَهْدِ القَدِيمِ. تَذَكَّرُ أَنَّ الرِّسُولَ بُولْسَ، فِي أَثْنَاءِ وَعْظِهِ فِي كُلِّ مَجْمَعٍ مِنَ المَجَامِعِ اليَهُودِيَّةِ مِنَ الكِتَابِ المُقَدَّسِ، كَانَ يَعْظُ مِنْ أَسْفَارِ العَهْدِ القَدِيمِ. قَدَّمَ بُولْسُ الشَّهَادَةَ الرِّسُولِيَّةَ عَنِ يَسُوعَ الذِّي تَحَقَّقَتْ فِيهِ كُلُّ أَسْفَارِ العَهْدِ القَدِيمِ.

إِنَّ الوَعَاظَ الذِّينَ يَتَجَاهَلُونَ تَارِيخَ الفَدَاءِ خِلالَ وَعْظِهِمْ، يَتَجَاهَلُونَ شَهَادَةَ الرُّوحِ القُدُسِ عَنِ يَسُوعَ فِي كُلِّ أَسْفَارِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ.

يَبْدَأُ هَذَا الكِتَابُ بِفَصْلَيْنِ، ثُمَّ يَضِيفُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ عِظَاتٍ تُظْهِرُ شَهَادَةَ العَهْدِ القَدِيمِ وَالجَدِيدِ المُوْحَدَةِ عَنِ المَسِيحِ. يَسْعَى الفَصْلُ الأَوَّلُ لِإِظْهَارِ كَيْفِ أَنَّ المَسِيحَ يُقَدِّمُ فِي كُلِّ العَهْدِ القَدِيمِ، فِي حِينِ يَسَاعِدُنَا الفَصْلُ الثَّانِي فِي مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ "تَحْضِيرِ عِظَةِ نُقُودِ المَسِيحِ." إِنْ العِظَاتُ التِّي تَلِي هَذَيْنِ الفَصْلَيْنِ، وَضِعْتُ كَأَمْثَلَةٍ تُوَضِّحُ كَيْفَ يُمَكِّنُ لِلنُّصُوصِ المُنْتَوَعَةِ، كُلِّ فِي قَرِينَتِهِ، أَنَّ نُقُودِ المَسِيحِ. إِنْ المَقَاطِعَ الكِتَابِيَّةَ الأُخْرَى التِّي يُلَمِّحُ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ العِظَاتِ، لَآ تُذَكِّرُ شَوَاهِدَهَا إِلاَّ إِذَا تَمَّ اقْتِبَاسُهَا. تُقَدِّمُ هَذِهِ العِظَاتُ بِاعْتِبَارِهَا رِسَائِلَ وَعِظِيَّةً، لَآ بِاعْتِبَارِهَا نِصُوصًا أَكَادِيمِيَّةً مِنْ أَجْلِ الدِّرَاسَةِ.

أَصْلِيَّ أَنْ يَنْتَشِجَّ قُرَاءُ هَذَا الكِتَابِ لِأَنَّ يَفْحِصُوا الكِتَابَ المُقَدَّسَ لِيَخْتَبِرُوا بِأَنْفُسِهِمْ بِهَجَّةٍ سَمَاعِ يَسُوعَ، بَيْنَمَا يُسَافِرُونَ مَعَهُ عَلَى طَرِيقِ عَمَواَسَ فِي صَبَاحِ يَوْمِ القِيَامَةِ.

- إِدْمُونْدُ پِي. كِلَاوْنِي

المسيح في كلِّ الكتاب المقدَّس

إنَّ الوعظ عن المسيح من العهد القديم يعني أننا لا نعظ عظام مثل التي تُقدَّم في المجمع اليهودي، لا بالأحرى عظام تأخذ في الاعتبار كلَّ أحداث الفداء، وتحقيقها في المسيح. أن يرى المرء النصَّ الكتابي في علاقته بالمسيح يعني رؤيته في سياقه الأكبر، أي سياق هدف الله في الإعلان. نحن لا نتجاهل الرسالة المحدَّدة للنصِّ، كذلك لن يكون من المفيد أن تُكتب خاتمة متعدِّدة الأغراض للعظة وتتمحور حول المسيح ووضع مُلصق عليها بأنها للاستخدام الأسبوعي.

يجب أن تعظ المسيح مثلما يُقدِّمه النصُّ الكتابي نفسه. وإذا كنت مُجربًا بأن تظنَّ أن معظم نصوص العهد القديم لا تُقدِّم المسيح، فتأمل كلاً من وحدة النصِّ الكتابيِّ وكمال المسيح. فإن المسيح موجودٌ ومُقدَّم في الكتاب المقدَّس بصفته الرَّبِّ وكذلك بصفته العبد.

المسيح ربُّ العهد

يستخدم العهدُ الجديد اللفظَ اليونانيَّ كيرْيوس (*kurios*) الذي يعني "السيدُّ أو الرَّبُّ" في الإشارة إلى المسيح (مثل، عبرانيين ١: ١٠، ١ بطرس ٣: ١٥). إن هذا المصطلح اليونانيَّ، والمستخدم في التَّرجمة السبعينيَّة للعهد القديم لترجمة كلمة "يهوه"، أصبح اللقب المختصر للرَّبِّ يسوع المسيح. يستخدم العهد القديم والعهد الجديد مصطلح "الرَّبِّ" للتفرقة ما بين "الله الآب وربِّنا يسوع المسيح"، مثلما في اقتباس بطرس من مزمو ٢ في أعمال الرسل ٤: ٢٦:

"قَامَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ،

وَاجْتَمَعَ الرَّؤَسَاءُ مَعًا

عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ."

تُشير معظم ألقاب الله في العهد القديم إلى الإله الحيِّ دون أيِّ تمييز بين الأقانيم الثلاثة. لكنَّ الأَقنوم الثاني يظهر بصفته "الرَّبِّ" في كثيرٍ من النصوص. ويُرينا إنجيل يوحنا ذلك عندما اقتبس من إشعياء ٦: ١٠ ثمَّ أضاف: "قَالَ إِشْعِيَاءُ هَذَا جِبْنَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ" (يوحنا ١٢: ٤١). بما إنَّ هذا الاقتباس هو من رؤيا إشعياء لمجد الله في هيكله، إذاً من الواضح أن يوحنا يرى هذا المجد للسيدِّ المُتَّوِّج بصفته مجد المسيح، الكلمة (اللوغوس).

قام بولس بنفس الأمر في أفسس ٤: ٨ عندما اقتبس من مزمو ٦٨: ١٨، مُستخدماً كلمات عن تمجيد الرب في حديثه عن صعود المسيح:

إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلَاءِ

سَبَى سَبِيًّا

وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا.

إن الإله الحيّ المُعلن في العهد القديم هو الله المثلث الأقانيم. من المؤكّد أنّ التجسّد سلّط الضوء على تعاليم العهد القديم التي كانت لا تزال ظلالاً. مع ذلك، أُعلنت ظهورات ملاك الربّ عن سرّ الشخص الذي يستطيع أن يكون مُتميّزاً عن الله وفي الوقت مُتحدداً به. عندما تقابل رئيس جُند الربّ مُمسكاً بسيفه المسلول مع يشوع أمام أريحا، أخبر يشوع بأن يخلع نعليه، لأنّه واقف على أرضٍ مقدّسة. أعلن رئيس جُند الربّ عن نفسه ليشوع أنّه هو الله (يشوع ٥: ١٣-٦: ٥). أعطى الربّ الإله التحذير نفسه عندما تحدّث لموسى من العليقة المشتعلة. تحدّث ملاك الربّ لموسى من العليقة المشتعلة، لكنّه عرّف نفسه بأنّه الكائن، إله الآباء. يُعتبر هذا نمط راسخ ومتكرّر في الظهورات الإلهية في العهد القديم. في الواقع، كان الملاك هو الله الابن، الربّ. كان هو ملاك حَضرة الله الذي تكلم مع إبراهيم (تكوين ١٨: ١، ٢، ٢٢، ٢٣)، والذي تصارع مع يعقوب (تكوين ٣٢)، والذي أرسله الله أمام إسرائيل (خروج ٢٣: ٢٠)، والذي كان يتوق موسى أن يعرفه (خروج ٣٣: ١٢، ١٣)، والذي ظهر لمنوح ليُعلن عن ميلاد شمشون (قضاة ١٣). تحدّث الملاك بصفته الربّ، حاملاً اسم الله، ومُعلنًا عن مجد الله (خروج ٢٣: ٢١). عندما لمَح يعقوب وجهه في الفجر الباكر، قال إنّهُ رأى وجه الله (تكوين ٣٢: ٢٠).

جادل أنتوني ت. هانسون (Anthony T. Hanson) بأنّ "التصريح المركزي [لِكُتَاب العهد الجديد] هو أنّ يسوع الموجود منذ الأزل كان بالفعل حاضرًا في الكثير من تاريخ العهد القديم، ولذلك فإنّ المسألة ليست بخصوص تتبّع أمثلة (types) العهد القديم في أحداث العهد الجديد، بل بالأحرى تتبّع عمل يسوع الواحد في كلّ من العهدين القديم والجديد.^١

لتدعيم اقتراحه، فَحصّ إشارات من رسائل بوسل الرسول، ورسالة العبرانيين، وعظة استفانوس في سفر أعمال الرسل، وإنجيل يوحنا، والرسائل الجامعة. فَحصّ هانسون سرد بولس في ١ كورنثوس ١٠: ١-١١ عن خبرات شعب إسرائيل تحت قيادة موسى. استند بعدها هانسون إلى التّرجمة اليونانية للعهد القديم، أي الترجمة السبعينية، لينظر في استخدام اللفظ اليونانيّ كيرْيوس (Kurios) في خروج ١٤. تمّ استخدام لفظ (Kurios) "رب" أو (ho kurios) "الرّب" عبر الأصحاح، بينما تُستخدَم الكلمة اليونانية ثيوس (theos) أي

^١ Anthony Tyrrell Hanson, Jesus Christ in the Old Testament (London: SPCK, ١٩٦٥), ١٧٢.

"الله" فقط في الآيات ١٩ و ٣١. وجد هانسون أنّ هذه الآيات تدعم تمييز بولس بين الله والمسيح الربّ في هذا الأصحاح. يرى هانسون أنّ بولس قرأ كلمة "المسيح" أينما ظهرَ لفظ "كيريوس" في الترجمة السبعينية. إن المسيح هو الربّ الذي خَلَصَ وأخرج شعب إسرائيل من أرض مصر. بصفته ملاك الربّ في عمود السحاب، قاد الربّ وحمى شعب إسرائيل في حادثة الخروج. قادهم بحضوره أمامهم، ثمّ رجع خلفهم وبقي هناك طول الليل. هكذا أخفاهم عن مطاردة المصريين:

"وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْفِعْلَ الْعَظِيمَ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ "كِيرْيُوسَ" بِالْمِصْرِيِّينَ،

فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ "كِيرْيُوسَ" وَأَمْنُوا بِالرَّبِّ وَبِعَبْدِهِ مُوسَى". (خروج ١٤ : ٣١)

إن السحابة التي يتحدّث عنها بولس في (١ كورنثوس ١٠ : ١) هي عمود السحاب المذكور في حادثة الخروج في (خروج ١٤)، لكن من المثير للاهتمام أنّ في الترجمة السبعينية لخروج ١٣ : ١٢، الله (ثيوس) هو الذي "يسير أمام الشعب، نهاراً في عمود سحاب، ليَهْدِيَهُمْ في الطريق، وليلاً في عمود نار".^٢ (في النص العبري، اسم الله المستخدم في النص هو "يهوه").

بالتشديد على حقيقة أنّ بولس كان يُفكّر في "المسيح" عندما كان يقرأ لفظ "كيريوس" في حادثة الخروج، يُفسّر هانسون بهذه الطريقة نص ١ كورنثوس ١٠ : ٩: "وَلَا نُجْرِبُ الْمَسِيحَ كَمَا جَرَّبَ أَيْضًا أَنْاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكْتَهُمُ الْحَيَاتُ". يرى هانسون أنّ بولس الرسول ببساطة أشار إلى المسيح الربّ بصفته الربّ الذي قاد شعب إسرائيل في البرية.

في كورنثوس الأولى ١٠ : ٩، يُمكن أن تُفضّل القراءة "كريستون" (مع أهمية شهادة برديّة تشيستري بيتي) على قراءة "كيريون" (النسخة السينائية، والفاتيكانية). في كلتا القراءتين، يبدو أنّ هانسون مُحق في تصريحه بأنّ بولس الرسول ينظر إلى المسيح بصفته الربّ الذي أخرج إسرائيل من أرض مصر، وقادهم بواسطة حضوره الظاهر في الملاك.

يُشير هانسون إلى تعليقٍ مهمّ كتبه سي. إتش. دود (C.H.Dodd) بخصوص رومية ١٠ : ١٢، ١٣: "أينما يُستخدم مصطلح "كيريوس"، الرب، لترجمة كلمة "يهوه" في العهد القديم، يبدو أنّ بولس يرى أنها تُشير إلى إعلان الله في الربّ يسوع المسيح."^٣ يرى هانسون أنّ هذه العبارة هي بشكلٍ ما "شاملة بشكل زائد عن الحد وفي نفس الوقت بسيطة جداً": "شاملة، لأنّ بولس لا يستخدم دائماً تعبير "كيريوس"، الموجود

^٢ The Septuagint Version of the Old Testament (London: Bagster & Sons; New York: Harper, n.d.).

^٣ C. H. Dodd (*Romans*, Moffatt New Testament Commentaries [London: Hodder & Stoughton, ١٩٤٢]), quoted in Hanson, *Jesus Christ in the Old Testament*, ٣٩.

في العهد القديم اليونانيّ، للإشارة إلى المسيح (مثل، رومية ٩ : ٢٨ ؛ ١١ : ٣).^٤ وهي أيضًا عبارة بسيطة جدًا، لأنّ في نظر بولس، لا يُشير لقب "كيريوس" ببساطة بشكلٍ مستقبليّ إلى المسيح، لكنه يُلقب المسيح في الحاضر بصفته الربّ.

قد لا نكون مقتنعين بكلّ الأسباب التفسيرية المُعقّدة التي يستند عليها هانسون لإثبات وشرح وجهة نظره. قد نستنتج أنّه في بعض الأحيان قد يُشدد على تماثل لقب "الربّ" مع "المسيح" في فكر بولس مُعتمداً بشكلٍ كبيرٍ على استخدام الترجمة السبعينية للكلمة، أو أنه يتعامل بشكلٍ سطحيٍّ للغاية مع فكر بولس اللاهوتي العميق. لقد استغرق اللاهوت التالوثي المستقيم العديد من القرون في سعيه لِقَبِّ الغموض بين التميّز ووحداية الأقانيم في الجوهر، والذي بشكلٍ ما مُتضمّن في الطريقة التي عبد بها بولس إله آبائه الواحد في الإعلان الكامل عن الآب والابن والروح القدس. لقد كان من الأسهل على بولس أن ينتقل من الله الآب إلى الابن، أو من الله الابن إلى الروح القدس، مُقارنةً بالباحثين الذين حاولوا صياغة هذا الغموض.

بينما تعقّب هانسون الاعتراف القويّ بالمسيح بصفته "كيريوس" أي "الربّ" في كتابات بولس أو في رسالة العبرانيين، استطاعت دراسات أخرى أن توازن هذه الصورة من خلال توضيح كيف أنّ لاهوت بولس يتمركز بقوة حول أقنوم الآب، أو من خلال اكتشاف بولس مرّة أخرى بصفته اللاهوتي المهتم بالروح القدس. على الرغم من ذلك، فإنّ هانسون قد نَبَّهنا عن حقٍّ إلى فهم أكبر للعهد الجديد والذي يرتبط بمركزية المسيح في العهد القديم. إن يسوع المسيح هو نفسه الربّ. لقد كان روح المسيح هو من تكلم خلال الأنبياء (١ بطرس ١ : ١٠-١٢). عند تفسير مقطع من الترجمة السبعينية الذي يقول "لا تخافوا شيئاً سوى ربّ الجنود نفسه"، وضع بطرس في اليونانية كلمة "المسيح" محل كلمة "نفسه" (١ بطرس ٣ : ١٥؛ إشعياء ٨ : ١٢، ١٣).

مع ذلك، يستخدم هانسون الوجود الواضح للمسيح بصفته الربّ في العهد القديم ليقول من المثالية "الطبيولوجية" (typology). يعتبر هانسون ذلك دليلاً على أنّنا لا نقدر أن نجد في نصّ محدّد كلاً من الظهور الحقيقيّ للمسيح بصفته الربّ وفي الوقت نفسه مثلاً (type) للمسيح. قد يبدو هذا دليلاً، لكنّه في الحقيقة يتجاهل غنى إعلان العهد القديم. يوجد مثال على ذلك في نصّ كتابيّ يناقشه هانسون دون أن يضع في الاعتبار الرمزية التي في مركزه، وهو النصّ الذي ضرب فيه موسى الصخرة بُناءً على أمر الربّ (خروج ١٧ : ١-٧). يُعد الربّ حاضرًا في هذه الحادثة، واقفًا على الصخرة، لكن الصخرة نفسها تصبح رمزًا، مُرتبطًا باسم الله، وبذلك ترتبط رمزياً مع الله الصخرة (تثنية ٣٢ : ٤). بشكلٍ رمزي، مثّلت الصخرة المسيح المتجسّد، مثلما يُخبرنا بولس (١ كورنثوس ١٠ : ٤).

^٤ يمكن إضافة العديد من الأمثلة الأخرى إلى هذه الحالات. على سبيل المثال، يكتب بولس أن "الله يحسب البرّ بدون أعمال" (رومية ٤ : ٦) ويدعم هذه الجملة باقتباس من مزمو ٣٢ : ٢ "طوبى للرجل الذي لا يحسب له الربّ خطيئة".

يؤكد إنجيل يوحنا على ألوهية يسوع المسيح الكاملة بصفته اللوغوس، الكلمة الذي لم يكن فقط عند الله، بل هو الله نفسه (يوحنا ١ : ١). قال يسوع: "قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ أَنَا كَائِنٌ" (يوحنا ٨ : ٥٨). لذلك، تحدّث يوحنا عن المجد الذي رآه إشعيا في رؤيته للسيد الجالس على العرش في هيكله على أنه مجد المسيح: "قَالَ إِشْعِيَاءُ هَذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ". (يوحنا ١٢ : ٤١)

أكد بولس أيضًا على لاهوت المسيح حين كتب "إِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلءِ اللاهوتِ جَسَدِيًّا" (كولوسي ٢ : ٩). يمتلك ابنُ الله كلَّ صفات الله. إنه "روح، غير محدود، وسرمدي، وغير متغير، في كينونته، وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله، وصلاحه، وأمانته. (دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز، السؤال الرابع). إن الأبنوم الثاني في الثالوث صار إنسانًا ليكون واحدًا مع مخلوقاته.

لذلك، لا تبدأ سيادة المسيح في مجد قيامته أو السلطان المرتبط بصعوده. إنَّ السيادة الإلهية هي من حقه للأبد. لهذا السبب لا نفهم سيادة المسيح أولًا في سياق العهد. بل بالأحرى، نفهم العهد مثلما هو مؤسس بواسطة الربِّ. لقد تحدّث اللاهوت المصلح التقليدي عن "عهد الفداء". تمَّ استخدام هذا المصطلح للإشارة إلى العهد بين الله الآب والابن الذي أسس خطة الله للفداء. أراد الآب أن يُرسل الابن إلى العالم ليفدي الذين قد أعطاهم الآب للابن (يوحنا ١٧). أراد الابن أن يأتي إلى العالم وأن يكمل عمل الخلاص. لذلك تحدّث يسوع عن مجيئه من عند الآب وعن عودته إلى الآب (يوحنا ٣ : ١٣).

إنَّ الوعد المرتبط بعهد الله هو الهدف من تاريخ العهد القديم. وهو وعدٌ مؤسس على قسم الله الأكيد بأن ابن الله سيأتي ليخلص شعبه من خطاياهم. أوضح جون موراي، في محادثاته معي، أن نص يوحنا ٣ : ١٦ يتحدّث عن تقديم الابن الإلهي، إذ إنَّ هذه العطية تضمّنت إرسال الله الابن إلى العالم (يوحنا ١٧ : ٣، ٤). بيتهج بولس بترتيب خطة الله الأبدية (رومية ١١ : ٣٣-٣٦). إنَّ الوعود المرتبط بعهد الله مع إبراهيم كان يتطلّب مجيئه الخاص في شخص ابنه.

إنَّ تاريخ الفداء مؤسس على وعد الله العهديّ ويتحرك للأمام في "مواسم" عمل الله الخلاصي. بعد القيامة، سأل التلاميذ يسوع "يا ربُّ، هل في هذا الوقت تزدُّ المُلْكُ إلى إسرائيل؟" (أعمال الرسل ١ : ٦). فأجابهم يسوع "لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْأَزْمِنَةَ وَالْأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الْآبُ فِي سُلْطَانِهِ" (آية ٧).

يتحدّث كاتب العبرانيين أيضًا عن أزمنة في تاريخ إعلان الله. تتميز وتحدّد تلك الأزمنة أو العصور بأحداث رئيسة في عملية الكشف عن خطة الله. ويتحدّث الكتاب المقدّس لسكوفيلد بالشواهد الشهير عن أزمنة تاريخ الفداء بصفقتها تدابير. بحسب طبعة عام ١٨٧١ للكتاب المقدّس لسكوفيلد، فإنَّ الحِقْبَةَ الْمُخْتَصَّةَ بإسرائيل استمرت من بداية دعوة الله لإبراهيم حتّى بداية الكنيسة في أعمال ٢. يُعلِّم الفكرُ التدبيريّ بأنَّ الله يُقدِّم طرقًا مختلفة من الخلاص في الأزمنة المختلفة. كان الخلاص بالأعمال هو طريق الخلاص في زمن إسرائيل، وسيتكرّر ثانية في وقت مُلك المسيح الألفيّ كان "عصر الكنيسة" بمثابة مقاطعة غير متوقّعة

في تاريخ الخلاص. لذلك تُعتبر الأناجيل الأربعة مُوجَّهة لإسرائيل، لا للكنيسة. لم تنتبأ أيُّ من نبوآت العهد القديم عن الكنيسة. لقد توقَّفت الساعة النبويَّة.

بحسب وجهة النظر هذه، فإنَّ الصلاة الربَّانيَّة ليست معطاةً للكنيسة، بل لإسرائيل. يشرح الكتاب المُقدَّس لسكوفيلد جملةً "واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا" على أنَّها من غير الممكن أن تكون صلاة معطاة للكنيسة، لأنَّ الالتماس يستند على أساسٍ قانونيِّ. تطلب إسرائيل المغفرة على أساس العمل الصالح المُتمثل في الغفران للآخرين. لسنين طويلة، كان الفكر التدبيريُّ سكوفيلد هو اللاهوت الإنجيليِّ المعياري في الكثير من الكنائس وكليَّات اللاهوت. في الوقت الحاضر، توَّصل اللاهوتيون التدبيريون البارزون إلى إدراك أنَّ العهد القديم، وبالمثل العهد الجديد، يُعلِّم بأنَّ الخلاص هو بالنعمة. يتبع القليل من المعلِّمين الآن هذا الفصل بين الأعمال والنعمة فيما بين العهدين القديم والجديد.

من ناحيةٍ أخرى، فإنَّ انتشار الفهم التاريخيِّ الفدائيِّ للكتاب المُقدَّس في الدوائر المُصلحة قد جلب تأكيدًا حديثًا على أهميَّة أزمنة وعصور هذا التاريخ. يمكننا أن نبتهج بأنَّ هذا الانقسام بين اللاهوتيِّين المُصلحين والتدبيريِّين بدأ يخفي بينما يعود كلاهما إلى الكتاب المُقدَّس. ° قبل أن يُحضر جريهاردس فوس، اللاهوتيِّ بكليَّة لاهوت برينستون، تاريخ الفداء والإعلان إلى الكلفينيَّة الأمريكيَّة، استخدم اللاهوت المُصلح الكلاسيكي نصوصًا منفصلةً لتأسيس العقائد الكتابيَّة. مع ذلك، دَرَس جون موراي، الأستاذ بكليَّة لاهوت ويستمنستر بفيلادلفيا، على يد فوس في برينستون. ثمَّ دَرَس موراي مادةً في اللاهوت الكتابيِّ. تحرَّك شرح موراي عبر حَقَب تاريخ الفداء: من الخليقة إلى السقوط؛ من السقوط إلى الطوفان؛ من الطوفان إلى دعوة إبراهيم؛ من إبراهيم إلى موسى؛ ثمَّ من موسى إلى المسيح. لخصَّ موراي الفكر اللاهوتي لكلِّ حِقْبَة وأظهر كيف جَهَّزَتْ كلُّ منها وأشارت إلى النطاق الكامل لعلم اللاهوت النظاميِّ في العهد الجديد.

تستخدم التفسير الحديثة، على سبيل المثال، سلسلة the Word series⁶ أفكارًا من اللاهوت الكتابيِّ في شروحاتهم. تقبل بعض هذه التفسيرات بسهولة النظريَّات النقديَّة (critical theories) والفرضيات الوثائقيَّة (documentary hypotheses)، لكنَّها تُوفِّر حواشي شاملة ومراجع مكثَّفة مُرتبطة بفهمٍ لاهوتيِّ كتابيِّ للنصوص.

تُظهر حَقَب تاريخ الفداء سيادة الأَقنوم الثاني للثالوث. إن مجيء الربِّ هو ذروة حَقَب الفداء. يأتي الربُّ ليمتلك شعبه. في بركة العهد، يُصبحون ملكًا له حتَّى يكون هو لهم. "وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا" (لاويين ٢٦: ١٢). يتصاعد الوعد بمجيئه مثل موجة البحر في تاريخ العهد القديم. دائمًا ما يأخذ الربُّ زمام المبادرة في الفداء. منذ خطيَّة آدم في الجنَّة وفي أثناء انتصار الشِّرِّ في أجيال

° كان لويس سبيري شافر (Lewis Sperry Chafer)، اللاهوتيِّ الأساسيِّ في دالاس، كلفينيًّا في فكره اللاهوتي.

⁶ Word Biblical Commentaries (Waco, Tex.: Word, published in the 1980s and 90s).

الطوفان، يبقى الوعد، وتم تحديده بعلامة قوس قزح. دعا الربُّ نوحًا، وأقسم بأمانته لإبراهيم. أعلن عن نفسه ليعقوب في بيت إيل، ونَزَلَ على سَلَم من السماء ليقف فوق يعقوب ويكرّر وعده. دعا موسى، وأَمَرَ فرعونَ بأن يُطلق شعبه ليخدموه بأن يعبدوه. إنه هو الربُّ. هو يُخَلِّص شعبه حتَّى يكونوا خُدَامًا له. أعلن لهم موسى عن بركات الربِّ إذا استمروا في إخلاصهم له، وكذلك لعنته إذا تمردوا عليه. بعدما قادم يشوع إلى الأرض التي أعطاهم الله إياها، تحوّل الشعب عن الله وعبدوا البعل إله الكنعانيين. أرسل الربُّ عليهم العُزاة في دينونة، لكنّه خلّص شعبه مرارًا وتكرارًا من مُضايقيهم، ثمَّ في النهاية تركهم لعبادتهم الوثنيّة. نُشير حَقَبَة القضاة إلى حاجة إسرائيل إلى مَلِكٍ. مَسَحَ صموئيلُ شاوُل، ثمَّ داود، مَلَكًا لإسرائيل. أخضع داود الأمامَ المجاورة، وجَهَّزَ لبناء الهيكل حيث سيسكن الله في وسط شعبه.

عندما دَسَّن سليمان الهيكل، اعترفَ بأنَّ الله أوفى بكلِّ عهوده لموسى. تَمَتَّعَ شعبُ إسرائيل بالسلام والازدهار الذي وعدهم به الربُّ في الأرض (١ ملوك ٨: ٥٦). لقد مُنِحَت البركات. رُدَّدَ نصفُ الأسباط البركات على جبل جرزيم. لكن بعد ذلك تم ترديد اللعنات على جبل عيبال (انظر تثنية ١١: ٢٩).

المسيح خادم العهد

إن المسيح الذي هو الربُّ، هو أيضًا عبد [خادم] الربِّ. إنه الكرمة الحقيقيّة، والابن الحقيقيُّ، وإسرائيل الحقيقيُّ. حيثما يظهر العبد البارُّ للربِّ في تاريخ العهد القديم، فإنّه هو العبد الحقيقيُّ الذي تمَّ تصويره مُسَبِّقًا. يقطع الله عهده، مُصرحًا بأنَّ شعبه هم خاصّته، ويُعطيهم الحقَّ في أن يُخاطبوه. تعبّر كلمة "العبد" وكلمة "الربِّ" عن هذه العلاقة. كان أمرُ الربِّ لفرعون هو: "أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي" (خروج ١٠: ٣). إن خدمة الربِّ تعني عبادة وطاعة. يُتَمِّم يسوعُ المسيح علاقةَ العهد لكلا الطرفين.

يعد العهدُ القديم بمجيء الربِّ وكذلك بمجيء عبد الربِّ. عندما أدان الله فشل رعاة إسرائيل في أن يعرفوا خرافهم، أعلنَ أنّه هو نفسه سيرعاهم (حزقيال ٣٤: ١١-١٦). قال أيضًا إنّه سيقيم لهم راعيًّا، داود عبده، ليُطعمهم: "وَأَنَا الرَّبُّ أَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا، وَعَبْدِي دَاوُدُ رَئِيسًا فِي وَسْطِهِمْ" (حزقيال ٣٤: ٢٤).^٧

إنَّ تاريخ العهد القديم هو تاريخُ نبويٍّ، يَصِفُ بركات العهد، ولعنات العهد، وكذلك عجائب خلاص الله العظيم الذي سيأتي في الأيام الأخيرة. لكي يأتي "يوم الربِّ"، ولكي يأتي ملكوت الله، يجب أن يُتَمِّم العهد من كِلَا الطرفين. يسعى هانسون لتقليص المثالية "الطبيولوجية" (typology) في العهد الجديد عن طريق ترجمته للمصطلحات التي تُعبّر عنها. يستنتج أنّها كانت قد بدأت في التأثير على كُتّاب العهد الجديد. لكن

^٧ لقد تتبّع إف. إف. بروس (F. F. Bruce) موضوع الملك الراعي في العهد القديم، خصوصًا في نبوة زكريّا. في هذه النبوة يُعبّر عن الراعي الملكيُّ بأنه "جِفر عمّيتي" (geber 'ā-mi-tî). أي "رَجُل رَفَقْتِي" (٧: ١٣)؛ قارن مع "رجل يمينك" (مزمو ٨٠: ١٧).

يبدو أن تأثيرها اكتمل، مثلما في آية يونا في إنجيل متى (متى ١٢: ٣٨-٤١)، فإنه مستعد للإشارة إلى أنها نشأت في وقت مبكر في دراسة الكنيسة الأولى للعهد القديم. حتى أنه يُجادل باحترام بالاستناد إلى إشارة يسوع إلى الحية المرفوعة في البرية (يوحنا ٣: ١٤، ١٥)، بأنه لا تُستخدم كلمة "مثال" (type)، "فإننا متروكون لأن نقوم بالاستنتاج بأنفسنا".^٨

صحيح أن العهد الجديد لا يتحدث كثيرًا عن الطريقة التي يُفسر بها العهد القديم، وغالبًا ما تُترك نقوم بالاستنتاج بأنفسنا. لكن الأساس الكبير واضح. إن ما يفعله يسوع بصفته عبدًا للرب لا يُمكن وصفه بأنه مجرد "ظاهرة الموقف الموازي"، وهو تعبير يستخدمه هانسون ليفند الإشارات المثالية (typical).^٩ إنه مُحق في الإصرار على أن أفعال الرب نفسه في العهد القديم ليست فقط "مثالًا" (type) لأفعاله بصفته ربًا في العهد الجديد. إلا أن أفعال وأدوار كل من آدم، وداود، ونوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، ويشوع، وداود، والأشخاص الباقين لا يمكن أن تُوضع جنبًا إلى جنب مع شخص وعمل يسوع المسيح بصفته أعمالًا من نفس نوع الخدمة لكن أقل فاعليّة. إن ليونارد جوبلت (Leonhard Goppelt)، في مقاله "المثال" (typos) في المعجم اللاهوتي للعهد الجديد (Theological Dictionary of the New Testament)، وكذلك في كتابه الذي يحمل عنوان "المثال" (Typos)، وَصَح تَميُّز استخدام بولس للمثالية (typology) في رومية ٥. يوجد ذلك في تركيز بولس الأخرى. لا يُرجعنا مجيء المسيح إلى العصر الذهبي للماضي، مُستعيدًا أمجاده. بل بالأحرى، يجلب مجيء المسيح اكتمال وتحقيق ما تمّ توقُّعه من خدام الرب، والمُخلِّصين، والأنبياء، والملوك، والكهنة، وقضاة العهد القديم. على خلاف وجهات النظر الأخرى، يقول جوبلت: "بدلاً من ذلك، يتضح أن الفكرة المثالية (typological) لإتمام خُطة الله الفدائية هي جزء من قلب أخرويات العهد القديم." يعترف جوبلت بموضوع الاسترداد، لكنّه يُصرُّ على أن "الفكرة المثالية (typological) لإتمام الخلاص هي المركز؛ يُقدِّم مبدأ الاسترداد الثوب المناسب له."^{١٠} (انظر: Sidney Greidanus, *Sola Scriptura, The Modern Preacher and the Ancient Text, and Preaching Christ from the Old Testament*).

^٨ يلاحظ هانسون أن برنابا ليندراش يُشير إلى استخدام كلمة سيميون (semeion) فيما يتعلّق بالرؤية التي أقامها موسى في الترجمة السبعينية لسفر العدد ٢١: ٩. يجادل استنادًا على حقيقة عدم استخدام مثل هذا التعبير في النصّ المذكور في الإنجيل Hanson, *Jesus Christ in the Old Testament*, ١٧٥-١٧٦; citing Barnabas Lindars, *New Testament Apologetic* [London: SCM, ١٩٦١], ٢٦٦).

^٩ Hanson, *Jesus Christ in the Old Testament*, ١٧٥.

^{١٠} Leonhard Goppelt, *Typos: The Typological Interpretation of the Old Testament in the New*, trans. D.

H.Madvig (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, ١٩٨٢), ٢٨, note ٩٩.

^{١١} Sidney Greidanus, *Sola Scriptura: Problems and Principles in Preaching Historical Texts* (Eugene, Ore.: Wipf & Stock, ٢٠٠١); *The Modern Preacher and the Ancient Text: Interpreting and Preaching Biblical Literature* (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, ١٩٨٨, ١٩٩٤); and *Preaching Christ from the Old Testament: A Contemporary Hermeneutical Method* (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, ١٩٩٩).

الرمزية والمثالية (TYPOLOGY)

إنَّ تاريخ العهد الذي يقود إلى المسيح، يتوقَّع في رمزيته مجيء المسيح أيضًا. تتمتع الرمزية بسُمعة سيئة في التفسير المُصلح المُعاصر. فمن المعروف جيدًا أنَّ أوريغانوس كان مُنغمسًا في الاستعارات الخيالية لاستخلاص دروس روحية نافعة من أمور يبدو أنها غير مُفيدة في قصص العهد القديم.^{١٢} كان بذلك يتبع نموذج الفلاسفة الرواقيين والأفلاطونيين الذين قاموا بترميز الأساطير اليونانية. استخدم فيلو (Philo) الطريقة نفسها لكي يُركي العهد القديم لدى الهيلينيين. ذهب الغنوسيون لما هو أبعد من ذلك إذ استخدموا الاستعارات ليصيغوا عقائد سرية لم تكن فقط غير موجودة في الكتاب المقدس بل كانت تناقضه أيضًا.

لكن، مثلما يُشير فرانسيس فولكس (Francis Foulkes)، فإنَّ التفسير الرمزي باعتباره منهجية يختلف عن المثالية (typology)، إذ إنَّه يُفسر الكلمات بشكل متميز بدلاً من تفسير النصوص.^{١٣} عن طريق تعيين معانٍ اعتباطية للكلمات، يستطيع المُفسر الرمزي أن يتجنَّب أو يُخرَّب معنى النص.

على الجانب الآخر، يجب على علم التفسير الكتابي أن يأخذ في الاعتبار النصَّ الكتابي، بما في ذلك الرمزية الموجودة فيه. لقد خلقنا الربُّ على صورته، ومبدأ التشبيه أساسي في خليفة الله وفي إعلانه. يجمع التشبيه دائمًا بين التماثل والاختلاف. يُمكن أن يُشدد التفسير على التماثل لدرجة تقليل أو إزالة الاختلاف. هذا هو الحال مع عقيدة الاستحالة عند الكنيسة الكاثوليكية الرومانية: يُشار إلى أن قطعة الخُبز في تناول هي الجسد المادي للمسيح. للسبب نفسه، استاء الكثيرون من تعاليم المسيح بعد إشباعه الخمسة آلاف. تساءلوا قائلين: "كَيْفَ يَقْدِرُ هَذَا أَنْ يُعْطِينَا جَسَدَهُ لِئَاكُلَ؟" (يوحنا ٦: ٥٢). بحسب هذه التفسيرات الحرفية، كان يسوع يدعو إلى أكل لحوم البشر.

من ناحية أخرى، لا يمكن تجاهل جانب التماثل. فهذه هي نقطة المقارنة. أحيانًا ما يُحدِّد النصُّ الكتابي بنفسه معنى ما للكلمة، أو حقيقة تمَّ استغلالها عن طريق التفسير الرمزي الاعتباطي. على سبيل المثال، عندما أظهر الربُّ لإرميا قضيب اللوز ليُرمز إلى التتميم الأكيد لكلمته (إرميا ١: ١١، ١٢)، فإنَّ المغزى هو كلمة "لوز". إن الكلمة تعني "المُرَاقِب" (شاقيد *shaqed*: اللوز هو الشجرة "المُرَاقِبَة"، التي تُبشِّر باقتراب الربيع). سوف يسهر الله (*shoqed*) على كلمته ليُتممها. لذلك أيضًا، فإنَّ مُعجزة مخاطبتنا الله بصفته أبانا تنبع من عنصر التماثل في مفهوم الأبوة.

^{١٢} انظر الجزء الرابع لكتابه *De Principiis*، حيث يتعامل مع التفسيرات الحرفية، والأخلاقية، والرمزية للكتاب المقدس.

^{١٣} Francis Foulkes, "The Acts of God: A Study of the Basis of Typology in the Old Testament," in G. K. Beale, ed., *The Right Doctrine from the Wrong Texts? Essays on the Use of the Old Testament in the New* (Grand Rapids, Mich.: Baker, ١٩٩٤), ٣٦٧.

ترتكز اللغة نفسها على الرمزية، وتظل القدرة البشرية على توظيف الرموز على عكس تجاوب الحيوان مع الإشارات هي نقطة التميز العظيمة بين اللغة البشرية والتواصل بين الحيوانات.^{١٤} نستخدم باستمرار الاستعارات والتشبيهات في اللغة. لا نتحدث فقط عن رجلٍ شجاع مثل الأسد (تشبيه)، بل ندعوه أسداً (استعارة). أصبحت بعض الاستعارات "استعارات رئيسة" تنظم مجموعة كاملة من الأفكار والممارسات. تم استخدام مصطلح "جسد" (body) باعتباره استعارة رئيسة بخصوص الأسرار في عقيدة الكنيسة لدى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. في المجمع الفاتيكاني الثاني، كان وصف الكنيسة بأنها شعب الله وكذلك جسد المسيح بمثابة ابتعاد عن الاستخدام الحصري لاستعارة كلمة جسد. قد نتحدث عن رموز منطقية وتقديمية.^{١٥} تُعتبر الرموز الاستطرادية رموزاً لغوية. بينما ترتبط معاً دوائر غير مكتملة من الأفكار، وتحمل الإشارات إلى ما هو أبعد من المعنى المحدد، وهي تفعل ذلك فعلاً، إلا أنها تنقل المعاني المشتركة التي يمكن التعبير عنها في صورة تصريحات. على الناحية الأخرى، تُعتبر الرمزية التقديمية رمزية الفن والموسيقى: فهي رمزية حدسية أكثر من كونها منطقية، ولديها قدرة عاطفية أكبر بدلاً من كونها تُوصّل معنى عقلانياً.

بينما تثير رموز الكتاب المقدس الاستجابة العاطفية، فهي أيضاً مليئة بالمعاني المنطقية. تُعتبر رؤيا حزقيال في وادي العظام اليابسة صورةً مُقنعة وقوية. حتى إننا نسمع رخش العظام وهي تقترب معاً عند سماع كلمة الرب. لكن معنى الرؤيا واضح تماماً: لدى الرب القوة لأن يُنقذ شعبه من السبي ويملاهم بحياة روحية جديدة. تُعتبر الصور في سفر الرؤيا صوراً منطقية. إنها تستكمل صور العهد القديم. إن رؤية المسيح في بداية السفر ليست تمثيلاً لبعض صور الأحلام النموذجية، لكنها فسيفاء لإشارات العهد القديم التي لها معنى في إعلان مجد المسيح.

بينما يجب التسليم بأنه من الصعب التفريق المطلق بين المعنى والدلالة، إلا أن إي. دي. هيرش الابن (E. D. Hirsch, Jr.) دافع جيداً عن الحاجة إلى التمييز.^{١٦} فبالأكيد، بصفتنا مُفسرين لكلمة الله، يجب أن نكتشف معنى النص وأن نظهر أهميته لسامعينا. إن لكلمة الله معنى ثابتاً، أنشأه الكاتب الأساسي وتم التعبير عنه بواسطة وحي الروح القدس. علاوة على ذلك، يفير الروح القدس أيضاً كلمة الله لعقولنا. عند تفسير رمزية الكتاب المقدس، نُعلن مبدأً وضوح الكتاب المقدس. توجد نصوص صعبة؛ قد نكون غير

^{١٤} Ernst Cassirer, *Essay on Man* (New Haven, Conn.: Yale University Press, ١٩٤٤), ٢٦. This position has been supported in recent studies with primates.

^{١٥} See Susanne K. Langer, *Philosophy in a New Key* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, ١٩٥٧), chapter ٤.

^{١٦} E. D. Hirsch, Jr., *Validity in Interpretation* (New Haven, Conn.: Yale University Press, ١٩٦٧); *The Aims of Interpretation* (Chicago: University of Chicago Press, ١٩٧٦). See also Dan McCartney and Charles Clayton, *Let the Reader Understand* (Wheaton, Ill.: Victor, ١٩٩٤).

مُتأكدين أو مخطئين بشأن معنى المقطع، لكنّ الكتاب المقدّس هو إعلان الله، والعاملون في الكلمة يجب أن يطلبوا بركة استنارته.

الرمزيّة الطقسية

تستخدم الرمزيّة الشعائريّة في العهد القديم التمييز الأساسي بين الطاهر والنجس. يتم ربط مقارنة الخطيّة بالنجاسة بالاحتياج إلى التطهير من أجل الاقتراب من المقدّسات أو من الربّ القدوس. تظهر قوّة الخطيّة المنتشرة في حقيقة أنّ غير الطاهر يُنجس الطاهر، وليس العكس أبدًا. ركّزت رسالة حجّي على هذه الحقيقة (حجّي ٢: ١٠-١٤). في الاكتمال، تقلب قوّة المسيح السائدة هذا المبدأ. عندما يلمس يسوع الأبرص، لا يتنجس يسوع، بل يتطهر الأبرص ويستطيع أن يعلن حالته الجديدة بواسطة الكاهن والذبيحة. يظهر هذا الانقلاب نفسه عندما يُعلم بولس أنّ الذين اهدتوا إلى المسيحيّة ليسوا مطالبين بأن يفصلوا عن أزواجهم غير المؤمنين، مثلما كان ضروريًا في العهد القديم، (فكر في الإصلاح بين اليهود العائدين في عهد نحميا، عندما طلب من هؤلاء الذين تزوجوا نساءً أجنبيّات أن يُطلّقوهن). ينبغي على المؤمن أن يسعى نحو تغيير غير المؤمن، ولكن في أثناء ذلك، لا ينبغي اعتبار أنّ اتّحاد الزواج يُنجس المؤمن. على العكس، يتطهر غير المؤمن بسبب هذا الاتّحاد. ويُعتبر الأطفال الذين هم ثمرة هذا الاتّحاد مُقدّسين (١ كورنثوس ٧: ١٤).

إن نظام الذبائح بأكمله، في ارتباطه بسكنى الله في الهيكل بين شعبه، نظام رمزيّ بشكلٍ فرائضي، لأنّه يرمز إلى اشتراك من يُقدّم الذبيحة في فائدة النعمة. يصف كاتب العبرانيّين باستفاضة معنى الرمزيّة الطقسية وبناء خيمة الاجتماع بأنّها "أشبه الحقيقيّة".

ويجب أيضًا التعرف على الرمزيّة النبويّة في العهد القديم. ننظر إلى أمور مثل العلاقة بين هوشع وجومر؛ وشراء إرميا حقلًا في عناوث (إرميا ٣٢: ٩)؛ وحفر حزقيال حول أسوار منزله ليحمل ويُخرج ممتلكاته كما لو أنه ذاهب إلى السبي (حزقيال ١٢: ٥).

رمزيّة "الوظيفة"

إنّ ما ندعوه رمزيّة الوظيفة، يظهر في كلّ مكان في العهد القديم. يُمكن تقديم رجلٍ ما على أنّه علامة (زكريّا ٣: ٨، موفيت، تقريبًا = مثال "typos"). يُقدّم دور الملك تميرًا رمزيًا لأفعاله. يكتب داود في سفر المزامير، لا بصفته شخصًا فرديًا، بل بصفته عبد الربّ الممسوح. يُصبح داود رمزًا لابنه القادم، المسيا (إشعيا ٥٥: ٣-٥؛ إرميا ٢٣: ٥، ٦؛ حزقيال ٣٤: ٢٣). حذّر الله مريم وهارون قائلاً: "فَلِمَاذَا لَا تَخْشَيَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا عَلَى عَبْدِي مُوسَى؟" (عدد ١٢: ٨). إن وظيفة الكاهن، بانخراطها في الرمزيّة الطقسية، تتميز بشكلٍ خاصّ، وتُشير كذلك إلى المُستقبل (زكريّا ٣: ٨؛ ٦: ١١-١٣). إن الأُمَّة حتّى لها دور باعتبارها

ابن الله، ميراثه الشخصي بين الشعوب؛ ستقدس إسرائيل اسم الله أو ستنجسه بسلوكها (حزقيال ٣٦: ١٦: ٣٨).

الرمزية التاريخية

يُميّز العهد القديم أيضاً الجانب الرمزي للأحداث التاريخية، خاصةً أنها تُعلن عن عمل الله المُستمر في الفداء. يمرُّ الله بين الذبائح المشقوقة حتى يُقسِم إبراهيم قسمة العهدي؛ تُسهم أفعال إبراهيم في الرمزية (تكوين ١٥).

تظهر الرمزية التاريخية في تقدم إبراهيم لإسحاق. على الجانب الآخر، من الواضح أن أمر الربّ بتقديم إسحاق ذبيحة كان مُعطى لامتحان إبراهيم. يبدأ المقطع الكتابي بهذه الجملة التي تُوضِّح قصد الله (تكوين ٢٢: ١). قُرب نهاية المقطع، يقول الله إنَّه سوف يُبارك إبراهيم لأنَّه لم يُمسك ابنه الوحيد عنه (آيات ١٦، ١٧). لذلك، قيل إن تخيل أي رمزية في ذبيحة إسحاق يجلب للنص معنى ليس موجوداً فيه بالفعل. مع ذلك يجب ألا نتخطى الاسم المُعطى للأحداث في هذا النص. دعا إبراهيم اسم المكان يهوه يراه - "الربُّ سيُدبر". يُقدم تفسيراً ويقول: "حتى إنَّه يُقال اليوم: «في جبل الربِّ يرى»" (آية ١٤). إن الفعل يريه (*jireh*) هو شكل من أشكال الفعل الشائع لكلمة "يرى". يُشتق المعنى "يُدبر" أو "يرى له" من السياق في الآية ٨، حيث يفهم أن الله "يرى" الحمل على أنه سيُدبره. تتضمَّن هذه الحادثة أكثر من مجرد اختبار إيمان إبراهيم. يدور الأمر حول معنى ذبيحة إسحاق. فإن إسحاق، لا إسماعيل، هو نسل الوعد. من المستحيل أن يهلك إسحاق: "لأنَّه بإسحاق يُدعى لك نسل" (تكوين ٢١: ١٢). يجب أن يأتي الفداء من خلال نسل الوعد. يأخذ كاتب العبرانيين بجديّة كلمة إبراهيم لعبديه واعداء بأنهم سوف يعودون (تكوين ٢٢: ٥). يُفسِّر كاتب العبرانيين ذلك على أنه يعني أن إبراهيم كان متوقِّعاً أن يأخذ ابنه، إذا لزم الأمر، بواسطة القيامة من الأموات (عبرانيين ١١: ١٧، ١٨). يُضيف الكاتب أن إبراهيم، في الحقيقة، أخذه في مثال (*en parablei*).

يتمنَّع المكان الذي قاد الله إبراهيم إليه بأهميّة كبيرة. إن الاستخدام الأوّل لفعل "يرى" في تكوين ٢٢ يرد في آية ٤: "وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد". "فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه" (آية ١٣). يتمّ التأكيد على هذا المكان مرّة أخرى في القول: "في جبل الربِّ يرى" أو "سوف يرى".

من الواضح تماماً أن هناك أهميّة كبيرة في كلّ من المكان والرؤية. يضمّ ذلك إلى أهميّة إسحاق، نُدرِك أن الربِّ يرى، أو يُدبر، ذبيحة باعتبارها بديلاً لابن إبراهيم الحبيب، في مكان ما، ومن خلال ذبيحة ما، لهما أهميّة. نحتاج أن نتعجب عندما يُشير بولس إلى هذا النصّ حين يقول: "الذي لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كلّ شيء؟". (رومية ٨: ٣٢)

إنَّ كَفَّارَةَ اللَّهِ النَّهْنِيَّةَ عَنِ الْخَطِيئَةِ لَمْ تَكُنْ كَبِشًا مَمْسُوكًا فِي الْغَابَةِ بَلْ ابْنُ الْوَعْدِ. كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُعْفَى عَنِ إِسْحَاقَ، بَلْ كَانَ وَلَا بُدَّ أَنْ يُعْفَى عَنْهُ، لِأَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ هُوَ نَسْلُ الْوَعْدِ، كَانَ مَجْرَدَ ظِلٍّ، مَشِيرًا إِلَى النَّسْلِ الْحَقِيقِيِّ، الْإِبْنِ الْحَبِيبِ، لَيْسَ لِإِبْرَاهِيمَ بَلْ لِلْأَبِ السَّمَاوِيِّ. لَقَدْ عَفَا اللَّهُ الْآبَ عَنِ الْإِبْنِ الْحَبِيبِ لِإِبْرَاهِيمَ وَلَكِنْ لَمْ يَعْفُ عَنِ ابْنِهِ الْحَبِيبِ.

نُصِبُ تَذْكَارِيَّةِ ذَاتِ أَهْمِيَّةٍ

إِنَّ قِصَّةَ امْتِحَانِ إِبْرَاهِيمَ هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ عَدَّةِ قِصَصِ فِي أُسْفَارِ مُوسَى الْخَمْسَةِ حَيْثُ يَكُونُ اسْمُ الْمَكَانِ أَوْ اسْمُ الْمَذْبَحِ بِمِثَابَةِ نَصْبِ تَذْكَارِيٍّ، لَا فَقَطْ لِلْحَدِثِ نَفْسَهُ بَلْ لِمَعْنَاهُ وَأَهْمِيَّتِهِ. هَكَذَا عَرَّفَ يَعْقُوبُ الْخَلْمَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ لَهُ فِي بَيْتِ إِيلٍ وَمِصَارَعَتِهِ عِنْدَ بِيُوقَ، حَيْثُ تَمَّ تَغْيِيرُ اسْمِهِ أَيْضًا (تَكْوِينُ ٢٨: ١٩؛ ٣٢: ٢٨، ٢٩). يُعْلِنُ الْفَصْحُ عَنِ حَدِثِ عُبُورِ اللَّهِ بِسَبَبِ دِمَاءِ الْحَمَلِ عَنِ بِيُوتِ إِسْرَائِيلِ الْمُهَدَّدَةِ. إِنَّ هَذَا الْحَدِثَ مَنْسُوجٌ مَعَ الْمَعْنَى الَّذِي يَحْمِلُهُ خِلَاصُ اللَّهِ (خُرُوجُ ١٢: ١١-١٤). إِنَّ تَرْنِيمَةَ مُوسَى عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، سَوْفَ تُحْيِي الْحَدِثَ مَرَّةً أُخْرَى وَسَيُصْبِحُ وَعْدًا بِخِلَاصِ مُسْتَقْبَلِيٍّ. لِهَذَا السَّبَبِ، يُوصَفُ خِلَاصُ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْآتِي بِأَنَّهُ خُرُوجٌ ثَانٍ (إِسْعِيَاءُ ٤٠: ٣؛ ٤٣: ١٦؛ ٥٢: ١٢؛ إِرْمِيَا ٢٣: ٧، ٨؛ هُوشَع ٢: ١٤). فِي الْبَرِّيَّةِ، جَعَلَ الرَّبُّ اخْتِبَارَ "مَارَّةٍ" فَرِيضَةً لِإِسْرَائِيلَ، مَلِيئَةٌ بِوَعْدِ مُسْتَقْبَلِيٍّ وَكَذَلِكَ بِتَحْذِيرِ حَالِيٍّ (خُرُوجُ ١٥: ٢٢-٢٧). إِنَّ عَطِيَّةَ الْمَنْ، الْخَبِزِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ، حُفِظَتْ بِأَمْرِ إِلَهِيٍّ. وَضَعُ قَدْرُ الْمَنْ أَمَامَ لَوْحِي الشَّهَادَةِ فِي تَابُوتِ الْعَهْدِ (خُرُوجُ ١٦: ٣٣، ٣٤). لِأَحْقًا، وَضَعْتَ هُنَاكَ أَيْضًا عَصَا هَارُونَ الَّتِي أَفْرَحَتْ عِلَامَةً ضِدَّ الْمَتَمَرِّدِينَ الَّذِينَ رَفَضُوا اخْتِيَارَ اللَّهِ لِرَأْسِ الْكَهَنَةِ (عَدَدُ ١٧: ١٠ [فِي النِّصِّ الْعِبْرِيِّ، عَدَدُ ١٧: ٢٥]).

بِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا، سَمَّى مُوسَى الْمَذْبَحَ الَّذِي يُحْيِي ذِكْرَ الْإِنْتِصَارِ عَلَى عِمَالِيقَ يَهُوه نَيْسِي، "الرَّبُّ رَايْتِي" (خُرُوجُ ١٧: ١٥). قَدَّمَ تَفْسِيرًا لِهَذَا الْاسْمِ: "إِنَّ الْيَدَ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ. لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عِمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ" (آيَةُ ١٦). إِنَّ كَلِمَةَ نَيْسِ *nes*، "رَايَةٌ" أَوْ "شِعَارٌ"، تُشِيرُ إِلَى عَصَا مُوسَى، الَّتِي كَانَ يَرْفَعُهَا، بِمُسَاعَدَةِ هَارُونَ وَحُورٍ، بَيْنَمَا كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى صَخْرَةٍ عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ فَوْقَ الْمَعْرَكَةِ. وَبَيْنَمَا كَانَتْ يَدَاهُ مَرْفُوعَتَيْنِ طَوَالَ النَّهَارِ، كَانَ جَيْشُ إِسْرَائِيلَ يَنْتَصِرُ. تَعْتَرَفُ عِبَارَةُ "الرَّبُّ رَايْتِي" بِأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ هُوَ عِلَامَةُ الْإِنْتِصَارِ لَا الْعَصَا. يُظْهِرُ التَّفْسِيرُ ذَلِكَ الْأَمْرَ مِنْ خِلَالِ تَأْكِيدِهِ عَلَى أَنَّهُ "تَوْجِدُ" يَدٌ عَلَى كُرْسِيِّ اللَّهِ، أَيْ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ عَصَا الْقِضَاءِ فِي يَدِ مُوسَى هِيَ الَّتِي أَلْحَقَتْ الْهَزِيمَةَ بِعِمَالِيقَ، بَلْ يَدُ الرَّبِّ الْمَرْفُوعَةُ، الَّتِي كَانَتْ مُمَسِّكَةً بِعَصَا الدِّيُونَةِ وَالْقِضَاءِ.^{١٧} (إِنَّ الرَّبَّ جَالِسٌ عَلَى عَرْشِهِ؛ إِنَّ مُوسَى وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى صَخْرَةٍ لَا بُدَّ وَأَنَّهُ ظَهَرَ وَكَأَنَّهُ مُتَوَجِّحٌ فَوْقَ الْمَعْرَكَةِ). إِنَّ يَدَ الرَّبِّ مَرْفُوعَةً لِتُكْمِلَ الدِّيُونَةَ النَّهَائِيَّةَ وَالْكَامِلَةَ عَلَى عِمَالِيقَ.

^{١٧} إِنَّ اخْتِلَافَ التَّرْجُمَاتِ لِلجُمْلَةِ التَّوْضِيحِيَّةِ يَرْجِعُ إِلَى اخْتِلَافِ تَفْسِيرَاتِ مَا تَعْنِيهِ يَدُ اللَّهِ الْمَرْفُوعَةُ. يَبْدُو أَنَّهُ مِنَ الْأَسْهَلِ رِبْطُهَا بِصُورِ الْمَشْهَدِ.

تستمر رمزية الراية المرفوعة في أسفار الأنبياء، حيث يُطبّقها إشعيا على أصل يسي، المسيا (إشعيا ١١: ١٠). يُعطي اسم لنصب تذكاري أهميّة رمزيّة للحدث.

يوجد مقطع آخر يوضّح قوّة الرمزيّة التاريخيّة في قصّة ضرب موسى للصخرة في مسّة ومريية (خروج ١٧). يوجد المفتاح لفهم هذا النصّ في هذه الأسماء التي تمّ إطلاقها على الحادثة. إن الكلمتين مأخوذتان من القصّة نفسها. ففي أثناء ترحالهم في البريّة حسب أمر الله، خيم شعب إسرائيل في رفيديم، حيث لم يكن ماء. تمّ استخدام هذين المصطلحين لوصف شكوى الشعب. إن الفعل الأوّل هو ريب *rib* (جذر كلمة "مريية")، المترجم "تخاصم" في آية ٢ و٧. ولكن كلمة "تتهم" تكون ترجمة أفضل؛ فالفعل يصف إجراء قانونياً. إنه يعني أن يُقاضي أو يرفع التهم في دعوى قضائيّة.^{١٨} تُستخدم صيغة الاسم لاحقاً لوصف دعوى الربّ القضائيّة ضدّ شعبه (إرميا ٢٥: ٣١؛ ميخا ٦: ١-٨). إن سياق المشهد هو العلاقة العهديّة بين الله وشعبه، التي كانت واضحة في أثناء ارتحالهم في سيناء. كان الشعب يتهمون الله بكسره للعهد: "أفي وسطننا الربّ أم لا؟" (خروج ١٧: ٧).

قال موسى: "لماذا تُخاصموني؟ لماذا تُجرّبون الربّ؟" (آية ٢). إن كلمة "تخاصموني" هي مُجددًا الفعل ريب *rib*، في حين أن كلمة "تجرّبون" هو الفعل ناسا *nasa* (في صيغة اسم الفاعل من كلمة "مسّة")، الذي يعني "يمتنح، أو يجرب، أو يختبر". في هذا السياق، يوحي هذا بمحاكمتهم لله.^{١٩}

أنهم شعب إسرائيل الله بأنّه تركهم ليموتوا في البريّة. كانوا يُطالبون بالعدالة. بما أنّ الله غير موجود ليُقف في المحاكمة، فسوف يتهمون موسى بدلاً منه. كانوا مستعدّون لرجمه بالحجارة. بالطبع، لم يكن الرجم، عُنف الغوغاء بل كان تنفيذاً قضائياً من قِبَل المجتمع، في ضوء وجود شهود يرمون الحجارة الأولى. تساءل موسى بتهمهم عن سبب رغبتهم في رجمه. لقد تمّ إحضارهم إلى رفيديم بكلمة الربّ. في الحقيقة، كان عليهم أن يرفعوا دعواهم وتهمهم ضدّ الله.

إنّ تقدير هذا المشهد القضائيّ يُمكننا من فهم ما يليه. أخبر الربّ موسى بأن يأخذ معه شيوخ الشعب، وكذلك عصاه في يده. كان الشيوخ قضاة شعب إسرائيل؛ قاموا بدور الشهود في قضية أمام المحكمة. عرّفت عصا موسى بأنها العصا التي ضرب بها نهر النيل فحوّله إلى دم. إنّها عصا الدينونة: وهي رمز

^{١٨} H. B. Huffmon, "The Covenant Lawsuit in the Prophets," *Journal of Biblical Literature* ٧٨ (١٩٥٩): ٢٨٥-٢٩٥; B. Gemser, "The RiB or Controversy Pattern," in *Wisdom in Israel and the Ancient Near East*, *Vetus Testamentum supplement III* (Leiden, Netherlands: Brill, ١٩٥٥).

^{١٩} في مزمور ٧٨: ١٥-٢٠، إن تجربة شعب إسرائيل للربّ فيما يخصّ الطعام والماء يُعبّر عنه بمصطلحات التحدّي: "هلّ يُقدّر الله أن يرتب مائدة في البريّة؟ هوذا ضرب الصخرة فجرت المياه وفأصت الأوديّة. هلّ يُقدّر أيضاً أن يُعطي خبزاً، أو يُهيئ لحماً لشعبه؟" قارن مع تثنية ٦: ١٦.

للسلطة وأداة لتنفيذ العقوبة. نتذكر حزمة الصولجان التي كان يحملها الحكام الرومان، وهي مجموعة من العصي التي كانت رمزاً للسلطة ووسيلةً للعقاب.

يُصَفُ نَصُ تثنية ٢٥: ١-٣ إجراءات تنفيذ العقوبة على المُخْطِئِ عندما تُرْفَعُ دَعْوَى أَمَامَ القضاة. يجب على القضاة أن يُبْرِئُوا البريء وأن يدينوا المذنب. وإذا كان المذنب يستحق الضرب، فإن أقصى عقوبة هي أربعون ضربة.^{٢٠} كان يجب على موسى أن يذهب مع الشيوخ أمام الشعب لإجراء محاكمة علنية. وكان موسى سيرفع عصا الدينونة الخاصة به لينزل ضربة العدالة على المذنب. وَصَفَ إشعيا نَزولَ عصا الربِّ في دينونة على أشور: "وَيَكُونُ كُلُّ مُرُورِ عَصَا الْقَضَاءِ الَّتِي يُنْزِلُهَا الرَّبُّ عَلَيْهِ بِالذُّفُوفِ وَالْعِيدَانِ. وَبِحُرُوبٍ نَائِرَةٍ يُحَارِبُهُ" (إشعيا ٣٠: ٣٢).

كان إسرائيل مُذنبًا، لكن عصا موسى لم تكن مرفوعة ضدَّ إسرائيل. بدلاً من ذلك، نجد واحدة من أكثر العبارات إثارة للدهشة في الكتاب المقدس. قال الله: "هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ" (خروج ١٧: ١٦).^{٢١} ففي مشهد المحاكمة هذا، وَقَفَ موسى حاملاً عصا الدينونة في يده، وأتى الله ووقَّفَ أمامه! في الدينونة، يقف الإنسان أمام الله؛ ولا يقف الله أمام الإنسان. فيقول الناموس: "يَقِفُ الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ بَيْنَهُمَا الْخُصُومَةُ أَمَامَ الرَّبِّ، أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَالْقُضَاةِ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. فَإِنَّ فَحْصَ الْقَضَاءِ جَيِّدًا...". (تثنية ١٩: ١٧، ١٨)

لقد طالب شعبُ إسرائيل بتحقيق العدالة، وأحضرَ الربُّ القضيَّةَ إلى المحكمة. إنه وهو المُتَّهَمُ، وَقَفَ في قفص الاتهام. لقد كان أمرُ الله لموسى هو، "يجب أن تُضْرَبَ الصخرة". لم يجرؤ موسى على ضرب سحابة مجد حضور الله. لكنَّه كان يجب أن يَضْرِبَ الصخرة التي يقف عليها الله، والتي تُمَثِّلُهُ. وفي ترنيمة موسى، اسم الله هو "الصخرة": "إِنِّي بِاسْمِ الرَّبِّ أَنَادِي. أَعْطُوا عِظْمَةً لِإِلَهِنَا. هُوَ الصَّخْرُ الْكَامِلُ صَنِيعُهُ" (تثنية ٣٢: ٣، ٤). يَشُورُونَ "رَفِضَ الْإِلَهِ الَّذِي عَمِلَهُ، وَعَبِي عَنْ صَخْرَةٍ خَلَّاصِهِ" (آية ١٥). "الصَّخْرُ الَّذِي وَلَدَكَ تَرَكْتَهُ، وَنَسِيْتَ اللَّهَ الَّذِي أَبْدَأَكَ" (آية ١٨). "لِأَنَّهُ لَيْسَ كَصَخْرِنَا صَخْرَهُمْ، وَلَوْ كَانَ أَعْدَاؤُنَا الْقُضَاةُ" (آية ٣١).^{٢٢} وفي المزمورين الذين ذكرا مسَّة ومريبة، يُدْعَى الله الصخرة (مزمور ٧٨: ٣٥؛ ٩٥: ١).

الله هو الصخرة؛ لم يكن مُذنبًا، ولكنَّه وَقَفَ ليتلقَّى ضربة الدينونة. "فِي كُلِّ ضَيْقِهِمْ تَصَاقِقُ، وَمَلَائِكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ". (إشعيا ٦٣: ٩)

إن الله، الذي هو الراعي لشعبه، لم يقودهم فقط في البرية؛ بل وَقَفَ بدلاً عنهم حتَّى تتحقَّق العدالة. لقد تمَّ تنفيذ العقوبة. لقد ضربَ موسى الصخرة. فدى الربُّ شعبه بتحمُّله للدينونة. ومن الصخرة المضروبة

^{٢٠} تَقْرُضُ ترجمة NIV أَنَّ الضرب بالسوط ("الجلد")، ولكنَّ الكلمات العبرية تَحَدَّثُ فقط عن ضربات العصا.

^{٢١} حرفياً، "انظري، الواقف أمام وجهك هناك، على الصخرة التي في حوريب."

^{٢٢} مثلما تُشير هذه الآية، فإنَّ مصطلح "الصخر" كان يُستخدم باعتباره لقباً إلهياً في الشرق الأدنى القديم.

هناك، جرى ماء الحياة في البرية المميتة. وعندما قال بولس إن الصخرة كانت المسيح (١ كورنثوس ١٠: ٤)، كان يُدرك رمزية هذا المقطع. كان المسيح حاضرًا شخصيًا ورمزيًا. وفي تلك الحادثة، وقَف المسيح الربُّ على الصخرة بصفته ملاك الظهور الإلهي، ولكن رمز الصخرة كان مطلوبًا من أجل تقديم رمز للطبيعة الإنسانية التي كان عليه أن يتخذها ليتلقى ضربة الدينونة الكفارية. لا نحتاج أن نتعجب من صرامة توبيخ الله لموسى عندما ضرب الصخرة في المرة الثانية، دون أن يُطلب منه (عدد ٢٠: ٩-١٢).

أعمال وأقوال الرب

إنَّ الأساس الذي تقوم عليه الرمزية التاريخية واضح، وينطبق على ما هو أبعد من تلك الحوادث التي تمَّ فيها تسمية الرموز على وجه التحديد. إن الله يُعلن عن نفسه في أفعاله المُخلصة، ويرفقا بوعوده. وفي هذا السياق، يتوقَّع خلاصُ الله لإسرائيل مُسبقًا خلاصه النهائي عندما يُحقِّق جميع وعوده. إن شكْل العهد يبني المستقبل؛ يوجد التحقيق المستقبلي في المسيح، الربِّ والخادم.

يُوضِّح فرانسيس فولكس (Francis Foulkes) أنَّ شهادة العهد القديم لها أهميَّة مثالية (typological). ويؤكد على الطابع التاريخي لإعلان العهد القديم، واتساق طبيعة الله وأفعاله. لذلك، يُكرِّر الله أفعال بركته ودينونته. وفي إطار العهد، تُعد أعمال الله المُخلصة في الماضي محفوظة بواسطة كتابات الأنبياء، وكذلك بتوثيق الأماكن بحجرٍ أو مذبح، وتوثيق الأحداث بالاحتفالات. إن أمانة الله العهدية تُصير أساسًا لوعود للأنبياء المُوحى لهم عن نعمة الله في المستقبل. ودائمًا ما تكون أعمال الله مصحوبة بكلمة الله، مُعلنة عن معنى ما فعل وما سيفعل. إن التاريخ النبوي تاريخ إرشادي، لأنه يُحدِّر من عواقب نقض العهد لكنه يُوسِّع أيضًا نطاق عجائب خُطة الله ووعده. إن تصاعد وعد الله يصير مفتاحًا للمثالية (typological). لن يُكرِّر الله فقط أفعاله في الماضي؛ سيفعل أمورًا أعظم، أعظم بشكلٍ تصاعدي: سيفعل خروجًا ثانيًا، والذي يتضمَّن خلاصًا روحيًا؛ عهدًا جديدًا، وخليقة جديدة، وشعبًا جديدًا يشمل اليهود والأمم؛ وشخصًا أعظم من موسى، ومن داود، ومن إيليا. إن الوعد الأفضل يعني أنَّ الله نفسه يجب أن يأتي، وعبد الربِّ لا بُدَّ أن يأتي حاملاً الاسم الإلهي.

ويستنتج فولكس أنَّ المثال (type) هو "حدث، أو سلسلة من الظروف، أو جانب من حياة الفرد أو الأمة، حيث يجد تحقيقًا موازيًا وأعمق في حياة تجسُّد ربِّنا، سواء في تدييره لاحتياجات الناس، أو في دينونته وحكمه المستقبلي".^{٢٣} إن كلمة "أعمق" ليست قويَّة بما فيه الكفاية هنا. فلا بُدَّ أن يكون التحقيق: نهائيًا ومُتصاعدًا، وأخرويًا، ومتمركزًا حول المسيح.

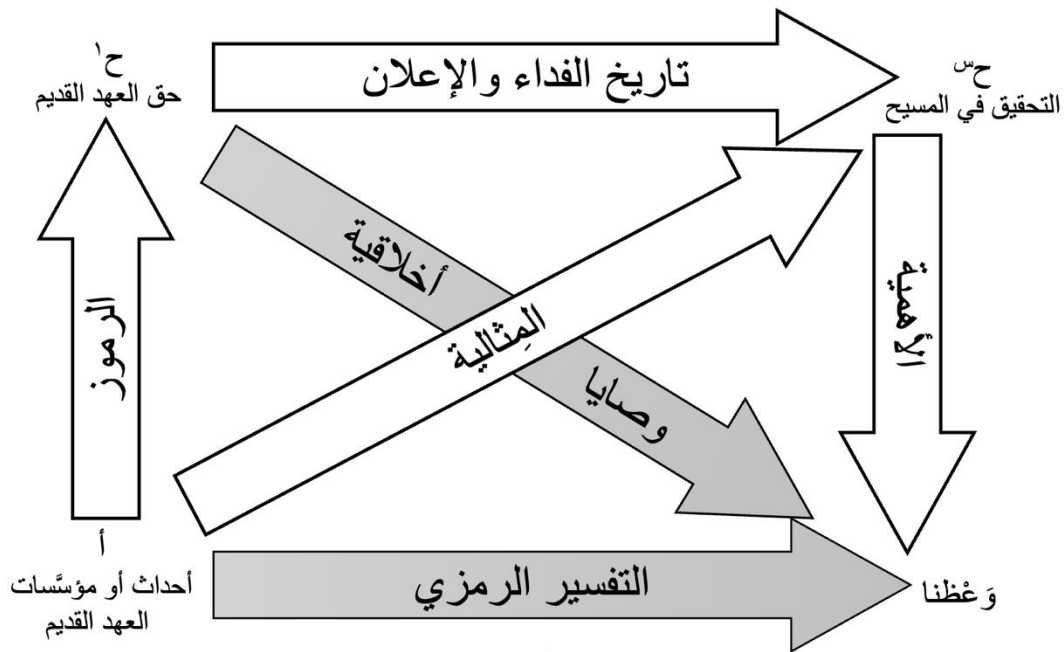
^{٢٣} Foulkes, "Acts of God," ٣٦٦.

كثيراً ما يتجنّب المفسّرون المصلحون المِثالية (typology) لكونهم حذرين من رمزية أوريجانوس الاعباطيّة. لقد أوصانا مُعلّمي في كُليّة اللاهوت بأن نُدرك أنّ أمثلة (types) العهد القديم موجودة فقط في تلك الأشياء التي تمّ الإشارة إليها في العهد الجديد بصفتها نماذج. إن هذه بالتأكيد قاعدة آمنة. إذا كان العهد الجديد يُشير إلى شيء ما بأنّه مِثال (type)، يُمكننا أن نفسّره بهذه الطريقة. لكن هذا يُشبه القول بأنك تستطيع إيجاد حل المسائل الرياضيّة فقط بالنظر إلى الحلول الموجودة في آخر الكتاب، لأنك لا تعرف كيفية حلّ المسائل. أن يستنتج المرء أنّه لا يستطيع أبداً رؤية مِثالٍ ما إذا لم يُشر إليه العهد الجديد على أنّه مِثال، هو اعتراف بالإفلاس التفسيري. نعلم أنّ كُتاب العهد الجديد وجدوا أمثلة (types)، لكننا نعتزف بأننا لا نقدر أن نتعلّم كيف فعلوا ذلك. يبدو كأنّه لا توجد أيّ قواعد مُميّزة يمكننا اتّباعها.

مع ذلك، يوجد مبدأ. أعلن ذلك جيرهاردوس فوس (Geerhardus Vos) عندما قال إنّ الباب للمِثالية يوجد في أقصى نهاية منزل الرمزية. أي إنّه إذا كانت هناك رمزية في السياق، يُمكننا أن نستنتج عن حقّ أنّ هناك مِثالاً. ولكن إذا لم تكن هناك رمزية، فلا يمكن أن يكون هناك مِثال.

لكنّ الرمزية، مثلما رأينا، ليست قليلة في العهد القديم، بل هيكلية. إن أعمال الله تُشير إلى خلاصه ودينونته النهائية، وتتطلّع علاقته بشعبه إلى استرداد وتجديد العهد الجديد.

في ضوء هذا، نستطيع أن نرسم علاقة الرموز بالمِثالية (انظر شكل ١، في هذه الصفحة).



عندما تظهر الرموز، مثلما هو الحال في الأحداث التي تناولناها، فإنّ الحدث أو المؤسسة (أ في الشكل التخطيطي) يرمز إلى حقيقة ما في الإعلان الإلهي. سنرمز إلى ذلك بالحقّ المرفوع للأس ١ في الشكل

التخطيطي بالرمز (ح^ا). يتزايد ذلك الحق من خلال الإعلان في المسيح، والذي يُمكن أن ندعوه الحق المرفوع للأسس (ح^ب). لا يسقط أي حق مُعلن على جانب الطريق على مسار الفداء والإعلان الإلهي. تصل كل الحقائق لتحقيقها فيما يتعلّق بالمسيح. لذلك، إذا استطعنا أن نبنّي خطأ للرموز من الحدث أو الاحتفال إلى الحق المُعلن، فإنّ ذلك الحق سيقودنا إلى المسيح. في المسيح هنا، نجد هذا الحق في كماله وتمامه. بعد أن بنينا ضلعيّ المثلث في هندستنا اللاهوتية، نكون قد أسسنا أيضًا وتر المثلث. هذا الخط هو خط المثلثية (typology).

نحتاج أيضًا أن نرسم خطأ للأسفل من ح^ب (الإعلان الكامل في المسيح) إلى المستمعين الحاليين للرسالة. يبدأ هذا الخط بمعنى الإعلان في المسيح، وهو خط الأهمية. إن المُفسّر هو من يميّز هذا الخط.

اقترح عليّ ريتشارد كارفن (Richard Carven) ذات مرّة في كتيّة لاهوت ويستمنستر بفيلاذلفيا إضافة خطين آخرين إلى هذا الرسم التخطيطي. لقد ظللتهم باللون الرماديّ، لأنهم يمثّلون مسارات تفسيرية غير دقيقة. يُحضر الخطّ الأول خطّ الأهمية بشكلٍ مائل، مباشرةً من حقّ العهد القديم المُعلن لنا، دون أيّ إشارة إلى تحقيق الحقّ في المسيح. هذا هو خطّ الوصايا الأخلاقية. إنه يمثّل الحقّ بعيدًا عن تاريخ الفداء ولذلك يُعدّ أيضًا بعيدًا عن الصليب، والقيامة، والصعود، وسيادة المسيح. يفترض هذا التفسير دون وعي أنّه يُمكننا العودة إلى الأب بدون الابن.

لقد كانت هذه المنهجية مُصيبة الكثير من الوعظ في الماضي، وكذلك مُصيبة الطريقة المُبجّلة في رواية قصص مدارس الأحد. يُقدّم داود على أنّه الصبيّ الصغير الشجاع الذي لم يكن خائفًا من العملاق الضخم الشرير، ولكنّه أسقطه بمقلّعه. ويواجه هذا التوجّه صعوبةً أقلّ مع قصة داود وأوريّا، زوج بثشبع. لكن بالتأكيد، نستطيع أن نجد أمثلة أخلاقية سلبية أكثر منها إيجابية. كُن شجاعًا مثل داود، ولكن لا تكن زانيًا وقاتلاً مثله. من المؤكّد، أنّ الكتاب المقدّس يُظهر استنكارًا شديدًا لخطية داود مع بثشبع وأمره بقتل أوريّا.

مع ذلك، تظهر المشكلة الحقيقية عندما يبدو أنّ شخصيات الكتاب المقدّس تُمدّح على فعل أشياء رهيبة. عصى شاولُ الربّ بعدم إبادة عماليق نهائيًا عندما أتى يومُ دينونة الربّ عليهم (١ صموئيل ١٥). ادّعى شاول أنّه كان مطيعًا بشكلٍ كامل، فسأله صموئيل قائلاً: "وَمَا هُوَ صَوْتُ الْعَنَمِ هَذَا فِي أُذُنِي، وَصَوْتُ الْبَقَرِ الَّذِي أَنَا سَامِعٌ؟" وعندما علّم صموئيل أنّ شاول عفا عن الملك أجاج، طلب أن يُحضّر الأسير إليه، وفعل بالملك أجاج ما فشل شاول أن يفعله. قطع صموئيل لأشلاء أمام الربّ. إن استحسان تصرّف صموئيل في القصة يبقى محيرًا على المستوى الأخلاقيّ. لكي نفهم ذلك، يجب أن نأخذ في الاعتبار تاريخ الفداء. يجب أن يُفهم تنفيذ صموئيل للعنة الإلهية في سياق قهر الربّ لأعداء مملكته. تظهر هنا رمزية الدينونة الأخيرة، مثلما تظهر في كلّ حروب إسرائيل، "الحروب المقدّسة" الحقيقية التي لم يخضها شعب إسرائيل من أجل الغنيمة، بل باعتبارهم ملائكة الله المنتقمين، الذين يجلبون ويحقّقون دينونته.

إن الهجوم الذي يُشن حديثاً على بلاد مُختلفة يتركز على مُعتقدات الشخص، والذي يأخذ تعاليم العهد القديم خارج سياقها، لكنّه يُنكر تغيير طريقة تحقيقها واكتمالها في يسوع المسيح. إن يسوع، المُقام والقاضي صاحب السيادة، يُنفذ الدينونة من أجل تحقيق مقاصد نعمته.

لم يُواجه داود جُلبيات لِيستعرض شجاعة شابٍ صغير، بل لِيُتمّ دورَ مسيح الربِّ. كان صموئيل قد مَسَّحَه بالفعل. لهذا السبب، لم يستطع أن يتحمّل تعبيرات جليات. وَصَفَ سلاحَ جليات الرائع، لكنّه قال: "أَنَا آتِي إِلَيْكَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَيْهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ" (١ صموئيل ١٧: ٤٥). إن ما أظهره داود هنا هو الإيمان. ويُقدّم كاتبُ رسالة العبرانيين قائمته بأسماء رجال ونساء الإيمان في العهد القديم (عبرانيين ١١). يسير الإيمانُ والنعمة معاً. إن داود بصفته مسيح الربِّ هو مثالٌ (type) ليسوع المسيح، المَسِيحُ، الذي واجهه وَغَلَبَ الشيطان، الرجلُ القويُّ، حتّى يُحرّرَ الذين هم أسرى للشيطان (لوقا ١١: ١٥-١٩).

لا تكفي الوصايا الأخلاقية أن تكون تفسيراً للنصِّ الكتابي؛ وكذلك يُعتبر التفسير الرمزي أيضاً غير كافٍ. عندما يعتمد الواعظ على التفسير الرمزي سوف يُحاول أن يُفسّر النصَّ عن طريق انتقاء شيءٍ ما فيه وإعطائه تفسيراً غير مرتبط بالسياق أو المعنى. على سبيل المثال، قد يأخذ الواعظ من نصِّ ما كلمات مثل "ومنارة" (٢ ملوك ٤: ١٠). تُصَفُ هذه الكلمة جزءاً من أثاث غرفة صغيرة على السطح والتي بنّتها امرأة ثرية في شونم لأليشع حتّى يرتاح فيها إذا أتى من سفره. قد يُركّز التفسير الرمزي على احتياج النبيّ إلى الضوء، ثمّ يستخرج كلّ أنواع التطبيقات، مُستخدِماً النصَّ كعُدْرٍ للرسالة المبنية على موضوعٍ ما عن الضوء أو النور الروحيّ بدايةً من سفر التكوين إلى الرؤيا، مُستخدِماً بلا شكّ المنارة الذهبية في خيمة الاجتماع، وهكذا دواليك. كذلك، بالنسبة لكلمة "كرسي"، قد تُشير إلى الكرسيّ الهزاز لوالدِ مُسِينٍ، أو الكرسيّ العالي لحفيدٍ، أو كرسيّ الأب في مقدّمة الطاولة، أو الكرسيّ الفارغ في مثل الابن الضال، وهكذا دواليك.

طوّر سيدني جريدانس (Sidney Greidanus) بشكلٍ كبير الفهمَ والتطبيق للوعظ المتمركز حول المسيح في كتابه "الوعظ بالمسيح من العهد القديم" (*Preaching Christ from the Old Testament*).^{٢٤} حدّد ستّ طرق أو وسائل استخدمها كُتّابُ العهد القديم للعثور على أمثلة (types) للمسيح في العهد القديم. أضاف جريدانس لهذه الطرق طريقةً سابعة. بما أنّ العهد الجديد كاملٌ، فإنّ هذه الطريقة تُقدّم طريقةً سابعة لنا، أي بتتبع تفسير العهد الجديد للعهد القديم. إن الطرق التي عدّها جريدانس ليست طرقاً يمكن أن نخترعها للرجوع إلى العهد القديم لنجد المسيح. بل بالأحرى، هي مسارات يقودنا من خلالها العهد القديم للأمام نحو المسيح؛ وهذه الطرق هي: (١) طريق تَقَدُّمِ تاريخ الفداء للأمام؛ (٢) طريق تَتَمِيمِ الوعد؛ (٣) طريق المِثَالِيَّةِ

^{٢٤} Sidney Greidanus, *Preaching Christ from the Old Testament; and The Modern Preacher and the Ancient Text*.

(typology)؛ (٤) طريق التشبيه؛ (٥) طريق الموضوعات الطولية؛ (٦) طريق المقارنة؛ (٧) طريق إشارات العهد الجديد.

إن معالجة جريدانس لهذه الطرق مزدحم بالاستنارات الغنيّة. مع ذلك، فإنّ تمييزاته تتداخل، ويمكن فهمها بسهولة من التعليم المركزي للعهد القديم عن حُطّة الله للخلاص. تضمّنت تلك الحُطّة وعدّ الله في بداية تاريخ الفداء، ثمّ جاءت بعده الحَقَب أو العصور التي كانت تتكشف فيها أعماله وأقواله بخصوص الفداء. يجب التركيز على الحَقَب، حيث يُعبّر عن الموضوعات الطولية في سياق الحَقَب. يفشل الفكر التدبيري في أن يرى استمرارية عمل الله الفدائي، ولكن اللاهوت الكتابي يرى بشكلٍ صحيحٍ أهَمِيَّةَ العصور أو الحَقَب.

يُخبرنا الكتاب المقدّس عن الله: عن أعمال الله الفدائية، وعن أقوال الله التي تُفسّر أفعاله. دائماً ما يكون تاريخ الفداء مصحوباً بتاريخ الإعلان. فيقال لنا مثلاً، إنّه في حِقبة القضاة الحزينة لم يكن هناك إعلان متكرّر (١ صموئيل ٣: ١). أظهرت الخدمة النبويّة التي أعطيت لسموئيل أنّ الله لم يترك شعبه المخطئ. "لأنّ الرّبّ استغّلن لسموئيل في شيلوه بكلمة الرّبّ، وكان كلام سموئيل إلى جميع إسرائيل" (١ صموئيل ٣: ٢١-٤: ١).

دائماً ما يكون تاريخ الفداء مصحوباً بتاريخ الإعلان. يُقدّم تفسيرُ الله لأعماله الموضوعات التي يُجمّعها ويُلخّصها اللاهوت الكتابي والنظامي. إن الموضوعات الطولية التي يُميّزها جريدانس هي الموضوعات الموجودة في تاريخ الإعلان. إن كل إعلان الله عن نفسه يتضمّن بالضرورة تشبيهاً، مثلما شرح كورنيليوس فان تيل (Cornelius Van Til) باستمرار. إننا مخلوقون ولسنا الخالق، ومع ذلك فنحن مخلوقون على صورته. مثلما رأينا سابقاً، فإنّ الرموز تعتمد على التشبيهات. إن المقارنة التي يلفت جريدانس انتباهنا لها هي الموضوع الأخرى العظيم الذي يربط العهد الجديد بالقديم. يُحدّد قلب هذه المقارنة بمجيء الربّ نفسه. إن حالتنا ميؤوس منها للغاية. ويستطيع الله وحده أن يتعامل معها. يأتي وعده بالرجاء لشعبه فوق كل رجاء، لأنّه سيأتي بنفسه ليفدينا. لقد ظهر ابنُ الله لسموئيل، مثلما ظهر لموسى في العليقة المُشتعلة. إن الربّ الذي تكلم لموسى، تكلم أيضاً لسموئيل والأنبياء الآخرين.

تحدّث إشعيا عن خلاص إسرائيل من السبي الآشوري باعتباره خلاصاً مُشابهاً لخلاص حادثة الخروج (إشعيا ١٠: ٢٤-٢٧). مع ذلك، فإنّ هذه النبوة تدوب في التحقيق الكامل لمجيء المسيح، أصل (وليس فقط غصن) يسى، الذي يحمل الاسم، والذي هو الربّ وكذلك العبد. ستُحضر عودة إسرائيل من السبي أيضاً بقية الأمم لينضموا إلى إسرائيل الله.

يكشف الوعد المذهل في إشعيا ١٩ عن انتصار مقاصد الله المُخلّصة. ففي يوم الربّ، سيكون هناك مذبح للربّ في مصر. وسيُعبد الآشوريون في مصر، وسيُعبد المصريون في أشور، عابرين بأورشليم

ليسجدوا فيها، لأنَّ العبادة في أورشليم سوف تسمو عندما تتحقَّق. إنَّ الأسماء المميَّزة التي يُخاطب الله بها شعبه ستُعطى للأمم المُعادية: "مُبَارَكُ شَعْبِي مِصْرُ، وَعَمَلُ يَدَيَّ أَشُورُ، وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلُ" (إشعيا ١٩: ٢٥).

إنَّ كَشْفَ تاريخ الفداء والإعلان دائماً ما يربط كلمات وأفعال الربِّ معاً. إنَّ الله هو مُفسِّر كلامه، إنَّ ذرَّة يوم الربِّ المُعلنة مُسبقاً في كتابات الأنبياء لا تُظهر تحقيقاً فقط في الاسترداد والتجديد بل تحقيقاً مُتسامياً. سيأتي الربُّ نفسه، وسيصنع كلَّ شيءٍ جديداً. يستطيع مجيءُ الربِّ فقط أن يجلب هذا النوع من التحقيق، ولا شيء آخر سيتجح في ذلك. قال أغسطينوس قولاً مشهوراً عن خطيئة آدم في جنَّة عدن وهي أنها، "فيليكس كولبا" (Felix Culpa) - "الخطيئة المحظوظة!" بسبب حقيقة كارثة الخطيئة والموت قد تظهر هذه الكلمات وكأنَّها تجديف. مع ذلك، فإنَّ رأي أغسطينوس كان نفس رأي الرسول بولس: "فَمَاذَا؟ إِنْ كَانَ اللهُ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظَهَرَ غَضَبُهُ وَيُبَيِّنَ قُوَّتَهُ، اخْتَمَلَ بِأَنَاءَةٍ كَثِيرَةٍ آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلَاكِ. وَلِكَيْ يُبَيِّنَ غِنَى مَجْدِهِ عَلَى آنِيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ، الَّتِي أَيْضًا دَعَانَا نَحْنُ إِيَّاهَا، لَيْسَ مِنَ الْيَهُودِ فَقَطْ بَلْ مِنَ الْأُمَمِ أَيْضًا" (رومية ٩: ٢٢-٢٤). رأى يسوع أنَّ شهادة العهد القديم هي شاهدٌ لآلامه ولل مجد الذي يليه. يستطيع الله وحده أن يحضر البركة لمن هم موضوع غضبه اللانهائي؛ يستطيع الله وحده أن يدفع ثمن الفداء.

يَتَّبَعُ العهدُ القديمُ خطَّةَ الله العظيمة الوحيدة لتاريخ البشريَّة وفدائها، ولا تتبَع هذه الخطَّة فقط منه، بل وتَرْتَكِزُ عليه: على حضوره في ابنه المتجسِّد.

إنَّ تاريخ الفداء والإعلان موجودٌ بسبب مجيء المسيح. لو لم يكن يسوع المسيح مُختاراً وفقاً لخطَّة الله الأبدية، لما كان هناك أيُّ تاريخ للبشريَّة على الإطلاق. لَسَقَطَ آدم وحواء موتى عند شجرة معرفة الخير والشرِّ. إنَّ نعمة وعد عهد الله هي مصدر وقلب التاريخ الفدائيِّ. يُعلنُ الله قائلاً: "وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا". (لاويين ٢٦: ١٢)

إنَّ الامتلاك يُميِّزُ العلاقة العهديَّة. فدى اللهُ شعبه لكي يملكهم. "إِنَّ قِسْمَ الرَّبِّ هُوَ شَعْبُهُ. يَعْقُوبُ حَبْلُ نَصِيْبِهِ" (تثنية ٣٢: ٩). اعتبر اللهُ إسرائيل ابنه البكر وحرَّ فرعون من دينونته تجاه أبنكار مصر إذا رَفَضَ أن يُطلق شعب إسرائيل (خروج ٤: ٢٢، ٢٣). امتلكَ الربُّ بشكلٍ خاصٍّ أبنكار إسرائيل. كانوا يُمثِّلون كلَّ عائلات إسرائيل. وعفا اللهُ عنهم في الضربة العاشرة لمصر إذ كانوا تحت علامة الدم على قوائم الأبواب. كان اللاويُّون يُحسبون بديلاً للابن البكر، وهم سببٌ منفصلٌ لخدمة الربِّ في خيمته. وما زاد على عددهم، كان على كلِّ أبٍ إسرائيليٍّ أن يدفع خمسة شواقل ليفتدي ابنه البكر (خروج ١٣: ١٥، ١٦؛ عدد ٣: ١٤، ١٦، ٤٢-٥١).

اختار الله شعبه الخاص بالمحبة - لا لأنهم كانوا أكثر عددًا من الشعوب الأخرى، بل لأنه أحبهم. نسمع هنا لغة الحب الإلهي: لقد أحبهم لأنه أحبهم! (تثنية 7: 7، 8). علاوة على ذلك، حنم الله محبته لشعبه بقسمه. في العهد القديم، تُعتبر كلمة *chesed* حُبًا مرتبطًا بقسم، والذي يُعبر عن الحب المُعطى بحريّة. وقد يكون مصطلح "التكريس" هو الترجمة الأفضل. نتوقّع أن يُستخدم للإشارة إلى تكريس شعب الله له. بالفعل، تُستخدم اليهوديّة هذا المصطلح. كان الحسيديم *Chasidim* هم الأشخاص المُكرّسون. مع ذلك، فإنّ العهد القديم يُستخدم هذا التعبير بشكلٍ حصري تقريبًا للإشارة إلى تكريس الله السياديّ لخاصّته.

على الناحية أخرى، إن الله ينتمي لشعبه - لكن فقط لأنه أعطى نفسه لهم: "أنا الربُّ إلهك...". فمن جبل سيناء، قطع الربُّ عهده مع إسرائيل. وتكلّم الربُّ بالوصايا العشر لشعبه الموجودين بأسفل الجبل. لمدة أربعين يومًا، بقي موسى على قمة الجبل يتلقّى من الربِّ تصميم خيمة الاجتماع. كانت تلك الخيمة ستكون خيمته المنصوبة وسط خيامهم. يستطيع الله أن يسكن هناك بينهم. سيكونون له، وسيكون لهم.

لكن عندما نزل موسى من على الجبل، وجد شعب إسرائيل يعبدون عجلًا ذهبيًا باعتباره إلههم. كان سبط موسى فقط، سبط لاوي، في صف الربِّ. كان كلُّ الآخرين في تمردٍ كامل ضدَّ يهوه، الربِّ الذي تعهّدوا بعبادته. حارب اللاويون أسباط إخوتهم ليُنهوا تمردهم. ثم أخبر الله موسى أنّه لن يستطيع أن يسكن في وسط إسرائيل. لقد كانوا شعبًا صلب الرقبة. كان يستطيع أن يقودهم إلى كنعان ويعطيهم الأرض، ولكنه لم يستطع أن يسكن بينهم. كان هذا أمرًا شديد الخطورة عليهم. كان بإمكان غضبه المقدّس أن يُفنيهم في لحظة. فصلى موسى. لم يستطع موسى أن يعد بأنّ شعب إسرائيل سيتصرّف بشكلٍ أفضل. استطاع أن يتوسّل فقط لله ليعلن اسمه لموسى، ويُرِي موسى مجده. وفعل الله ذلك. أعلن اسمه بصفته يهوه، الإله المملوء بالإحسان *chesed* (التكريس العهديّ) والحقّ - الأمانة. وعدَّ الله بأنّه سيذهب وسط شعبه لا أمامهم فقط. فصلى موسى صلاة شكر. كرّر موسى ما قاله الله بالضبط. قال الله: "أَنْتُمْ شَعْبٌ صَلْبُ الرِّقْبَةِ. إِنْ صَعِدْتُ لَحْظَةً وَاحِدَةً فِي وَسْطِكُمْ أَفْنِيئُكُمْ" (خروج 33: 5). فصلى موسى قائلاً: "أَيُّهَا السَّيِّدُ فَلْيَسِرِ السَّيِّدُ فِي وَسْطِنَا، فَإِنَّهُ شَعْبٌ صَلْبُ الرِّقْبَةِ..." (خروج 34: 9). إن ترجمة ال NIV تُترجم كلمة "فإنه" إلى "على الرغم من أنّه" (*Although*) "شعبٌ صلب الرقبة". لكن هذا يُحطّم المغزى من التكرار الدقيق للغة. كلاً، فموسى يكرّر كلمات الله، ويُضيف، "وَاعْفِرْ إِثْمَنَا وَخَطِيئَتَنَا وَاتَّخِذْنَا مَلَكًا".

لأنّ إسرائيل شعب صلب الرقبة تحديداً، فهُم بحاجة إلى نعمة الله السيادية، الذي هو "مملوء نعمة وحقاً". كانوا بحاجة إلى سكناه في وسطهم، أي خيمة الاجتماع حيث سيستقرُّ مجد الله. نعم، يجب أن يُحجب القدوس، لكنه قدّم طريقة الاقتراب: مذبح المحرقة، ومرحضة الاغتسال، وضوء المنارة، وخبز الوجوه، ومذبح البخور - وتابوت العهد باعتباره عرشاً له. لذلك، يتأمّل يوحنا في اكتمال إعلان الله لموسى: "وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا (وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ)، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا". (يوحنا 1: 14)

تساءل جريدانس بشكلٍ حادٍ قائلاً، "من أين جاء كُتَّاب العهد الجديد بفكرة تفسير العهد القديم من واقع المسيح، على عكس نظرائهم اليهود غير المسيحيين؟"^{٢٥} ويُعطي إجابةً واضحةً أولاً. قد كان التلاميذ مع يسوع وتقابلوا مع الربِّ المُقام. "ولكنَّ الإجابة الأكثر اكتمالاً هي أنَّ يسوع نفسه علَّمهم أن يقرؤوا العهد القديم بتلك الطريقة." هذا هو المفتاح لتفسيرنا للعهد القديم. أعطاه يسوع للتلاميذ في صباح أحد القيامة. كان يمشي مع كليوباس والتلميذ الآخر دون أن يتعرَّفا عليه في طريق عودتهما من أورشليم إلى عمواس. وعندما رأى يسوع حزنهما وتحيرهما، قال لهما: "أَيُّهَا الْعَبْيَانِ وَالْبَطِيئَانِ الْقُلُوبِ فِي الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟ ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ". (لوقا ٢٤: ٢٥-٢٧)

لاحقاً، في العليَّة، ظهرَ يسوعٌ للتلاميذ. أكلَ معهم سمكاً مشويّاً ليربهم حقيقةً قيامةً جسده، وقال لهم: "هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْتُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدَ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ. حِينَئِذٍ فَتَحَ ذَهْنُهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ" (لوقا ٢٤: ٤٤، ٤٥). سجَّلَ لوقا كلماته التالية. أعطاهم يسوعُ مُلَخَّصاً لرسالة الإنجيل وانتشاره بين الأمم (الآيات ٤٦، ٤٧) - من الكتاب المقدَّس. كان ينبغي أن تكون هذه رسالة التلاميذ بصفتهم شهوداً له لجميع الشعوب. لكن عليهم أن ينتظروا نوال قوة الروح القدس (الآيات ٤٨، ٤٩).

ما هي إذاً النصوص التي تحدَّثت بها يسوع خلال خدمته ليشير إلى تحقيقها؟

منذ بداية خدمته حتَّى صعوده، تحدَّث يسوعُ باستمرار عن تحقيق الكتاب المقدَّس - صعوداً إلى السماء و"رُفِعَ" مثلما رفع موسى الحية في البرية، ومثلما تحدَّث إشعيا عن كونه مرتفعاً (يوحنا ٣: ١٤؛ ١٢: ٣٣، ٣٤؛ أمثال ٣٠: ٤؛ إشعيا ٥٢: ١٣). يجب أن يفهم إعلان يسوع عن مجيء الملكوت في ضوء ذروة وعود العهد القديم بمجيء الملك الخلاصي للربِّ. أخذ يسوعُ من دانيال ٧: ١٣، ١٤ تعيينه بصفته ابن الإنسان الذي سيأتي على سحاب السماء (متى ٢٤: ٣٠؛ مرقس ١٤: ٦٢). وفي نبوة دانيال، تُشبهه ممالك هذا العالم بالوحوش الخارجة من البحر. ثمَّ يظهر شخصٌ يُشبه ابن الإنسان، آتياً على سحاب السماء. ويُعطى ملكوتاً أبدياً. رُبطَ يسوعُ لقبه "ابن الإنسان" بألامه أيضاً. إن المقارنة بين الآمه وسحاب المجد هو جزء من التناقض الظاهري الواضح الذي ظهرَ فعلاً في إشعيا ٥٢: ١٣، ١٤.

تحدَّث يسوعُ أيضاً عن نفسه بصفته العبد المتألِّم في إشعيا ٥٣: "إِنَّ إِبِلِيَّا يَأْتِي أَوَّلًا وَيُرْدُّ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَيْفَ هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِ ابْنِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُرْدَلَ. لَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ إِبِلِيَّا أَيْضًا قَدْ أَتَى، وَعَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ" (مرقس ٩: ١٢، ١٣). على الصليب، صرخَ يسوعُ من مزمو ٢٢: ١: "إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي". لم تكن تلك الصرخة مأخوذة من المزمور فقط؛ لقد تمَّت المزمور. تبدو

^{٢٥} Greidanus, *Preaching Christ from the Old Testament*, ٢٠٢.

اللغة التصويرية للمزمور وكأنها تذهب إلى ما هو أبعد من أيّ خبرة لداود، وتقف باعتبارها نبوءة عن الصلب. بينما لم يتحدّث يسوع على وجه التحديد عن تقسيم رثائه، إلا أنّ التلاميذ أدركوا أنّه تمّم ذلك المزمور. اقتبس كاتب العبرانيين من المزمور ليوّضح أنّ يسوع يتحدّث عنّا بصفقتنا إخوانته: "أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسْطِ الْكَنِيْسَةِ أُسَبِّحُكَ" (مزمور ٢٢: ٢٢ مثلما هو مُقتبس في عبرانيين ٢: ١٢). ومن الجدير بالذكر أنّ هذا المقطع ينسب إلى يسوع كلمات داود عبر أنحاء المزمور (لا فقط الصرخة من على الصليب). يبدأ بناءً مزمور ٢٢ بالصرخة، ثمّ يتتوّب ما بين الرثاء واعترافات الإيمان، وصولاً إلى صرخة الخلاص: "أسرع إليّ... أنقذ حياتي... خَلِّصْنِي...". إن المزامير التي تُقدّم رثاء شخصٍ ما عادةً ما تتضمّن نذرًا بتقديم الشكر عندما تأتي الاستجابة (انظر مزمور ٦٦: ١٣-١٥). كذلك، تُعبّر هذه المزامير عن اليقين بأنّ الربّ سيّسمع الصرخة والنذر: "مِنْ قُرُونٍ بَقِرَ الْوَحْشِ اسْتَجِبْ لِي" (مزمور ٢٢: ٢١). وعادةً ما تأتي كلمات التسبيح بعد اليقين بأنّ الطلبة سُمِعَتْ.

إنّ تميم يسوع لمزمور ٢٢ يُظهر لنا الكثير عن كريستولوجي المزامير. يحتوي ذلك مزمور للرثاء الشخصي على عناصر يُمكن العثور عليها في مزامير أخرى. يشتمل على تعبير عن الإيمان، والتكريس في التسبيح، وكذلك الرثاء والصرخة للخلاص. إن مزمور ١١٧ مزمورٌ مُختصر للتسبيح. قُرب نهاية سفر المزامير، يملأ التسبيح المزامير. يُعتبر مزمور ٢٣ مزمورًا مميّزًا عن الإيمان. توجد أيضًا مزامير الرثاء المكتوبة "بصيغة الجمع" (مزمور ٧٩). بما أنّ مزمور ٢٢ يتضمّن هذه العناصر المتعدّدة، فنحن لدينا ما يُوجّهنا في فهم الإشارات إلى المسيح الموجودة في المزامير المماثلة. ويُساعدنا القلب الأدبيّ للمزامير في أن نرى استمرارية الأشكال التي تُوجّد اتجاه العبادة في إسرائيل.

وبعيدًا عن الشكل الأدبيّ، نحتاج أن نأخذ في الاعتبار أيضًا مكان المزمور في تاريخ الفداء. غالبًا ما يُوجّهنا عنوان المزمور في هذا، ممّا يُمكننا من ربط المزمور بهذه الفترة من التاريخ. إن سلسلة مزامير داود من مزمور ٥١ إلى ٦٣ تتبّع تجاربه (مع أنّهم ليسوا بحسب الترتيب التاريخيّ لحدوثها).

اعتمد يسوع على مزمور ١١٠: ١ ليثبت ألوهيته. فقد دعا داود ابنه، ربّه. سأل يسوع منتقديه كيف سيُفسّرون ذلك المقطع. كيف يكون ابنُ داود ربّه؟ (متّى ٢٢: ٤٢-٤٥؛ مرقس ١٢: ٣٥-٣٧؛ لوقا ٢٠: ٤١-٤٤).

عندما دافع يسوع عن تلاميذه بخصوص تهمته كسر السبت، لم يقترح إطلاقاً أنّ قُطّعهم للحبوب وفركها من القشرة في أثناء سيرهم عبر حقل قمح كان أبسط بكثير من أن يُعتبر حصادًا وتذريةً. لكن بدلاً من ذلك، دافع عنهم بالإشارة إلى امتيازات داود بصفته مسيح الربّ، والامتيازات الأعظم التي له بصفته ربّ السبت. وهكذا، كان الكهنة أيضًا بلا لوم عندما كانوا يعملون في يوم السبت. إن الذين تبعوا يسوع كانوا

يتبعون من هو أعظم من الهيكل. رأى يسوع نفسه بصفته تمييزاً لرمزية الهيكل باعتباره مَسْكَنَ الله مع شعبه (متى ١٢: ١-٨؛ يوحنا ٢: ٢١).

قال يسوع إنَّ إبراهيم رأى يومه وتهلَّل (يوحنا ٨: ٥٦). إننا نُفَكِّر في فرحة إبراهيم يوم ميلاد إسحاق. ليس شيء غير مُمكن لدى الله (تكوين ١٨: ١٤؛ لوقا ١: ٣٧). وتهلَّل إبراهيم مرَّةً أخرى عندما عُفي عن إسحاق مِن أن يكون حَمَلًا للذبيحة. مع ذلك، لم يُعرَف يسوع نفسه أنَّه ابن داود أو ابن إبراهيم فقط. إنه ربُّ داود، وقال: "قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ". (يوحنا ٨: ٥٨)

تَتَضَمَّن أيضًا تعاليمُ يسوع عن نفسه أدب الحكمة في العهد القديم. عندما تحدَّث يسوع عن أنَّ الحكمة تَبَرَّرت من خلال أعمالها، استخدم الكلمة المؤنَّثة للتعبير عن الحكمة (متى ١١: ١٩). لقد جَسَّد أدب الحكمة في العهد القديم الحكمة على أنَّها امرأة (حوخما، *Chokma*، لفظة مؤنَّثة). تُقَارَن السيِّدة حكمة مع السيِّدة حماقة، الزانية. إن الحكمة، صفة الله المُجَسَّدة، كانت مع الله عند الخلق. لقد سَبَّح يسوع أباه لأنَّه أخفى أسراره للخلاص عن الحكماء والفهماء وأعلنها للأطفال. ثمَّ أعلن إنَّه يتمنَّع بالحكمة الإلهية غير المحدودة: "كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْإِبْنَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْإِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الْإِبْنَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ". (متى ١١: ٢٧)

عندما دعا يسوع المتعبين والثقيلي الأحمال، نادى بكلمات الحكمة. استخدم لغة مماثلة للغة يشوع بن سيراخ ٥١: ٢٣-٢٧:

ادنوا مني، أيها الغير المتأدِّبين، وامكثوا في منزل التأديب. لماذا تتقاعدون عن هذه، ونفوسكم ظامنة جدًّا؟ إني فتحت فمي وتكلَّمت. دونكم كسبًا بلا فضة. أخضعوا رقابكم تحت النير، ولتتخذ نفوسكم التأديب؛ فإنَّ وجدانه قريب. انظروا بأعينكم كيف تعبت قليلاً؛ فوجدت لنفسي راحة كثيرة.

قارن مع كلمات يسوع:

تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. إِحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمَتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفْسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ. (متى ١١: ٢٨-٣٠)

مع ذلك، مع أنَّ اللغة متشابهة، إلَّا أنَّ كلمات يسوع تُعْلِن تصريحًا أعظم. إن يسوع ليس مُعلِّمًا آخر للحكمة يبحث عن تلاميذ. لا يدعونا لنحمل نير حكمته، مثلما فعل يشوع بن سيراخ، ولكن لنحمل نيره هو. إنه يدعو المتعبين لنفسه بصفته ابنًا للآب، الذي هو حكمة الله. استمع مرَّةً أخرى إلى ندائه: "كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْإِبْنَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْإِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الْإِبْنَ أَنْ يُعْلِنَ

لَهُ" (متى ١١ : ٢٧). ففي المسيح مُذخَّر جميع كنوز الحكمة والعلم (كولوسي ٢ : ٣). لقد انتهى بحثُ أيُّوب عن الحكمة، لأنَّ حكمة الله يُنادي (أيُّوب ٢٨). إن يسوع أعظم من سليمان. إنه يتمُّ أسفار الحكمة للعهد القديم. وتُعتبر أشكال التعليم التي استخدمها يسوع أشكال حكمة العهد القديم، لكنَّه يُخرج من كنزه جُددًا وعُتقاء (متى ١٣ : ٥٢). في المسيح، يُجدد العهد القديم في الاكتمال، وتُبَرِّر رسالة الإنجيل العهد القديم، حتى وهي تُنمِّمه وتتفوق عليه.

عندما نسمع كلمات يسوع في أي نقطة من الأناجيل، نسمع أصداء نصوص العهد القديم. على جبل التجلي، تحدَّث يسوع إلى موسى وإيليا عن "خروجه" العتيد أن يتمَّ في أورشليم. إن ما تحدَّث وتتبَّأ عنه موسى وإيليا، تمَّه يسوع. بينما دخل أورشليم راكبًا، رَحَّب به الأطفال الصغار وتبعوه إلى الهيكل، وهم يصرخون "أوصنا لابن داود." وعندما أخبره الكهنة والكتبة بأن يُسكت الأطفال، اقتبس يسوع من مزمو ٨: "مِنْ أَفْوَاهِ الْأَطْفَالِ وَالرُّضْعِ هَيَّاتَ تَسْبِيحًا" (متى ٢١ : ١٦). ومرةً أخرى، رأى يسوع تتميم الأسفار المقدَّسة، وفي الواقع، منذ التسبيحات التي قيلت عند ميلاده وإلى بركته في صعوده إلى السماء، كانت كلُّ كلمات يسوع تتميمًا للأسفار المقدَّسة.

رغم إمكانية أن يكون جريدانس قد ربط "طرقه" المنفصلة معًا من أجل الاستفادة، إلا أنَّه يفتح الأبواب أمام التفسير النصِّي الذي يُركِّز على معنى النصِّ لشعب إسرائيل، أي المُستمعين الأصليين. لا يُمكن أن يُعطى حتَّى هذا الالتزام للمعنى الأصليِّ المكانة الأسمى في تطبيق كلمة الله. إن الغنى النبويِّ لكريستولوجي العهد القديم يتجاوز ربط التفسير بكون شعب إسرائيل المُستقبل الأصلي. كان هناك الكثير ممَّا لم يفهمه داود الملك في كتاباته. إن شهادة الكتاب المقدَّس للمسيح هي السبب في أنَّ تلك الكتابات كُتبت - مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ (رومية ١١ : ٣٦). يُصرُّ جريدانس عن حقِّ على التفسير الأدبي الدقيق، ولكن فيما يتعلَّق بيسوع المسيح، مثلما أنا واثق أنَّ جريدانس يُدرك ذلك أكثر منِّي، يوجد اكتمال لا يُمكن استيعابه.

تحضير عظة تُقدّم المسيح

يُقدّم الوعظ برسالة الإنجيل يسوع المسيح. سأل الرسول بولس الغلاطيين الأغبياء قائلاً: "مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لَا تُدْعُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمْ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوبًا" (غلاطية ٣: ١). وهاجم بولس "الرسالة الكذبة" الذين حَرَفُوا بِشَارَةَ الْخَلَاصِ بِالْمَسِيحِ إِلَى خَطَاةٍ لِكَسْبِ السَّمَاءِ. لم يُعلن فقط أَنَّ اللَّهَ يُخَلِّصُ بِالنِّعْمَةِ، لَا بِالْأَعْمَالِ؛ بل يُقدّم المسيح إلى ويُعلن عنه بكلِّ وضوح. إنَّ الوعظ يُشير إلى المسيح المصلوب من أجل خطايانا، والمُقام من أجل حياتنا.

إنَّ الوعظ بَقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ هُوَ الْوَعظُ فِي حُضُورِ يَسُوعَ. عندما كان بولس يتحدث عن المسيح المنتصر على قُوَّاتِ الظُّلْمَةِ، كان يُدرك وجودَ القُوَّاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ. يُصدَمُ النَّاسَ عندما تَحْدُثُ هِجْمَاتُ فَظِيْعَةٍ عَلَى بِلَادِهِمْ. مع ذلك، ما زلنا نعيش دون وعيٍ بالصِّراعِ الَّذِي سَلَّحَ الرَّبُّ بُولسَ مِنْ أَجْلِهِ. فقد انتصر يسوع في الصليب على قُوَّاتِ إبليس وملائكته. رأى بولس المسيح مصلوبًا. عادةً ما كان الرومان يُسمِّرونَ اعترافًا خَطِيئًا عَلَى صَلِيبِ مجرمٍ مُدان. رأى بولس صليب يسوع، وكأنَّه سُمِّرَتْ عَلَيْهِ خَطَايَا وَجَرَائِمُ مَكْتُوبَةٌ بِخَطِّ الْيَدِ لِأَوْلَادِكَ الَّذِيْنَ مَاتَ لِأَجْلِهِمْ (كولوسي ٢: ١٤، ١٥). وَصَفَ بُولسُ مَعْنَى الْكُفَّارَةِ، وَلَكِنْ دُونَ فَضْلِهَا عَنْ الْحُضُورِ الْحَقِيقِيِّ لِيَسُوعَ - عَلَى الصَّلِيبِ، وَفِي الْكَلِمَةِ الْمَوْعُظَةِ. إِنَّ عِبَارَةَ "تُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ" شِعَارٌ مَنَاسِبٌ لِمُدْرَسِي مَدَارِسِ الْأَحَدِ وَلِلوَعَّظِ.

يتحدّث الربُّ نفسه في الوعظ

دعوته تُسمَع

لقد أخبرنا بولس بِسِرِّ الْوَعظِ. بدأ بالتأكيد على أَنَّ "كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ" وهو يتساءل، "فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلا كَارِزٍ؟" (رومية ١٠: ١٣، ١٤). كثيرًا ما تُرجمَ هذا المقطع الكتابي على النحو التالي، "كيف يُمكن أن يُؤمنوا بالشخص الذي لم يسمعه." إنَّ عِبَارَةَ "الشَّخْصِ الَّذِي لَمْ يَسْمَعُوهُ" هِيَ التَّرْجَمَةُ الصَّحِيْحَةُ. (تستخدم أفعال السَّمْعِ فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ صِيغَةً الْمُضَافِ إِلَيْهِ كَمَفْعُولٍ بِهِ مَبَاشِرًا). فِي الْوَعظِ بِرِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ، يَتَحَدَّثُ يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلَّذِيْنَ يَسْمَعُونَ.

يستخدم العهدُ الجَدِيدُ مصطلحات كثيرة للوعظ. يتضمَّنُ الْوَعظُ إِعْلَانَ الْأَخْبَارِ السَّارَّةِ، وَالتَّعْلِيمَ عَنْ غِنَى إِعْلَانِ اللَّهِ، وَالتَّشْجِيعَ، وَالحَثَّ، وَالتَّحْذِيرَ، وَالتَّوْبِيخَ. مع ذلك، فلا ينبغي أن يتجاهل أيُّ جانبٍ من جوانبِ الْوَعظِ دَعْوَةَ الْمُخَلِّصِ. يَجْذِبُ بَعْضُ الْوَعَّظِ الضَّعْفَاءِ وَالمُتَعَبِينَ إِلَى الْمَسِيحِ، وَيَدْفَعُ الْبَعْضَ الْآخَرَ الْمُتَمَرِّدِينَ

إلى أن يبحثوا عن ملجأ من غضب الحمل الجالس على العرش. إن المناشدة الرقيقة والتحذير الصارم يأتيان من شفاه المُخْلِصِ الشخصي الذي يتحدّث من خلال كلمته الموعوظة.

يَجذبنا درسُ الكتابِ إلى حضوره

هل تحتاج إلى تذكير لكي تكون واعياً بحضور الربِّ في أثناء دراستك لكلمته؟ تُعتبر قراءة كلمته بالطبع الطريقةَ الأولىَّة لطلب حضوره. فكيف يُمكننا أن ننسى أنّ الربَّ هو من يخاطبنا؟

قام فيرن بويثرس (Vern Poythress) بتحليل بناء الخطاب.^{٢٦} ووَضَحَ أنّ المعنى عنصرٌ ثابت. يوجد معنى محدّد. هذا مرفوض بالطبع في تفكير ما بعد الحداثة. يُفترض الآن أنّ المعنى الوحيد الموجود هو المعنى الذي يفهمه (أو يُعطيه) شخصٌ ما. مارستُ مجموعات درس الكتاب المُقدَّس هذا الأمر منذ مدّة طويلة، قبل أن ننظر لأنفسنا على أنّنا تابعون لمنهج ما بعد الحداثة. كان معنى النصِّ يتخبّط في مجموعات درس الكتاب المُقدَّس: "بالنسبة إليّ، يعني هذا النصُّ أنّ... لا يستطيع أحد أن يرفض مثل هذه التصريحات. مع ذلك، يظلُّ هذا السؤال مطروحاً، هل هذا التصريح مُخطئ؟ هل يعني هذا النصُّ ذلك، أم أنّه أسيء فهمه؟ كم هو مُدهش أن تقرأ الإجابات المجروحة لبعض الذين يُنكرون المعنى الثابت عندما يزعمون هم أنّه أسيء فهمهم!

يُحضّر موضوع المعنى أيضاً إلى ديناميكيَّة التواصل: المرسل، والرسالة، والمستقبل. علاوة ذلك، يوفّر العنصرُ العلاقتي سياقَ التواصل. يشمل سياقُ الرسالة أولئك الذين يتمُّ توجيه الرسالة إليهم، ولكنَّ له أهميَّة تتجاوز الذين كانت الرسالة مُوجَّهة إليهم في الأصل.

بما أنّنا مُهتَمُّون بتقديم يسوع، فقد نرغب في هدم جدران المعنى النصِّي للوصول إلى هدف علاقتنا بالربِّ. فيبدو لنا أنّ التفسير المملّ ودراسة الكلمة يرتفعان مثل جبلٍ صخريّ، والذي يصير حاجزاً، لا طريقاً في ضوء نفاذ صبرنا للوصول إلى قمة جبل التجلّي.

إلا أنّ العكس هو الحال. أتذكّر أنني سمعت تيم كيلر (Tim Keller)، راعي كنيسة الفادي المشيخيَّة في مانهاتن، وهو يصف طريق التكريس. أصرَّ على أنّ النصَّ الكتابيَّ يفتح باب السماء لأولئك الذين يطلبون الربِّ. ووصف المتصوّفون عبر القرون التدريبات الروحية بأنّها "سُلم يعقوب" الذي حاولوا أن يتسلّقوه. اتفقوا على أنّ هذه الممارسات قد تُحضرنا إلى باب السماء، ولكن أن يُفتح الباب من الناحية الأخرى. لا يستطيع النقشُ الزاهد أن يُنتج واقعاً روحياً. في نهاية الألفيَّة الثانية، كرّر زهبان جبل أثوس صلوات يسوع كأنّها تعويذة. كانوا قادرين بلا شكِّ على أن يصلُّوا عدّة مرّات بإخلاصٍ قائلين: "يا يسوع، يا ابن الله، ارحمنا."

^{٢٦} Vern S. Poythress, "A Framework for Discourse Analysis: The Components of a Discourse from a Tagmemic Viewpoint," *Semiotica* ٣٨, no. ٣/٤ (١٩٨٢): ٢٧٧-٢٩٨; "Hierarchy in Discourse Analysis: A Revision of Tagmemics," *Semiotica* ٣٨, no. ١/٢ (١٩٨٢): ١٠٧-١٣٧.

مع ذلك، يقود التكرار المستمر إلى فقدان السيطرة على الفكر العقلاني وإلى عزل الإدراك الحدسي. يختلف هذا الإدراك عن تعميق الفهم والإيمان الذي يُحضِر العقل والقلب إلى محضر الرب. إن سَمَع كلمة الرب هو ممارسة ترتبط بالإيمان - بتصديق أن الرب يسمع تضرُّعنا ويستجيب له. إن شركة الرب معنا أمرٌ شخصي. تتجاوز شدتها حدود تعبيراتنا عن التكريس، لكن كلماتنا وصرخاتنا تتجاوب مع كلمات محبته.^{٢٧}

لكي نرى كيف تجذبنا دراسة نص الكتاب المقدس إلى محضر الله، فكَر في مقطع كتابي يُعَبِّر عن محبته. يقول الرب لنا: "مَحَبَّةٌ أَبَدِيَّةٌ أَحَبَبْتُكَ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدَمْتُ لِكَ الرَّحْمَةَ" (إرميا ٣١: ٣). إن كلمات الرب مُوجَّهَةٌ إلى عذراء إسرائيل. تُعَبِّر الكلمات عن حبه العهدي. إن هذا الحب تكريسٌ أقسم به الله. إن كلمة رحمة (loving kindness) هي ترجمة للكلمة العبرية حِسِد (chesed). إن إله المحبة العهدية (chesed) هو الإله الذي حَتَم قَسَمه بتعهده بأن يكون المُخْلِص لخاصته. في تكوين ١٥، نقرأ عن قَسَم الله بأن يكون إله إبراهيم، وهو قَسَم يرتبط به استعداد الشخص لتحمل العقوبة إذا نقض العهد. لكي يحفظ قَسَمه، جاء الله بنفسه ليكون المُخْلِص لشعبه.

إن الانتباه للنص الكتابي يُظهر لنا أن تعبير الله عن محبته يربط هذه المحبة بشعبه المُخْتَار. لقد أتى الله في محبته ليرينا تكريسه لخاصته. ظهر الله لإبراهيم وولنسله بصفته ملاك الرب. إن تكريس الرب، أي محبته العهدية (chesed)، أمرٌ شخصي بعمق، لكنه مُوجَّه إلى شعبه المُخْتَار. نحن المُخْتَارون في المسيح نَنشَارِك في المحبة المُعْطَاة لنا من أجل المسيح، بصفتنا أعضاء جسده. لا يمكن لأي مؤمن أن يفتخر بشركة منعزلة مع المسيح. تقول الترنيمة المعروفة، "أنا أتى إلى الحديقة بمفردي، بينما الندى لا يزال على الورود.... البهجة التي ننتشاركها في حين نبقي هناك، لم يعرفها أحد من قبل." يتعارض هذا التفاخر بالشركة المنعزلة مع مبدأ التقوى الكتابية. تحدت الرب فعلاً عن صمته الرقيق في محبته لشعبه، وابتهاجه بهم بالترنم (صفنيا ٣: ١٧). مع ذلك فإن الرب يُخاطب شعبه لا أفراداً منعزلين. تبتعد الرومانسية العاطفية عن استجابة الإيمان لحقيقة محبة الله.

إن التأمل المُتَأَنِّي التقوي في كلمة الرب يبقى هو المفتاح للدخول إلى محضره في عبادة.

^{٢٧} See E. P. Clowney, *CM**: *Christian Meditation (Nutley, N.J.: Craig, ١٩٧٨).

بناء العظة التي تُقدّم المسيح

يَتغيّر تقسيم الشرح/التطبيق بحضور المسيح

في تنوع كلمات وأعمال يسوع

كثيراً ما انقسمت العظات بين الشرح والتطبيق. توجد استراتيجية أخرى تُبقي التطبيق إلى نهاية العظة. ولتجنّب تكثُر التطبيقات، يُمكن تقديم تطبيقات مُختصرة بعد كل نقطة في العظة. كثيراً ما يؤدي هذا إلى سلسلة من العظات القصيرة المرتبطة بشكلٍ غير مُحكم بموضوع العظة.

إنّ تقديم المسيح في الرسالة يحلّ هذه المشكلة، لأننا بذلك نُقدّم يسوع في ما يقوله وما يفعله ليُعلن عن نفسه، وكذلك في ما يقوله وما يفعله ليقودنا نحن. مرّةً أخرى، يُوجد حضور يسوع رسالتنا حين نسمعه. ولكي يكون المُستمعون واعيين بيسوع، يجب ألاّ نُهمّل الوعظ من قصص الأناجيل. إن الشعور القوي بحضور يسوع يعتمد على مدى معرفتنا بكيف كان يتصرّف في خدمته الأرضية وماذا قال للجموع، ولتلاميذه، ولخصومه، ولأبيه السماويّ. إنّ يسوع الحقيقيّ هو الشخص الذي نعرف حضوره بالإيمان. إن الوعظ عن الربّ مثلما هو موجودٌ في قصص الإنجيل له قوّة وتأثير أعظم من صنع أفضل الأفلام التي تسعى لتصوير خدمة الربّ. إن فيلم يسوع الذي تمّ نشره عالمياً من خلال هيئة الخدمة الروحية (Campus Crusade) قدّم الإنجيل لحشود كبيرة، بما في ذلك الآلاف في المجتمعات التي لا تُعرف القراءة والكتابة. مع ذلك، به عيب كبير في أنه يَختم عند هذه النقطة: حضور يسوع. يناشد المُمثّل المشاهدين بأن يأتوا إليه ويتقوا به. إن الجهد المبذول لتقديم واقع أبعد من الكلمة الموعوطة يفشل بصفته خيالاً. إن ذلك المُمثّل ليس يسوع.

إن هذا يُحدّرنا بصفتنا وُعَاط. نحن لا نستطيع أن نقوم بدور يسوع، أو تعبيرات وجهه عندما تكلم. لا يمكن أن تستخدم حقيقة يسوع بديلاً أو ممثلاً

بخصوص تسامي المجد السماويّ للمسيح

لا نحتاج إلى أوصاف مجد يسوع في الرسائل بشكلٍ أقل. ففي هذه الرسائل المُوحى بها، تجذبنا حقيقة قيامة يسوع الجسديّة ومجده السماويّ إلى يسوع الذي هو هو أمس واليوم وإلى الأبد (عبرانيين ١٣ : ٨).

إنّ تقديمنا ليسوع يأخذ في الاعتبار إقرارات إيمان الكنيسة عبر العصور. كان الخلاص يعني دائماً أننا نتحد بالمسيح بالإيمان. نعرفه بصفته وسيطانا، ونبينا، وكاهننا، وملكنا في خدمته على الأرض وكذلك في مجده في الأعالي. على الصليب متّلاً، ومن على العرش أتى إلينا بروحه. اقرأ رسالة بولس إلى أهل فيلبي وانظر كيف أنّ إدراكه ليسوع يتغلغل كلّ أنحاء الرسالة. ويُبيّن إنجيل يوحنا لنا كيف أنّ كلمات يسوع رافقت الأعمال العظيمة التي كانت علامات لمجيئه.

إننا نُقدِّر عن حقِّ الوعظِ العقائديِّ. نَحْتَاج أن نُعلِّم الكنيسةَ عن شخص وعمل يسوع. ومثلما هو الحال دائماً، فإنَّ الأناجيل الكاذبة تنتشر. مع ذلك، نَفقد حقيقة الربِّ إذا ما فقدنا تركيزنا على حقيقة وجوده. إن تصنيف الأخطاء لن يكون مفيداً إذا حدَّرتنا من بيلاجيوس (Pelagius) أو أرمنيوس (Arminius) ولكن لم نُظهر مجدَّ الربِّ الذي أخفقوا في فهم كلمته.

بناء العظة التي تُقدِّم المسيح في قصة الفداء

إن كلَّ تقديم ليسوع له بُعدٌ قصصي. إن مجيئه يُحقِّق ذروة قصة الكتاب المُقدَّس العظيمة. وفي العهد القديم، يظهر يسوع بصفته ملاك الربِّ، مُعرِّفاً نفسه باسم "أهيه"، الإله الكائن (خروج ٣: ٢، ١٤). رأى إشعيا مجدَّه في الهيكل. ومثلما رأينا، فإنَّ يوحنا يُعرِّف الربَّ المجيد الذي رآه إشعيا في رؤياه بأنَّه يسوع (يوحنا ١٢: ٤١).

تَصِفُ قصصُ العهد القديم مجيءَ الربِّ بأنَّه حاضرٌ في نسل الموعد. عندما دخلَ أبرام أرضَ كنعان بتوجيه من الربِّ، ظهرَ له الربُّ عند بلوطات شكيم ووعدَ بإعطائه الأرض. بنى أبرام مذبحاً للتذكير بظهور الله. بعد ذلك، ظهرَ الله في عمود نار ليُعبرُ بين الذبائح المشقوقة - وهو ظهورٌ رمزيٌّ. وهذا، مثلما رأينا، كان علامةً على قَسَمِ الله الذي حَنَمَ به عهده لأبرام. لكن في وقتٍ لاحق، أتى الربُّ مع اثنين من الملائكة ووعدَ بما كان مستحيلاً لدى البشر، أن يكون لسارة العجوز ابنٌ. جلبَ الله البهجة لإبراهيم وسارة عندما وُلِدَ إسحاق. ثم طلبَ الربُّ من إبراهيم أن يُقدِّم إسحاق، ابنه الذي يحبُّه، ذبيحةً. لكن إسحاق لم يستطع أن يكون الذبيحة المطلوبة لأجل خلاص إبراهيم. عندما مدَّ إبراهيم سكينته ليذبح ابنه، أمسك الربُّ يده. قدَّم الربُّ بديلاً، كبشاً ممسوكاً بقرنيه في الأغصان.

أتى الربُّ في حياة يعقوب مرَّةً أخرى ليكون حاضراً، وليُجدِّد وعدَ عهده. عندما أخذَ يعقوب بركةَ أبيه، هدَّده أخوه عيسو بالقتل، فهربَ يعقوب. وعند بيت إيل (تكوين ٢٨: ١٠-٢٢)، نَزَلَ الربُّ ليُكرِّر وعدَه. مثلما رأينا، فإنَّ ظهورَ الربِّ ليعقوب يقول إنَّ الربَّ وقف فوقه. في حلم يعقوب نَزَلَ على السُّلم ليقف فوق يعقوب (انظر تكوين ٣٥: ١٣، حيث أنه عند بيت إيل "صعدَ الله عنه" مرَّةً ثانية). لقد نَزَلَ على السُّلم في حضوره ليكون مع يعقوب، ووعدَه بأنَّه لن يتركه أبداً. كان الألقوم الثاني في الثالث، ابن الله، هو مَنْ وقف فوق يعقوب. دائماً ما يظهر حضور الربِّ في مجيء الابن، المُعلِن عن الأب. تحدَّثَ يسوع عن هذا المقطع عندما أخبرَ نثنائيل بأنَّه سوف يرى السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان (يوحنا ١: ٥١). يبدو أنَّ يسوع لا يربط نفسه بالسُّلم، بل يُشير إلى نفسه بأنَّه الشخص الذي صعدتُ ونزلتُ عليه الملائكة عند مجيئه إلى بيت إيل. سوف يُصاحبونه مرَّةً أخرى في مجيئه الثاني، عندما يأتي في مجدِّ.

كان حضور الربِّ مُوضَّحًا بشكلٍ دراماتيكيٍّ عندما نَزَلَ الربُّ لِيَتَصَارَعَ مع يعقوب عند مخاضة يُوُوق. كان يعقوب عائدًا بإرشاد من الربِّ بعد السنوات التي قضاها مع لابان في حاران. كان مُرتعبًا من لقاء عيسو، الذي هرب من أمام غضبه. قابل جيشان من الملائكة يعقوب عندما دخل الأرض؛ ثمَّ قَابَلَهُ الربُّ في مباراة مصارعة. كان لمصارعة الأبطال مكانةً في الأدب الدينيِّ للشرق الأدنى القديم. يجب ألاَّ نُفَكِّر في تهريج مباريات المصارعة على شاشة التلفزيون. ففي مصارعة يعقوب، فاز كلاهما عن طريق الخسارة. حَسِرَ يعقوب عندما لمسَ الربُّ فخذه، ولكن يعقوب فاز لأنَّه لم يَشَأْ أن يُطْلَقَهُ. حَسِرَ الربُّ بشكلٍ ما عندما بَارَكَ يعقوب؛ لكنَّه فاز، لأنَّ مُباركة يعقوب كانت هي غرضه النهائيِّ. أصبحَ يعقوب أعرج في "فخذه". عندما يُذَكَّر "فخذ" يعقوب في مقطعين كتابيين آخرين، فإنَّه يُشِيرُ إلى ذرِّيَّة يعقوب، أي نسله. إن رمزيَّة نسل يعقوب تُشير إلى المسيح، الذي تمَّ "تثبيته" على الصليب لأجلنا. في الفجر الباكر، استطاع يعقوب أن يُميِّز وجه الملاك. ودعا المكان فينئيل، لأنَّه قال: "لأنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهِهِ، وَنُجِّيتُ نَفْسِي". (تكوين ٣٢: ٣٠)

عَبَّرَ قِصَّةَ الخروج كلها، نَجِدَ حضورَ الربِّ مُعلَّنًا لإسرائيل. تكلمَ ملاك الربِّ إلى موسى في العليقة المُشتعلة. وعندما سأله موسى عن اسمه، كان الاسم الذي أعطاه الملاك هو يهوه، "أهيه". قال الربُّ إنَّه كان قد سَمِعَ أنين شعبه في عبوديَّتهم، ونَزَلَ لِيُخْلِصَهُمْ. لا يُخْلِصُ الربُّ من على بُعْدٍ ولكن بحضوره الشخصي. في عمود النار والسحاب، قَادَ حضورُ الربِّ شعبه في خروجهم من مصر. عندما طاردهم المصريُّون، صارت سحابة الربِّ حاجزًا ناريًّا لَتَحْمِي شعب إسرائيل من مركبات المصريين. نَظَرَ الربُّ من السحابة لِيَجْلِبَ الدمار على مركبات المصريِّين عندما شرعوا أن يَمْشُوا الطريقَ الذي صنَّعه الربُّ وسط البحر.

عندما أحضرَ الربُّ شعبَ إسرائيل إلى سيناء، قال لهم: "أَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنَحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ" (خروج ١٩: ٤). كان خوفُ إسرائيل خوفًا من حضور الله عندما وقفوا أمامه حيث كانت سحابته تُغَطِّي الجبل.

في المقاطع التي تُصِفُ الخروج، نَزَلَ اللهُ في سحابة حضوره ليقود شعبه ويحميه. نَذَكُرُ أنَّ عمود النار حمى شعبَ إسرائيل من مطاردة مركبات المصريِّين لهم. على جبل سيناء، استلمَ موسى تصميمات خيمة الاجتماع، خيمة الله المنصوبة في وسط مُخِيَمِ إسرائيل. مع ذلك، حتى بينما كان موسى يَسْتَقْبِلُ هذه التصميمات، كان الشعبُ يَعْبُدُونَ العجلَ الذهبيَّ الذي صنَّعوه.

بعد عبادة الأوثان تلك، قال اللهُ إنَّه لن يستطيع أن يَسْكُنَ وسط شعبه. إن التصميم الذي تلقَّاه موسى من الله وضعَ خيمةَ الاجتماع في منتصف مُخِيَمِ الأسباط. كان على الأسباط حسب عشائرتهم، أن يَرْفَعُوا أعلامهم حول خيمة الله، بينما كان الكهنة واللاويُّون مُخِيَمِينَ ناحية الشرق، أمام خيمة الاجتماع. لقد كانوا

شعب "صلب الرقبة" (مثل الحصان الذي يقاوم لجامه). وكان خطرًا للغاية عليهم أن يسكن الرب في خيمة في وسط معسكرهم. كان من الممكن أن يشتعل لهيب قداسته ويُفنيهم.

قال الله إنه لن يسكن وسط خيامهم، ولكنه سيتقدمهم. سيُطرد الكنعانيون من أرض الموعد، لكنه لن يُخيم بينهم" (خروج ٣٣: ٣). تُترجم عبارة "في الوسط" العبارة العبرية بدقة أكبر وبشكل أوضح. فإذا لم يكن حضور الله في وسطهم، فلن يحتاج الله أن يُخيم بينهم. لن تكون هناك حاجة لخيمة الاجتماع.

عندما قال الرب إن حضوره لن يذهب معهم، أجاب موسى بأنه لن يكون هناك فائدة من ذهابهم. قاد شعب إسرائيل في نوح، ثم صلى. صلى موسى لكي يُعلن الرب اسمه مرة ثانية لموسى، ويُري موسى مجده. كان اسم الرب ومجده تعبيرين عن حضوره. سمع الله صلاة موسى وأعلن أن اسمه يهوه، المملوء بالإحسان (chesed) والوفاء (emet)، أي المحبة العهدية والأمانة (النعمة والحق). أظهر الله مجده لموسى، عندما مرَّ بموسى المُختبئ في نُقْرة من الصخرة.

في إنجيل يوحنا، استخدم يوحنا الكلمة اليونانية التي يمكن ترجمتها "سكن" أو "خيم". أشار يوحنا إلى خروج ٣٤: ٦ في يوحنا ١: ١٤. في صلاة موسى، نجده يُكرّر كلمات الرب أنه لن يقدر أن يذهب وسط هذا الشعب الصلب الرقبة، لكنه أضاف: "وَاعْفِرْ إِثْمَنَا وَحَطِّبْنَا وَاتَّخِذْنَا مَلَكًا" (خروج ٣٣: ٥؛ ٣٤: ٩).

إن المقطع بأكمله هو نقطة التحول في سفر الخروج. بعدما وعد الرب أن حضوره سيكون معهم، تبرع الشعب بسخاء لخيمة الاجتماع؛ بُنيت بالضبط وفقًا للتصميم الإلهي، ويُختتم السفر بمجد حضور الرب الذي يملأ قدس الأقداس. إن سفر الخروج كله هو عن حضور الرب، وتخليصه، وإرشاده لشعبه، ثم سكناه معهم. مثلما تُشير الإشارة في يوحنا ١: ١٤، فإن كل هذا يُشير إلى مجيء الرب المتجسد.

أعلن المسيح أيضًا عن نفسه في أمثلة (types) رموز العهد القديم. من خلال قصة العهد القديم، لا نسمع فقط عن حضور الرب ولكن كذلك عن مجيء عبد الرب، مُصورًا مُسبقًا في الذين خدموا في عهده. منذ أن جاء المسيح، لم تعد الرموز المفصلة للناموس الطقسي تُقدم دليلًا إرشاديًا للطقوس. بل إننا نُجذب من الظل إلى النور، نور حضوره.

تُقدم رمزية الأدب الرويوي المسيح من خلال استخدام صور العهد القديم في رؤى يوحنا على جزيرة بطمس. استفاد الوعظ من سفر الرؤيا الكثير من الدراسات الحديثة. أظهر تفسير دينيس جونسون (Dennis Johnson) رمزية سفر الرؤيا في سياق تاريخ الفداء.^{٢٨} إن إعلان الحكم الخلاصي الحالي للمسيح يحتاج إلى تركيز واضح بسبب انتشار الديانات الأخرى والحروب الحالية.

^{٢٨} Dennis Johnson, *The Triumph of the Lamb* (Nutley, N.J.: Presbyterian & Reformed, ٢٠٠١).

الخطاب المباشر يُقدّم يسوع

إنَّ يسوع حاضرٌ عندما يُعلن عن نفسه لنا وكذلك عندما يتحدّث ليُعلّمنا، ويقودنا، ويُحدّرنا. عندما تعظ من قصص الأناجيل، لا تقوم باستخدام كلمات المسيح في صيغة الخطاب غير مباشر. بل ادعُ سامعك لأنَّ يسمِعوا كلمات يسوع، واقتبسها. "كَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟" إنَّ يسوع نفسه يتحدّث من خلال الوعظ. تم انتقاد طبعات الكتب المقدّسة التي تحوي أحرف حمراء بأنّها تُلمّح إلى أنّ أقوال يسوع لها بشكلٍ ما سلطان أكبر من بقية الإنجيل الذي يُسجّل هذه الأقوال. كلاهما نصّ كتابيّ، كلاهما كلمة الله. مع ذلك، اقتبس الرسول بولس كلمات الربّ يسوع عندما كان يُرسيخ فريضة العشاء الربّانيّ (١ كورنثوس ١١: ٢٣-٢٥). تَرى قراءةً ماكس ماكلين (Max Maclean) لإنجيل متى باتهامات يسوع حيث وَبَّحَ الربُّ عدمَ إيمان مقاوميه. بالنسبة للفريسيّ الذي دعا يسوع ليكون ضيفاً على العشاء، كان حضورُ يسوع غير مريح له أكثر من أي شخصٍ آخر (لوقا ٧: ٣٦-٤٧). لا نجرؤ على أن نَعْظ بتهاون التحذيرات التي يتحدّث بها يسوع وهو حاضرٌ بالروح.

الاستعداد بالصلاة لتقديم المسيح

البحث عن مسحة حضور يسوع

لا تُصِلْ بشكلٍ عام من أجل أن يُبارك الربُّ رسالتك، ولا من أجل المسحة في صورة التعزيد عند الوعظ. عندما تكون في شركة مع الربِّ في الصلاة، اطلب حضوره. اطلب إدراكاً بشخصه عندما تنظر إلى الأشخاص الذين تتحدّث إليهم. من المؤكّد أنّ الربُّ سيُعلن عن حضوره من خلال كلمته. إن القوّة له، ومثلما تعرف جيّداً، فإن مستوى تقديسك لا يُحدُّ من تأثير رسالتك. نستطيع أنا وأنت أن نتذكّر العظات التي لم تكن تَعْلُو كثيراً لكن استُخدمت في فَتْح عيون الإيمان.

في إحدى المرّات، كنت أحتسي الشاي مع مارتن لويد جونز (Martyn Lloyd-Jones) في إيلينج، بلندن. وقرّرت أن أطرح عليه سؤالاً كان يؤرّقني. فقلت له: "دكتور لويد جونز، كيف يمكن أن أميّز ما إذا كنت أعظ بقوّة الجسد أم بقوّة الروح؟"

أجاب لويد جونز قائلاً: "هذا سهل للغاية،" بينما كنتُ أشعر بالذبول. أكمل لويد جونز قائلاً: "إذا كنت تعظ بقوّة الجسد، فستشعر بأنك تسمو وترتفع عالياً. لكن إذا كنت تعظ بقوّة الروح، فستشعر بالرهبة والتواضع."

أظهر لي الربُّ، في رحمته، ما كان يعنيه لويد جونز. فقد كنتُ في لندن في طريقي إلى قلعة شلوس-ميترسيل (Schloss-Mittersil)، وهي قلعة في النمسا تملكها زمالة انترفاستي (InterVarsity) المسيحيّة. كنتُ سأحدّث هناك في مؤتمر للطلبة. وكان بعض الطلبة في المؤتمر أمريكيين، ولكن البعض الآخر

كانوا من بلاد ما وراء الستار الحديديّ. وفي ظهيرة يومٍ ما، تقابلتُ مع المجموعة لأتحدّث معهم. كان المكان عبارة عن غرفة في بُرج في القلعة. وكانت هناك نار عظيمة مُشتعلة في الموقد. وكان الطلاب يتنزّهون في الجبال، ثمّ وصلوا إلى الغرفة تباغًا لسماع الرسالة قبل العشاء. كانت الغرفة ساخنة. وكانوا يشعرون بالنُعاس، وأنا كذلك. ولكنني قدّمت لهم يسوع. ولم أكن مستعدًا تمامًا لما حدث. فعندما انتهيتُ، بدأ العديد من الطلبة في البكاء. وجئنا البعض على رُكبهم للصلاة. واستمرُّوا في الصلاة، وجلستُ للصلاة معهم. وبعد مدّة رنّ جرس العشاء من غرفة الطعام بالأسفل.

ولكوني غير معتاد على النهضات، لم أرغب في إطالة الوقت بشكلٍ مُصطنع. فقرّرت أنه من الأفضل أن أنزل حتّى لا أتعارض مع وقت تقديم الطعام. وبالفعل نزلتُ، ولكن حين فعلتُ ذلك، لم يأتِ أيُّ شخصٍ آخر سواي. ولا أعرف كم من الوقت جلست في غرفة الطعام الفارغة قبل أن ينزل أيُّ شخصٍ آخر. ربّما كان ذلك فقط خمسة عشر أو عشرين دقيقة.

الآن عرفت ما كان لويد جونز يعنيه. لقد كنت أشعر بالرهبة.

ممارسة حضور الربّ

إن الهدف من هذا الجزء مُصاغ جيّدًا في الكُتَيْب المميّز الذي يحمل هذا العنوان.^{٢٩} لقد وَبَّخ يسوعُ تلاميذه لإيمانهم القليل عندما شكّوا في هويّته حين أتى إليهم ماشيًا على الماء. صرخوا في خوفٍ قائلين "إنّه شبح" (متّى ١٤ : ٢٦ ، ٣١). قبل أن يذهب إلى الصليب، أخبر يسوعُ تلاميذه أنّه يجب أن يتركهم ويذهب إلى الآب، لكنّه أضاف بأنّه لن يتركهم يتامى، بل سيأتي إليهم (يوحنا ١٤ : ١٨). وبعد القيامة، أخبرهم يسوعُ أن يَنتظروا موعدَ الآب. كان هذا الوعد يدور حول مجيء الروح القدس الذي سيأتي يسوعُ فيه إليهم. إن ذلك هو السبب في أنّ سفر أعمال الرسل يَستكمل قصّة ما ابتدأ يسوعُ يفعله ويُعلّم به بعدما ارتفعَ للسماء (أعمال الرسل ١ : ٤). لقد فعلَ ذلك بالروح القدس، الذي استقرّ على المؤمنين. ولهذا السبب تُخبرنا الرسائل عن اتّحادنا بالمسيح. تحدّث بولس كثيرًا عن كون المؤمنين "في المسيح". إن الاتّحاد بالمسيح يُجمّعنا بعضنا مع بعض في جسده (أفسس ٢ : ١٣-١٦)، أي الكنيسة.

في المزامير، بحثَ داود وكُتّاب المزامير الآخرون عن حضور الربّ في مسكنه، لكنهم ترنّموا أيضًا تحت ظلّ جناحيه في تجارب البريّة. إن ما بحثَ عنه كاتبو المزامير هو ما أُعطينا إياها بصفقتنا مؤمنين عندما أصبحت أجسادنا هيكلًا للروح القدس. تَمتلئ الرسائل بالتصريحات التي تُخصّ خلاصنا. إن الربّ معنا، ونحن معه. لا شيء يمكن أن يفصلنا عنه، أو عن حضوره. لذلك، نحن مدعوون إلى العيش مع الربّ الذي يحيا فينا بروحه. إن سلام الله الذي يفوق كلّ عقلٍ هو سلام حضوره.

^{٢٩} Brother Lawrence of the Resurrection, *The Practice of the Presence of God*, trans. John J. Delaney (New York: Doubleday, ١٩٩٦).

إنَّ ممارسة حضور الله تعني الاعتراف بما نعلم أنَّه حقيقي. نعيش في عالمٍ يئنُّ، منتظرًا فداء أبناء الله. ونحن أنفسنا نننُّ في وسط الأحران والمعاناة. ولكنَّ الروح القدس يشفع فينا ومعنا بأنَّات. ولا شيء يمكن أن يفصلنا عن محبَّة المُخلِّص. إننا نُلقي همومنا عليه، لأنَّه هو يعتني بنا.

الوعظ في حضور الربِّ

بينما نسعى لتقديم يسوع في وعظنا، لا نملك مواهب ودعوة الرسول بولس. ولكننا نُصوِّر المسيح مصلوبًا أمام أعين سامعيِّنا. ثِقْ به. إنَّ الربَّ هو هو موجودٌ معنا. سأل التلاميذ الربَّ المُقام إذا كان في ذلك الوقت سيُرَدُّ المُلك لإسرائيل. ترك يسوع للأب توقيتات وأزمنة خطَّته. وبخصوص سؤالهم بشأن المُلك، أجاب يسوع بموعِد الروح القدس من الأب (أعمال الرسل ١ : ٨؛ يوحنا ١٤ : ١٦). لقد كان يسوع يُعلِّمهم بالروح القدس، وسيستمرُّ الروح القدس في تعليمهم. إنَّ يسوع هو الحقُّ، وروحه يشهد للحقِّ.

يُظهر سفرُ الأعمال كيف أرشدَ روحُ الحقِّ كنيسة الرُّسل في ضوء إعلان الربِّ. كانوا يعرفون حضور الربِّ بينهم، حيث إنَّهم فهموا أنَّه في الروح أتى يسوع بشخصه ليُكمل الأمور التي قد فعلها وعلمَّ بها قبل أن يصعد. إنَّ شهادتهم في اليهوديَّة، والسامرة، وإلى أقصى الأرض ستستمرُّ بقوة الروح القدس إلى أن يأتي يسوع ثانيةً.

لقد أُعطيت المواهب الرسوليَّة المميِّزة لأجل تأسيس الكنيسة. ميَّزت مواهب بولس المميِّزة رسوليَّته (٢ كورنثوس ١٢ : ١٢). إنَّ دعوته بصفته رسول الأمم أعطته الرسالة التي يقدر أن يُسميها "إنجيلي" (رومية ٢ : ١٦؛ ١٦ : ٢٥؛ ٢ تسالونيكي ٢ : ٨). اجتهد في أن يضع الأساس الذي سيبنى عليه الآخرون. لقد كان "خادمًا ليسوع المسيح لأجل الأمم، مُباشِرًا لإنجيل الله ككاهنٍ، ليُكون قُربانُ الأمم مقبولًا مُقدَّسًا بالروح القدس" (رومية ١٥ : ١٦). كانت قوَّته في الروح قوَّة في حضور الربِّ. لقد رأى كلَّ خدمته كعبادة. كانت الحياة بالنسبة إليه هي المسيح. لأجل يسوع ربِّه، عانى بولس من خسارة كلِّ الأشياء من أجل فضل معرفته (فيلبي ٣ : ٨، ٩).

إنَّ الوعظ في حضور الربِّ هو أمرٌ شخصيٌّ أكثر من منه امتلاكٌ لقوَّة التعبير، وهي القوَّة التي يُمكن اعتبارها أنَّها مسحة للمهمَّة. عندما كتب جيمس ماكونكي (James McConkey) عن الحياة المُنتصرة، شبَّه قوَّة الروح القدس بضغط المياه في سدِّ عظيم.^{٣٠} إنَّ تكريسنا الذي نقوم به يفتح الصمام ليسمح لقوَّة الروح القدس أن تتدفَّق إلى حياتنا. يوجد تشبيه آخر أكثر عصريَّة في تشبيهات ماكونكي. شبَّه قوَّة الروح القدس بالتيار الموجود في السلك الكهربائي الموجود فوق عربة الترام. ضع بكرة عربة الترام على السلك، وحينها سيُمرُّ التيار في المحرِّك. لكنَّ هذه التشبيهات أساءت فهم الحضور الشخصيِّ لروح يسوع. كان عليَّ أن

^{٣٠} James McConkey, *The Three-fold Secret of the Holy Spirit* (١٨٩٧; reprint Lincoln, Nebr.: Back to the Bible, ١٩٧٧).

أَتَعَلَّمُ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ خَلَاصِي لَا يَتَحَقَّقُ بِإِمْسَاكِ بِالرَّبِّ، بَلْ بِإِمْسَاكِ الرَّبِّ بِي. إِنَّ الرَّبَّ يُخَلِّصُنَا بِمُعْجَزَةٍ حُضُورِهِ الشَّخْصِيِّ مَعَنَا. هَكَذَا هُوَ الْأَمْرُ مَعَ الْوَعْظِ. نَحْنُ لَا نَسْعَى لَزِيَادَةِ الْقُوَّةِ فِي وَعْظِنَا بِكَلِمَةِ اللَّهِ. نَسْعَى لِحُضُورِهِ فِي فِعْلِ الْوَعْظِ، بَيْنَمَا نُقَدِّمُ شَخْصَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

دَائِمًا مَا يُهَيِّدُ الْوَعْيَ الْذَاتِيَّ تَقْدِيمَنَا لِلْمَسِيحِ. لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُقَدِّمَهُ إِذَا كُنَّا نَفْتَقِرُ إِلَى إِدْرَاكِ حُضُورِهِ. إِنَّ النَّظَرَ إِلَى الرَّبِّ نَفْسَهُ هُوَ الْحَلُّ. حَوْلَ أَعْيُنِ سَامِعِيكَ لِنَنْظُرُوا إِلَيْهِ. اسْتَخْدِمِ الْحَوَارِ. مَاذَا يَقُولُ سَامِعِيكَ لِلرَّبِّ؟ اقْتَبِسْ مَا يَفَكِّرُونَ بِهِ. فَكِّرْ كَيْفَ تُخَاطِبُ كَلِمَةَ الرَّبِّ شَخْصًا مَا فِي الْجَمَاعَةِ أَوْ الْمُسْتَمْعِينَ. تَخَيَّلْ مَا يَقُولُهُ بَعْضُ سَامِعِيكَ لِلرَّبِّ، وَأَعْلِنْ إِجَابَتَهُ مِنْ كَلِمَتِهِ. أَنْتِ تَتَوَسَّطُ حَوَارًا لِقَدِّيسٍ وَخَاطِئٍ مَعَ الرَّبِّ نَفْسَهُ. تَذَكَّرِي أَنَّ كَلِمَتَهُ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ فَارِغَةً، وَأَنَّهُ هُوَ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهَا. اجْعَلِي لُغَتَكَ حَيَوِيَّةً، لَا مِنْ خِلَالِ التَّشْبِيهَاتِ وَالرُّسُومِ التَّوْضِيحِيَّةِ وَالصُّورِ الْكَلَامِيَّةِ الَّتِي تَسْرَقُ الْإِنْتِبَاهَ عَنِ الرَّبِّ، وَلَكِنْ مِنْ خِلَالِ إِشَارَاتٍ حَيَّةٍ إِلَى مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ وَيَفْعَلُهُ. تَأَكَّدِي مِنِّي أَنَّ التَّشْبِيهَاتِ وَالرُّسُومِ التَّوْضِيحِيَّةِ لَا تُشَبِّتُكَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي تَوْضِّحُهُ التَّشْبِيهَاتِ. اجْذِبِي الْإِنْتِبَاهَ بِقِصَّةٍ عَنِ نَجْمِ مُوسِيقِيٍّ أَوْ رِيَاضِيٍّ، وَلَنْ تَتِمَّكَنَ مِنْ اسْتِعَادَةِ انْتِبَاهِهِمْ ثَانِيَةً!

إِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ نَصِيحَةً حَدِيثِيَّةً. إِنَّ مَا هُوَ حَدِيثٌ وَطَازِحٌ فِي وَعْظِكَ هُوَ التَّكْرِيسُ الَّذِي تَنْظُرُ بِهِ إِلَى الرَّبِّ لِكَيْ يُظْهِرَ نَفْسَهُ لَكَ وَلِمُسْتَمْعِيكَ.

المشاركة بترحيب الأب

(لوقا ١٥ : ١١-٣٢)

اعتاد الأمريكيون على تعليق الأشرطة الصفراء مع الأشرطة الحمراء والبيضاء والزرقاء. بدأ كل شيء مع بداية عهد رئاسة رونالد ريجان، عندما تم إطلاق سراح الرهائن من إيران. تم الترحيب بهم بالأشرطة الصفراء المعلقة على الشجر وأعمدة الكهرباء في العاصمة واشنطن، وعلى شارع ماين ستريت بأمريكا. جاءت هذه الصورة من أغنية شعبية عن زوجة ترحب بعودة زوجها، الذي تم إطلاق سراحه للتو من السجن، عن طريق ربط شريط أصفر "حول شجرة البلوط القديمة". تلاشت تلك الأغنية في هدوء، لكن ما زال الرمز عالقا في الأذهان. فأصبح الشريط الأصفر علامتنا لترحيب مبهج بعودة أحدهم إلى المنزل.

تُعطينا إحدى القصص التي رواها يسوع صورة الشريط الأصفر المربوط عبر بوابة السماء المفتوحة. وصف يسوع فرحة السماء في الترحيب بخاطئ تائب. عادة ما يُطلق على هذه القصة المألوفة مثل الابن الضال. قال البعض إنه ربما من الأفضل دعوتها بمثل الأخ الأكبر، إذ إنها تنتهي بردة فعله تجاه عودة أخيه إلى البيت. لكن الشخصية المركزية في القصة هي الأب، الذي يُرحب بكل الابنين لوليمته. يُخبرنا يسوع بالقصة حتى نفهم ترحيب الأب السماوي ونشارك في فرحة هذا الترحيب.

في الجزء الأول من القصة، يُظهر يسوع نعمة ترحيب الأب؛ في الجزء الثاني، يُخبرنا عن طلب الأب بالترحيب.

نعمة ترحيب الأب

تبدأ القصة بالأخ الأصغر. يعيش هذا الشاب في البيت ويكره كل دقيقة فيه. يُغضبه كل شيء: البيت نفسه، والزراعة، وطريقة معيشة والده. يوجد فقط شيء واحد يحبه بشأن أبيه: أموال الرجل العجوز. ولكن احتمالات الحصول عليها بعيدة. لا يُظهر والده أي علامة لاحتمالية الوفاة المبكرة. أخيراً نفذ صبر الشاب. فقال: "يا أبي، أعطني القسّم الذي يُصيني من المال".

يُعتبر هذا طلباً فظاً بالنسبة لأي مجتمع؛ كان طلباً قاسياً بالأخص في ضوء قوانين العهد القديم للميراث. نصح سفر الحكمة اليهودي الآباء بعدم تقسيم ممتلكاتهم قبل يوم موتهم: "لأنه خير أن يطلب بنوك منك من أن تنظر أنت إلى أيدي بنيك" (يشوع بن سيراخ ٣٣: ٢٢). لكن الأب فعل ما طلبه منه الابن الأصغر. قسّم تركته. وجد الشاب نفسه يمتلك ما لا يقل عن ثلث، أو ربما نصف، ممتلكات أبيه. ثم جمع كل هذه

الممتلكات معًا. أي أنه حوّلها إلى سيولة، حتّى يستطيع أن يضعها في صرّة ويغلق عليها. صار يمتلك ما أرادته دائمًا. صار بإمكانه الذهاب إلى حيث يريد وأن يفعل ما يشاء.

وفعل ذلك.

غادر المنزل على الفور؛ كلُّ خطوة هي خطوة نحو الحرّيّة، فاستمرّ في السفر. على مسافة هائلة بينه وبين بيت أبيه، يمكنه الاستمتاع بحياته.

في مدرسة الأحد التي كنت أذهب إليها في طفولتي كانت هناك كراسي مصنوعة من شجر البلوط موضوعة في دوائر وكانت هناك صور على الجدران المطلية. كانت كلها صور مدارس الأحد. مع ذلك، كان هناك في القبو، خلف باب في الممر، صورة لا تُشبه باقي صور مدارس الأحد على الإطلاق. صوّرت هذه الصورة الابن الضالّ في حفلة، في حفلة ما. لم يخطر ذلك ببالي عندما نظرت إلى الصورة، ولكن ممّا لا شكّ فيه أنّ الابن الضالّ دفع الفاتورة.

في سرده للقصة، لا يُعطي يسوعُ أيّ تفاصيل عن كيف أنفق الابنُ المسرف أمواله. هل مرّت أشهر أو سنوات قبل أن ينقص ما لديه من مال؟ هل تبخّرت أمواله سريعًا؟ أم كان متعلّقًا في صرفه على الخطيّة؟ عل أيّة حال، لم يتعلّق الأمر بالحانات الرخيصة أو النساء الرخيصات. لقد كان الأمر يتعلّق بكسرة خبز. كان الابن الضالّ مُفلسًا تمامًا عندما ضربت المجاعة البلاد وحدث تضخّم في أسعار الموادّ الغذائيّة. ولم يشتر له ميراثه المُبدّد أيّ أصدقاء. فكان لا بُدّ له أن يحصل على وظيفة حتّى لا يتضوّر جوعًا، وكانت الوظيفة الوحيدة التي تمكّن من الحصول عليها هي راعي خنازير، وكان دوره هو إطعام الخنازير. لم تكن النقطة المحوريّة هي أنّ إطعام الخنازير كان مهنة فوضويّة. لكنّ المشكلة أنّ الخنازير كانت حيوانات نجسة بالمعنى الدقيق لشريعة العهد القديم. لقد انكسر كلُّ رابطٍ مع بيت أبيه. أصبح الابن الضالّ غريبًا، وبعيدًا عن المنزل، ومغتربًا، وضائعًا، ونجسًا.

لم يتمّ تسليط الضوء على توبة الابن الضالّ في المثل. لم تبدأ على الأغلب في أعماق قلبه بل في تجويف معدته. لقد شاهدَ الخنازير وهي تطحن قرون الخرنوب الجافّة التي أطعمها إيّاها. لم يستطع دخله الضئيل أن يوفّر له الخبز اليوميّ، خاصّةً مع أسعاره وسط المجاعة. ربّما استطاع تحمّل الخرنوب الجاف. إذ كان، على أيّة حال، صالحًا للأكل. كم كان جائعًا! وأي وجبات استمتع بها من قبل! لقد جاءته الذكريات، لا إلى الموائد الفاخرة التي كلّفته ثروته، بل إلى العشاء في بيت أبيه. بيت أبيه! "كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لِأَبِي يُفْضَلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا!". (لوقا ١٥: ١٧)

نعم، لقد قالها عاليًا. وكانت حقيقةً. فلقد كان أحمقًا، وأحمقًا شريرًا. "الْحَافِظُ الشَّرِيعَةَ هُوَ ابْنُ فَهِيمٍ، وَصَاحِبُ الْمُسْرِفِينَ يُخْجَلُ أَبَاهُ" (أمثال ٢٨: ٧). كان يجب أن يعود إلى المنزل. وكان عليه أن يواجه أباه

مرّة أخرى. ماذا كان بإمكانه أن يقوله له؟ "يا أبي، أخطأت إلى السماءِ وقُدّامك، ولستُ مُستحقًّا بعدُ أن أدعى لك ابناً. اجعلني كأحدِ أجزاك". (لوقا ١٥: ١٨، ١٩)

سيستقبله والده وسيعطيه عملاً وطعاماً. كان متيقِّناً من ذلك. لم يكن لديه أيُّ حقٍّ في المطالبة بالعلاقة القديمة، لكنّه على الأقلّ سيتمكّن من رؤية وجه والده مرّة أخرى.

إنّ اعتراف الابن الضالِّ بَعْدِ استحقاقه تماماً يُهَيِّئنا لنتعجّب من رحمة أبيه ونعمة استقباله.

قد تُصيبننا دهشة جديدة إذا ما قارنًا القصة التي رواها يسوع مع قصة مماثلة في أدب البوذية الماهايانا. يتمُّ سرد القصة في "لوتس سوترا" الشهيرة.^{٣١} يترك شابُّ بيت أبيه ويغيب لعدّة سنين، "عشرين أو ثلاثين أو أربعين أو خمسين". يبحث عنه والده وينتقل لدولة أخرى، حيث يُصبح ثريًّا للغاية. على الناحية الأخرى، يواصل الابن تجواله كمتسوّلٍ حقير. ويومًا ما يصدّف أن يأتي الابن إلى المدينة التي يعيش فيها والده. لم يتعرّف الابن على والده، لكن في فضول كبير كان يُحدّق في العظمة الملكيّة لهذا الرجل المُسنِّ. من حوله خدام يُحركون المراوح، يجلس هذا الأب على عرش تحت مظلة مُرصّعة بالجواهر، ومسنّد قدميه مُزيّن بالذهب والفضة. ويعقد صفقات تجاريّة في سبائك الذهب، والذرة، والحبوب مع حشد من التجار والمصرفيين المحيطين به. كان المتسوّل منزعًا تمامًا وهو يفكّر في نفسه قائلاً: "إن أمثالي لا ينتمون إلى هذا المكان. دعني أخرج من هنا قبل أن يتمّ القبض عليّ لأقوم بأعمال السخرة."

لكن الأب تعرّف على ابنه من النظرة الأولى وأرسل خدّامه له. فأحضره، وهو يركل ويصرخ في رعب. كان واثقًا أنّه سيموت. ثمّ أغشي عليه، فرشّ الأب الماء البارد على وجهه، وأمر خدّامه بأن يتركوه يذهب. لم يكشف الأب هويته لابنه، ولا كشف هوية ابنه لخدّامه. لكن بدلاً من ذلك، أرسل خدّامه للعثور عليه مرّة أخرى في منطقة الأحياء الفقيرة في المدينة، ولكي يُحضره من خلال عرضٍ للتوظيف. تنكّر الخدّام في هيئة أشخاص مُشردين، ولطّخوا أنفسهم بالتراب وارتدوا ملابس بالية، ليكسبوا ثقة هذا المتسوّل. نجحت مهمّتهم، وصار الرجل الفقير يعمل في أدنى المهام. (فالمزرعة غير مُجهّزة بخزّانات الصرف الصحيّ.) كان الأب يُراقب ابنه عبر النافذة وهو يجرف الروث، أو بالأحرى، يُعيّنه في سلال. حتى أن الأب أيضًا لطّخ نفسه بالتراب وارتدى ملابس بالية ليذهب ويتحدّث مع ابنه ويشجّعه على عمله. كان الابن يعمل بإخلاص في الحقل، لكنّه كان لا يزال يعيش في كوخ قريب. بعد سنوات عديدة، عبّر الأب عن تقديره العميق لعمل ابنه المُخلص؛ وأعلن أنّه سيعامله بصفته ابنه وسيجعله وريثًا له. لكنّ الابن صار لا يُبالي بكلّ الثروة التي أُعلنت أنّها له؛ واستكمل حياته في الكوخ واستمرّ في العمل في المزرعة.

^{٣١} Chapter ٤ of the *Saddharma-Pundarika*, ed. F. Max Mueller, in *Sacred Books of the East*, vol. ٢١ (Oxford: Clarendon, ١٩٠٩), ٩٨-١١٧.

بعد حوالي عشرين سنة، أدرك ربُّ البيت أنَّ ابنه قادرٌ على الإِدْخَارِ، وصار ناضجًا وناميًا ذهنيًا؛ إذ إنَّه في وعيه يُنبئه صار يشعر بالخجل والاشمئزاز عندما يفكّر في فقْرِهِ السابق. "وإدراكًا لُقْرَبِ موته، دعا صاحبُ البيت أقاربه والمسؤولين والجيران وأعلن أمام الجميع: "هذا الرجل هو ابني حقيقةً، والوراث لكلِّ ما أمتلكه."

في نهاية هذه القصة، يُعتبر المغزى هو أنَّه "مثلما شاهدنا دائمًا المبادئ الأخلاقية تحت سيادة مَنْ يعلم الكونَ، فإننا نستقبل الآن ثمر تلك الأخلاق التي مارسناها سابقًا."

ما الفرق بين هاتين القصتين؟ كلمة واحدة تصف الفرق: النعمة! النعمة المذهلة! راقب الأب في المثل الذي قاله يسوع. رأى الأب من بعيد جدًا تلك الشخصية المألوفة. فصار يُلملم أذبال رداءه، ويُدخلها في حزامه، وبدأ يركض على طول الطريق للقاء ابنه. فَتَحَ ذراعيه لابنه، وضمَّه إلى صدره، وقَبَلَ وجهه راعي الخنازير الذي يعلوه العُبار. قال له الابن: "يا أبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدَ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا..."

لم يكن الأب سيمسح المزيد. بل التفت نحو البيت وذراعه حول ابنه، ونادى عبيده، "أَخْرِجُوا الخُلَّةَ الأُولَى وَالْبَسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءَ فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا العِجْلَ المُسَمَّنَ وَأَذْبَحُوهُ فَنَأْكُلْ وَنُفْرَحَ، لِأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فُوجِدَ". (لوقا ١٥: ٢٢-٢٤)

إنَّ مغفرة الأب كاملة ومجانبة لدرجة أنَّه لن يتأخَّر في أن يُعيد لابنه رموز مكانته: إنَّ الخُلَّةَ الأُولَى هي رمز الشرف؛ يحمل الخاتمَ حَتْمَ الأب؛ حتَّى الحذاء يَحْمَلُ معنَى - فالعبيد كانوا حفاة القدمين. وبعدها الاحتفال! يا له من ترحيب!

أين حِكْمَةُ هذا الأب؟ ألم يُلحق الابنُ الأصغرُ العار باسمه؟ ما الذي كان يفعله هذا الرجل؟ ماذا عن تلك الإشاعات؟ ماذا يتوقَّع الابن الآن، المزيد من المال؟

كلَّا، لم يوجِّه الأب الأسئلة الاتهامية لابنه؛ بل رحَّبَ به في فرح انتصاريٍّ. فابنه كان مَيِّتًا، وعاش، كان ضالًّا، فُوجِدَ. أشعلت نيران محبة الأب فرحه.

يُصوِّر الكتابُ المُقدَّسُ عادةً محبَّةَ الأب: أخذَ إبراهيمُ ابنَه الحبيبَ إسحاقَ إلى جبل المريا. هل لا بُدَّ أن يقدِّمه حقًّا ذبيحةً هناك؟

رأى إسرائيل العجوز رداءَ يوسف المُلطَّخَ بالدماء، دماء ابنه المفضَّل، وقد سلَّمَ للموت، فريسةً لحيوان بريٍّ. ثمَّ عَلِمَ أنَّ يوسف، الذي باعه إخوته عبدًا، أصبحَ أميرًا في مصر. نزلَ يعقوب إلى مصر واستقبله يوسف في الطريق. إن ابنه، الذي ناح عليه باعتباره مَيِّتًا، كان حيًّا بين ذراعيه.

كان الملك داود أبًا سيئًا، كان أحيانًا صارمًا جدًا وأحيانًا متسامحًا جدًا، لكنّه أحبّ ابنه المتمرد أبشالوم بشدة. عندما حدثت المعركة الكبرى بين قوّات داود وأبشالوم، كان يبدو أنّ الملك كان أقلّ اهتمامًا بنتائج المعركة من اهتمامه بسلامة ابنه. عندما أكدّ رسول النصر أنّ أبشالوم قد قُتِلَ، نوح داود، "يا ابني أبشالوم، يا ابني، يا ابني أبشالوم! يا لَيْتَنِي مُتَّ عَوْضًا عَنْكَ! يا أبشالوم ابني، يا ابني". (٢ صموئيل ١٨: ٣٣) مع ذلك، تأتي أعظم صرخة لمحبة الأب في العهد القديم ليس من داود بل من إلهه. امتلك الربُّ شعب إسرائيل باعتباره ابنه الذي كان في العبودية في مصر. كان أمره لفرعون، "أطلق ابني ليغدني" (خروج ٤: ٢٣). أرشد الربُّ ابنه البكر خلال الصحراء، مثل أبٍ يُعلِّم ابنه الرضيع المشي (هوشع ١١: ٤-١). عندما أصبح إسرائيل ابنًا متمردًا، نطق الله بدينونته على ارتدادهم. لكن من قلبه المحبِّ صرَّخ،

"كَيْفَ أَجْعَلُكَ يَا أَفْرَايِمُ،

أُصَيْرُكَ يَا إِسْرَائِيلُ؟! ...!

قَدْ انْقَلَبَ عَلَيَّ قَلْبِي.

اضْطَرَمَّتْ مَرَاحِمِي جَمِيعًا". (هوشع ٨: ١١)

طلب الأب بالترحيب

تغيَّر المشهد. فنحن خارجًا في الحقول حيث تتطلَّل الأتلام. كان الأخ الأكبر عائدًا من عمله. وعندما اقترب من المنزل، سمع ونظر. نعم، إنَّها موسيقى، موسيقى لفرقة موسيقية تعزف. كان البيت مُضاءً بالأنوار. وكان هناك غناء، ورقص؛ كانت قَمَّةُ التَّلَّةِ بأكملها تهتزُّ. فدعا واحدًا من الغلمان وسأله "ما الذي يحدث هناك؟"

لدينا إحساس بأنّه يعلم جيّدًا ماذا يحدث. فلم تُقام حفلة مثل هذه منذ غادر أخوه المنزل! أجاب الخادم: "أخوك جاء فدبَّح أبوك العجل المُسمَّن، لأنَّهُ قَبْلَهُ سَالِمًا". (لوقا ١٥: ٢٧)

ألقي الأخ الأكبر عصاه، وطوى ذراعيه، وبدأ غضبه في الاشتعال ببطء. احتفالًا، بالطبع! لم يكن مندهشًا من أنّ المُسرِفَ رَجَعَ، لكن ماذا فعل ليستحقَّ هذا؟ ينبغي جلده بدلًا من تكريمه! شعر الأخ الأكبر بالاشمئزاز من تصرُّف والده. كان يُفكر بداخله قائلاً: "على الأقلِّ، لا يُمكن أن يتوقَّع منِّي أن أحتفل معهم. على كلِّ، تمَّ تقسيم الممتلكات، وما تبقى هو ملكي: ذلك الرداء الأفضل، وذلك الخاتم، وبالأخص ذلك العجل المُسمَّن كان محفوظًا من أجل وليمة عظيمة."

كان يحتقر فرحة أبيه، وغاضبًا بسبب نعمته، ومُستاءً من محبّته لابنه الضالِّ.

حملَ الخادمُ الخبرَ إلى الأب. فابنه الأكبر كان يتجول في الحقول، غاضبًا بشدة، ويرفض الدخول إلى الوليمة. غادر الأبُ الوليمةَ سريعًا؛ وذهب في نفس الطريق للمرة الثانية ليدعو ابنه الأكبر إلى البيت. من الواضح أن الأخ الأكبر في هذه القصة يُمثّل الفريسيين، خصوم يسوع المُتبررين في ذواتهم. ففي الأصحاح السابق من لوقا نجد مثلاً آخر يحمل تحذيرًا صارمًا لهم. إنهم مثل الضيوف الذين يرفضون الدعوة إلى الوليمة. فيُرسِل المضيف المُهانَ خادمه ليجلب ضيوفًا آخرين من الشوارع وأزقة المدينة ومن الطرق السريعة والفرعية من البلد. سيمتلئ كلُّ مَقعد بالفقراء، والمقعدين، والعُمي، والعرج. لن يتبقّى أي مكان للضيوف المدعوين.

كان الفريسيون يحتقرون الفقراء ويحتقرون كذلك دعوة المسيح لهم لوليمة الملكوت. تمّ تحذيرهم من أنّ هناك آخرين سيجلسون مكانهم في وليمة السماء، وسوف يجدون أنفسهم مستبدين إلى الأبد. ولكن في هذا المثل، لا يزال يسوع مُمسكًا بالباب أمام للفريسيين ليدخلوا. فهم واقفون بالخارج، غاضبون لأنّ المسيح يحتفل مع العشّارين والخطاة. لكن يسوع يقول إنّ الأب لا يزال يسير الطريق لكي يدعوهم. فليُفكروا فيما يعنيه أن يرفضوا دعوته، إذا رفضوا أن يأتوا إلى وليمة المجد.

يُنشد الأبُ ابنه الأكبر أن يأتي إلى الوليمة. فيتلقّى ردًا مريّرًا: "ها أنا أخدمك سنينَ هذا عددها، وقطُّ لم أتجاوز وصيتك، وجدبًا لم تُعطني قطُّ لأفرح مع أصدقائي. ولكنّ لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني، دبخت له العجل المُسمّن". (لوقا ١٥: ٢٩، ٣٠)

إن ذلك الابن الذي كان يشعر بالمرارة كان أبعد عن المنزل، هناك في الحقول، من ذلك الابن الضالّ الذي كان في حظيرة الخنازير. لم تكن لديه أية محبة لأبيه. كان يفظ أوامر والده أمرًا بغیضًا بالنسبة له؛ كان العمل لدى والده عبوديّة. لم تكن سعادته الحقيقية مع والده؛ مثل الابن الضالّ في بداية القصة، كان يُفضّل أن يحتفل مع أصدقائه. لم يكن لديه أيُّ تصوّر لمحبة أبيه لأخيه، أو له هو. ولم تكن لديه أيضًا أيُّ محبة لأخيه. لم يدعو "أخي" بل دعاه "ابنك هذا" فقط.

كان توبيخ الأب له لطيفًا: "يا بُني أنت معي في كلِّ حين، وكلُّ ما لي فهو لك. ولكنّ كان ينبغي أن تُفرح وتُسّر، لأنّ أخاك هذا كان ميتًا فعاش، وكان ضالًّا فوجد". (لوقا ١٥: ٣١، ٣٢)

هناك بالتأكيد رقة في هذا التوبيخ. هل لم يعن للابن الأكبر ذلك الوقت الذي أمضاه مع أبيه؟ هل كانت علاقته بأبيه حقًا مثل علاقة العبد؟ هل كان يحقد على العجل المُسمّن في حين أنّ كلَّ الميراث كان ملكًا له؟ ألم يُبال بأن أخاه لم يمُت بل كان حيًّا؟

نعم، كان التوبيخ رقيقًا، ولكن الطلب كان أيضًا واضحًا. إذا كان فعلاً ابنًا حقيقيًا لوالده، يجب أن يدخل إلى الوليمة. لا يستطيع أن يبقى هناك في الظلمة الخارجية، مشتعلًا من الغيظ وغضب الغيرة.

لنفترض أنّ الابن الأكبر كان يعرف فعلاً قلب أبيه. ماذا كان سيفعل؟ من المؤكّد أنّه كان سيأتي إلى البيت مُسرّعاً عندما يعلم بعودة أخيه. هل كان من الممكن أنه سيفعل المزيد؟ حسناً، إذا كانت له حقاً نفس مشاعر والده، فإنّه هو أيضاً كان سيبحث عن أخيه. ربّما لكونه خارجاً في الحقول، أنه كان سيراه أولاً وسيذهب مسرعاً للقائه. هل كان بإمكانه أن يفعل أكثر من ذلك؟

في أثناء حرب فيتنام، هبطت طائرة استطلاع ملازم الجيش دانيال داوسون (Daniel Dawson) فوق غابة الفيت كونغ (Vietcong). عندما سمع أخوه دونالد التقرير، باع كلّ شيء كان يملكه، وترك لزوجته ٢٠ دولاراً، واشترى تذكرة سفر إلى فيتنام. وهناك جَهَّز نفسه بمعدّات الجنود وتجوّل في الغابة، في المناطق التي تُسيطر عليها العصابات، باحثاً عن أخيه. وكان يحمل منشورات لصورة الطائرة ووصفاً باللغة الفيتنامية لمكافأة مُقابل أيّ أخبار عن الطيّار المفقود. وأصبح معروفاً باسم أن توي في-كونج (Anh toi phi-cong) أي شقيق الطيّار. ووصف مراسلُ مجلة لايف (Life) بحثه المحفوف بالمخاطر.^{٣٢}

أجل، كان بإمكان الأخ الأكبر أن يفعل المزيد. لو كان مُهتماً فعلاً، كان بإمكانه أن يفعل ما فعله دونالد داوسون. كان بإمكانه أن يذهب إلى البلاد البعيدة، باحثاً عن أخيه. في الحقيقة، هذا ليس اقتراحاً مثالياً، لأنّه موجودٌ في قلب المثل. فهذا المثل هو واحدٌ من ثلاثة أمثال قالها يسوع في لوقا ١٥، كلّهم كانوا رداً على النقد اللاذع ليسوع على يد الفريسيين ومعلّمي الشريعة. كان يسوع مُحاطاً بالعشّارين والخطاة، المشتاقين إلى سماع تعليمه. لكنّ الفريسيين تذرّوا قائلين "هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ". (لوقا ١٥: ٢)

أجاب يسوع بأمثال الخروف المفقود، والدرهم المفقود، والابن الضالّ. وتنتهي كلّ قصّة بوليمة مبهجة للاحتفال بإيجاد ما فُقد. يدعو الراعي أصدقاءه إلى حفلةٍ لأنّه وجد خروفه المفقود. وتدعو المرأة صديقاتها لأنّها عثرت على الدرهم المفقود. ويحتفل الأب بعودة ابنه الضالّ، ويدعو الأخ الأكبر ليشارك في الفرحة. يُعلّم يسوع بأنّه هناك فرح في السماء بخاطي واحد يتوب. لكنّه أيضاً يُقارن خدمته بموقف ناقدية. إنهم يتذرّرون لأنّه يُعاشر الخطاة. فيجيب بأنّه يبحث عن الخطاة لأنّ أباه يفعل ذلك. يُصوّر يسوع بشخصية الراعي، الذي يبحث عن الخروف الواحد الضالّ. يُصوّر أيضاً بشخصية المرأة التي تكنس منزلها بحثاً عن الدرهم المفقود. ولكن مع ذلك لا يظهر يسوع في مثل الابن الضالّ. لكنّه بدلاً من ذلك، يخرج من القصّة ويضع مكانه شخصية الفريسيين. يفعل الأخ الأكبر نفس ما كانوا يفعلونه: يرفضون أن يُخالطوا الخطاة. كان يسوع يفعل العكس. فهو يفهم قلب أبيه الرحيم. لم يكن مستعداً فقط أن يدخل مع الخطاة إلى وليمة السماء؛ بل والأبعد من ذلك، أنه أتى ليبحث عن الخطاة حيث هم. لقد أتى يطلب ويُخلّص ما قد هلك. كان يبحث عن العشّارين، ووقف تحت شجرة الجميز ليدعو زكّا لينزل، ودعا يسوع نفسه إلى بيته. وجدّ المرأة الساقطة عند بئر السامرة، ونطق بالعُفْران لقاتلٍ مصلوبٍ معه.

^{٣٢} "A Haunted Man's Perilous Search," *Life*, March ١٢, ١٩٦٥.

لن نفهم هذا المثل إذا نسينا من رواه، ولماذا. إن يسوع المسيح هو أخونا الأكبر، هو الابن البكر للآب. هو الراعي الذي يبحث والذي يخرج ليجد من ضلّ؛ هو القيامة والحياة الذي يستطيع أن يهب الحياة للموتى؛ هو الوارث لبيت الآب. يستطيع الآب أن يقول له حقاً: "يا بُنَيَّ، كُلْ مَا لِي فَهُوَ لَكَ". هو الابن الذي أصبح عبداً حتّى يجعلنا بنين وبناتٍ لله. إنّ هذا المثل غير كامل إذا نسينا أنّ أخانا الأكبر ليس فرّيسياً بل هو يسوع. لا يرحّب بنا فقط إلى البيت، مُقارنَةً بالأخ الأكبر؛ لكنّه يأتي ليجدنا في حظيرة الخنازير، ويضع ذراعيه حولنا، ويقول: "ارجعوا إلى البيت!"

في الواقع، إذا نسينا يسوع، فإننا لن ندرك المقياس الكامل لمحبة الآب. إن الآب السماوي لا يتسامح مع الخطيئة. فهو إله قدّوس؛ يجب أن تُدفع أجرة الخطيئة. إن مجد النعمة العجيبة هو أنّ يسوع يستطيع أن يُرحّب بالخطاة لأنّه مات لأجلهم. لا يدخل يسوع إلى الوليمة فحسب، ليأكل مع الخطاة والعشارين المفديين؛ لكنّه يُجهّز الوليمة، لأنّه يدعونا إلى مائدة جسده المكسور ودمه المسفوك.

يُذَكِّرُنَا كاتب العبرانيين أنّ يسوع يسبّح الله في وسط إخوته (عبرانيين ٢: ١٢).^{٣٣} لقد تم التنبؤ بفرح وليمة السماء في شركة المُخْلِصِ المُسَبِّحِ. يَعْرِفُ يَسُوعُ قَلْبَ أَبِيهِ، وَيَبْتَهِجُ مَعَهُ. قَالَ يَسُوعُ وَهُوَ مَمْتَلِئٌ مِنَ الْفَرَحِ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ: "أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ، رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الْآبُ، لِأَنَّ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ". (لوقا ١٠: ٢١)

عُدْ إِلَى الْبَيْتِ إِلَى مَحَبَّةِ الْآبِ، وَإِلَى فَرَحِ وَلِيمَةِ يَسُوعِ. هَلْ أَنْتِ ضَالَّةٌ، بَعِيدَةٌ عَنِ بَوَابَةِ السَّمَاءِ؟ يَأْتِي يَسُوعُ الْآتَ لِتُعِيدِكَ. هَلْ أَنْتِ فَرِيسِيٌّ مَتَعَجِفٌ، تَتْبَاهِي بِالخَرْقِ الْقَدْرَةَ لِيُرِكَ الذَاتِي خَارِجَ بَيْتِ الْآبِ؟ اسْمَعِ كَلِمَاتِ يَسُوعِ، فَابْوِهِ السَّمَاوِيَّ يَدْعُوكَ أَنْ تَتُوبَ وَتَعُودَ إِلَى الْمَنْزَلِ مِثْلَ طِفْلِ صَغِيرٍ. أَمْ أَنْتِ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى الْإِثْنَانِ مَعًا: ضَالَّةٌ وَمَتَكَبِّرٌ، وَضِعٌّ وَتَحْتَقِرٌ غَيْرِكَ؟ لَا يَهْمُ؛ اطْرَحِي كُلَّ هَذَا بَعِيدًا وَتَمَسَّكَ بِيَسُوعِ.

أَمْ هَلْ أَنْتِ مُؤْمِنَةٌ؟ هَلْ وَجَدْتِ يَسُوعَ مِثْلَ الْخُرُوفِ الضَالِّ وَحَمَلْتِ إِلَى الْبَيْتِ عَلَى كَتْفِيهِ؟ إِذَا، فَكَّرِي فِيهَا يَضَعُهُ هَذَا الْمَثَلُ عَلَى عَاتِقِكَ. لَقَدْ دُنُوتِ نِعْمَةُ السَّمَاءِ. وَتَعْرِفِي حُضْنَ مَحَبَّةِ أَبِيكَ. وَتَعْلَمِي أَنَّهُ يَبْتَهِجُ بِكَ بِتَرْتُمٍ. مَاذَا يَعْنِي فَرَحُ السَّمَاءِ، فَرَحُهُ، نَحْوُ الْخَطَاةِ الضَالِّينَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكَ؟

رَبِّمَا نَقُولُ: "هَذَا يَعْنِي أَنَّنِي أَنَا أَيْضًا يَجِبُ أَنْ أَرْجِبَ بِالخَطَاةِ، وَأَكُونُ مُسْتَعِدًّا أَنْ أَكُلَ مَعَهُمْ، مِثْلَمَا دُعِيتُ أَنَا إِلَى مَائِدَتِهِ." هَلْ هَذَا كَافٍ؟ إِنْ الْإِبْنِ الْحَقِيقِيِّ، الَّذِي يَعْرِفُ قَلْبَ أَبِيهِ، لَمْ يُشَارِكْ فَقَطْ ثُوبَهُ مَعَ الْخَطَاةِ وَلَا خَاتَمَهُ أَوْ حِذَاءَهُ. لَكِنَّهُ ذَهَبَ لِيَجِدَهُمْ وَيُعِيدُهُمْ إِلَى الْبَيْتِ. فَأَيْنَ سَتَبَحَثُ الْيَوْمَ؟

"وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ، لِأَنَّ اللَّهَ مَحَبَّةٌ". (١ يوحنا ٤: ٨)

^{٣٣} لم ينطق يسوع فقط بصرخة الترك الموجودة في بداية مزمو ٢٢، بل وأيضًا بصرخة النصر في آية ٢٢. ينسب كاتب العبرانيين هذه الصرخة له في هذه الفقرة.

أنظر تكلفة الأمر

(تكوين ٢٢ : ١-١٩)

تضع الشوكة جانبًا إذ يرنُّ هاتفك وتجد من يقول لك: "تهانينا يا سيّد أو سيّدة. تارجت! لقد فزت معنا برحلة بحريّة للكاربيبي مدفوعة النفقات تمامًا!" أو ربّما كانت عشرة مليون دولارًا مُنحتُ لك بحسب البريد الإلكترونيّ الدعائيّ؟ هل ستقرأ السطور الصغيرة الحجم الموجودة بين سطور عرض الملايين هذا؟ بالطبع لا. فأنت لست بحاجة إلى أن تفعل ذلك.

هل تعتقد أنّ العرض الذي تُقدّمه رسالة الإنجيل مماثلٌ لتلك العروض؟ راجع قصّة إبراهيم المذكورة في تكوين ٢٢. وَعَدَّ اللهُ إبراهيمَ بالكثير، أكثر من رحلةٍ بحريّةٍ للكاربيبي، أو عشرة مليون دولارًا. وَعَدَّ اللهُ إبراهيمَ بأرض، وأمة، وبركة يُشارك بها جميعَ قبائل الأرض.

إلاّ أنّ بعض وعود الله أخذتُ وقتًا طويلاً كي تتحقّق. بعد عشرة سنوات من الوصول إلى كنعان، لم يكن لدى إبراهيم أرض أو أمة. في الحقيقة، لم يكن حتى لدى زوجته سارة ابنٌ. وبدافع الرغبة اليائسة في الحصول على النسل، قامت سارة بإعطاء جاريتها هاجر لإبراهيم، ووُلِدَ إسماعيل. مع ذلك، استمرَّ اللهُ في تكرار وعده لإبراهيم وسارة بأنّه سيكون لهما ابنٌ. بعد خمسة عشر عامًا أخرى، كان الله لا يزال يعدّهما. عندما تقدّم كلاهما في العمر وأصبحا شيخين يبلغان من العمر مئة سنة وتسعون سنة، وجَدَّ إبراهيم وسارة هذا الوعد غير معقول. ضحك كلاهما على وعد الله المستحيل. لكنَّ سارة ضحكت مرّةً أخرى؛ سُمِّيَ ابنها الصغير إسحاق الذي معناه "هو يضحك". كان الله هو من ضحك في النهاية.

كان إبراهيم بكلِّ تأكيد مُباركًا: كان لديه ثروات كثيرة وابنان وقطعان كبيرة. ماذا عن السطور الصغيرة ما بين السطور؟ لم تأتِ تكلفة البركة في كلمات صغيرة بين السطور. لكنّها أتت في أمر الله. نادى اللهُ إبراهيم وقال له: «يا إبراهيم!». فَقَالَ: «هَأَنْدَا». فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَأَذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِّيَّا، وَأَضْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ». (تكوين ٢٢ : ٢)

إن اسم "مُرِّيَّا" يُشير فعلاً أنّ هناك أمرًا سوف يُرى. "سوف تُرى على هذا الجبل تكلفةُ بركة الله لإبراهيم. سيرى إبراهيم هذه التكلفة من خلال خبرة الإيمان. سوف يُظهر اللهُ هناك أيضًا التكلفة التي هو وحده يستطيع أن يدفعها: تكلفة النعمة. سيرى سا إبراهيم أنّ الله هو المُخلّص.

التكلفة في اختبار الإيمان (المُريًا)

التكلفة هي كلُّ شيء: الالتزام الكامل للإيمان

الامتحان: تقدمه الإيمان

كان على الابن المحبوب، إسحاق، وارث الوعد، أن يُكرّس لله. كانت ذبيحة المحرقة الكاملة تقدمه تكريسٍ لله. كان إبراهيم سعيده إلى الله ما أخذه من الله.

بالنسبة إلى إبراهيم، كانت التكلفة هي كلُّ شيء. كان كلُّ ما وعد به الله يمشي بجانبه في ابنه إسحاق. لو كان الثمن هو إسحاق، فلن يتبقي شيء آخر. لقد انتهى "الضحك!"

بُناءً على أمر الله، أرسل إبراهيم إسماعيل بعيداً، لأنّه لم يكن ابن الموعود. "خذ ابنك، وحيدك، إسحاق...". لن يكون هناك وارث للأرض بدون إسحاق، ولا أمة عظيمة، ولا بركة تتبارك بها كلُّ الأرض.

نادى الله قائلاً: "يا إبراهيم!" لقد أعطاه الله هذا الاسم الذي يعني "أباً لجمهورٍ عظيمٍ". كيف يمكن إذاً أن يكون "إبراهيم" من دون إسحاق؟ كان إسحاق ختم إيمان إبراهيم وكان ابن محبته.

ربّما نقول: "حسناً، أنا أعلم أنّ هذه واحدة من الكنائس التي تعظ بالكتاب المقدّس، وأنك قرأت هذه القصة من الكتاب المقدّس. ولكن، هذا هو سبب أنك تجد صعوبةً في تصديق الكتاب المقدّس ولا سيّما العهد القديم. ها هي قصة فيها يأمر الله أباً بأن يقتل ابنه بأن يقطع رقبتة. لو كان إبراهيم أخذ إلى المحكمة، كان سيقول بأنّ هناك صوتاً من السماء أخبره بأن أفعل هذا. هل تريد منّي أن أعبد إلهاً يأمر بذبيحة بشرية؟"

في الحقيقة، من شأن هذه القصة أن تكون صادمة لمؤمني إسرائيل مثلما هي لنا اليوم. إن واحدة من الاختلافات الكبرى بين إسرائيل والأمم الوثنية التي كانت محيطة بهم، هي أنّ الله نهى عن تقديم الذبائح البشرية. في كنعان القديمة، كان مولك، إله العمونيين، يُعبد من خلال تقديم الأطفال في النار كذبيحة له (٢ ملوك ٢٣: ١٠؛ إرميا ٣٢: ٣٥؛ ٢ ملوك ١٧: ٣١). كان الإعدام هو عقوبة هذه الجريمة (لاويين ١٨: ٢١؛ ٢٠: ٢-٥).

لماذا إذاً نجد هذا الاستثناء الغريب لشريعة الله؟ رأى سورين كيركيغارد (Soren Kierkegaard)، الفيلسوف الدنماركي، أنّ هذا أمرٌ إلهيٌّ لارتكاب جريمة قتل. شرح سورين هذا الأمر على أنّه تعطيل القوانين الأخلاقية لغرض أعلى وأعظم.

إنّ الأمر الذي ننساه باستمرار هو عدالة الله. نغضب بسبب عنصريّة الرجال الذين جرّوا رجلاً أسود إلى ميتةٍ بشعةٍ خلف شاحنتهم. ولم يكن قد فعل أيّ شيء لهم. مع ذلك، فإنّ العقوبة التي سيواجهونها في

النهاية هي ليست أمام محكمة بشرية، بل أمام كرسيّ عدالة الله. لقد عَلَّمَنَا يسوع أَنَّ الله كَلِيّ القداسة. نُحِبُّ أَنْ نَفْكَرَ أَنَّنَا لَسْنَا أَسْوَأَ مِنْ غَيْرِنَا، لَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ أَنَّنَا كَلْنَا أَسْوَأَ مِنْ يَسُوعَ، الْإِنْسَانَ الْبَارِّ الْكَامِلَ الْوَحِيدَ الَّذِي عَاشَ عَلَى الْأَرْضِ. هُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ فِي يَوْمِ الدِّينُونَةِ. كَلْنَا أَخْطَأْنَا، وَأَعُوزْنَا مَجْدَ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلَا وَاحِدًا.

إِنَّ اللَّهَ لَدَيْهِ كُلُّ الْحَقِّ فِي أَنْ يَدِينِ الْخَطَاةَ بِالْمَوْتِ. فِي الْحَقِيقَةِ، عِنْدَمَا حَكَّمَ اللَّهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ قَبْلَ حَادِثَةِ الْخُرُوجِ، طَالَبَ بِحَيَاةِ الْابْنِ الْبَكْرِ لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ مِثْلَمَا فَعَلَ مَعَ الْمِصْرِيِّينَ. كَانَ الْابْنُ الْأَكْبَرُ، بِصِفَتِهِ مُمْتَلًا لِلْأُسْرَةِ، مُحْكُومًا عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، لَكِنَّ الرَّبَّ قَدَّمَ خُرُوفَ الْفِصْحِ بَدَلًا عَنْهُ، فِي وَجُودِ عَلَامَةِ الدَّمِ عَلَى قَائِمَةِ الْبَابِ. لِاحِقًا، اسْتَمَرَ اللَّهُ فِي التَّأَكِيدِ عَلَى حَقِّهِ فِي الْابْنِ الْأَكْبَرِ (خُرُوجَ ١٣: ١٥؛ عَدَدَ ٨: ١٧). تُعْتَبَرُ ذَبِيحَةُ إِسْحَاقَ مِمَّاثِلَةً لَذَبِيحَةِ خُرُوفِ الْفِصْحِ. لَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ، لَمْ تَكُنْ ذَبِيحَةُ إِسْحَاقَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَبِيحَةً كَامِلَةً، حَمَلًا بِلَا عَيْبٍ. لَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَدْفَعَ ثَمَنَ خَطَايَا الْآخَرِينَ. لَمْ يَسْتَطِعْ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَقْدِمَ ثَمْرَةَ جِسَدِهِ بَدِيلًا عَنِ خَطِيئَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ.

الامتحان: طاعة الإيمان

استطاع الله أن يطلب تقديم إسحاق ذبيحةً، ابن إبراهيم البكر، مثلما هدد لاحقًا الابن الأكبر لكل شعب إسرائيل وكذلك المصريين في الضربة العاشرة التي ضرب بها أرض مصر.

مُبَكَّرًا فِي الْيَوْمِ التَّالِي، اسْتَعَدَّ إِبْرَاهِيمُ لِرِحْلَتِهِ. أَطَاعَ إِبْرَاهِيمُ اللَّهَ دُونَ أَيِّ تَأْخِيرٍ، لَكِنَّ هَذَا الْاِمْتِحَانَ لَمْ يَكُنْ انْتَهَى. فَقَدْ اسْتَمَرَ وَهُوَ يَقْطَعُ الْحَطْبَ. فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ حَطْبٌ كَافٍ لِلْمَحْرِقَةِ الَّتِي سَتُقَدَّمُ فِي الْمَكَانِ الْبَعِيدِ الَّذِي لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلِ. كَانَتْ كُلُّ ضَرْبَةٍ مِنْ فَأْسِهِ تُهَيِّئُ لَضَرْبَةٍ سَكِينَةٍ. كَانَ سِيذْهَبٌ مَعَهُ خَادِمَانِ. أُسْرِحَ إِبْرَاهِيمُ حِمَارَهُ، وَحَمَلَ الْحَطْبَ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَخْتَرْ أَيَّ خُرُوفٍ مِنْ قَطِيعِهِ. رَجَلَ مِنْ بئرِ سَبْعٍ وَمَعَهُ الْحَطْبُ، وَالسَّكِينِ، وَابْنَهُ الْحَبِيبَ إِسْحَاقَ. لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، بَيْنَمَا كَانَ إِسْحَاقُ يَسِيرُ بِجَوَارِهِ، كَانَتْ طَاعَتُهُ تَتَسَارَعُ. ذَهَبُوا نَحْوَ الشَّمَالِ إِلَى مَنْطِقَةِ التَّلَالِ. مَعَ كُلِّ إِشْرَاقَةِ شَمْسٍ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُؤْمِنُ وَيُطِيعُ.

التكلفة هي لا شيء: الثقة الكاملة للإيمان

الإيمان يتمسك بابن الموعد

فِي النِّهَايَةِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَرَأَى الْجَبَلَ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ. كَانَ هَذَا هُوَ الْمَكَانُ؛ وَكَانَ هَذَا هُوَ الْوَقْتُ. كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَوَقَّفَ الْخَادِمَانِ هُنَا وَلَا يَقْتَرِبَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ الْحَطْبَ مِنْ عَلَى الْحِمَارِ. وَوَضَعَ إِسْحَاقَ يَدَيْهِ خَلَا الْحَبْلِ الَّذِي كَانَ يَرْتَبِطُ هَذَا الْحِمْلُ الثَّقِيلُ. وَوَضَعَهُ عَلَى كَتْفَيْهِ. حَمَلَ إِبْرَاهِيمُ مِشْعَلًا مَنَّقَدًا. ثُمَّ وَصَلَ إِلَى جَبَلِ الْمُرْيَا وَبَدَأَ فِي صَعُودِ هَذَا الْمُنْحَدِرِ.

كسر إسحاق الصمت وقال: "يا أبي؟" فأجاب إبراهيم "هأنذا يا ابني." كان حديثهما المهذب يُقاس بعمق الأبدية. "هُودَا النَّارُ وَالْحَطْبُ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْخُرُوفُ لِلْمُحْرِقَةِ؟". (تكوين ٢٢: ٧)

"فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «اللَّهُ يَرَى لَهُ الْخُرُوفَ لِلْمُحْرِقَةِ يَا ابْنِي»" (آية ٨). في عذاب اختباره، لم يستطع إبراهيم سوى أن يتمسك بالله. لقد كان على الجبل الذي قد رآه، جبل الله، مع الابن الذي منحه الله له. وراه الله هناك. كان الله سيرى التقدمة التي سيقدمها لنفسه. إن الفعل "يرى" بالعبرية يعني أيضاً "يُدبّر" أو "يوفر". لم يكن إبراهيم يتجنّب سؤال إسحاق. لكن بشكلٍ أبعد من معرفته، كان إبراهيم يتنبأ. كان سيدفع الثمن، لكن وعد الله لا يمكن أن يسقط. قال إبراهيم للخادمين "سنرجع إليكما." فإذا لزم الأمر، سيقيم الله إسحاق من الموت (عبرانيين ١١: ١٧-١٩).

يستقبل الإيمان الابن المفدي

لقد ذهب كلاهما معاً، الأب والابن، إلى قمة التلّة. وجمعا الصخور والحجارة لبناء المذبح. وقابل إيمان إسحاق طاعة إبراهيم. فهو لم يقاوم، لكنّه اقتيد كشاةٍ للذبح من قبل والده. لقد قيل بأن يُعَيّد، من يديه وقدميه، واستلقى على الخشب الذي حملّه بنفسه. وعندما مدّ إبراهيم السكين ليذبح ابنه، دعاه ملاك الرب من السماء، "إبراهيم! إبراهيم!..."

كان إبراهيم مستعداً أن يُقدّم كلّ شيء في طاعة مُكرّسة. لأنّه كان يخاف الله، كان مستعداً أن يدفع الثمن. أوقف الملاك يده. وعلى الجبل، رفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه مُمسكاً بين الأشجار بقرنيه. أخذ الكبش وقدمه ذبيحةً بدلاً عن إسحاق. ودعا إبراهيم هذا المكان "يهوه يراه".

كانت التكلفة بالنسبة إلى إبراهيم هي كلّ شيء، مع ذلك عندما تمسك إبراهيم بالربّ بإيمان، كانت التكلفة لا شيء. أعلن إبراهيم أنّ الله سيُدبّر، وحقاً دبّر الله. كانت طاعة إبراهيم طاعة الإيمان. وأعطى إسحاق لإبراهيم مرّة ثانية. كان ابنه بالولادة والآن هو ابنه بالفداء. لا تمثّل ذبيحة الخروف التكريس فقط بل كذلك الكفارة بواسطة دم البديل.

في الالتزام الكامل للإيمان، تُعد التكلفة كلّ شيء، لكن في ثقة الإيمان البسيطة، تُعد التكلفة لا شيء. سجد إبراهيم لأنّ الله جدّد عهده معه.

إنّ الطلب الذي طلبه الربّ من إبراهيم ليس أمراً غير معقول. إنه يطلب نفس الطلب منك. يطلبه يسوع من كلّ شخصٍ سيتبعه. من يحبّ أباً أو أمّاً أو ابناً أو ابنةً أكثر من الربّ فلا يستحقّه. بالتأكيد، عندما نكون على استعدادٍ لتلقّي حكم الموت الخاصّ بنا وحمل صليبنا فحينئذٍ فقط ننال الحياة الأبدية (متى ١٠: ٣٧-٣٩). مع أننا نحتاج إلى قوّة نعمته لكي نُنكر أنفسنا ونتبعه، إلا أن طلبه لم يتغيّر. انظر إلى التكلفة: إنّها كلّ شيء.

في حقيقة النعمة

نعمة ما يُطالب الله به

لكي يتقوى الإيمان بالامتحان

لا يُعلن ثمن الفداء فقط في امتحان الإيمان، بل أيضًا في واقع النعمة. في صلاحه، يُرسل الله لنا أوقات امتحان. بينما كان يسوع في المحاكمة أمام رئيس الكهنة، كان بطرس في امتحان، في فناء دار رئيس الكهنة، أمام جارية. لقد صُلِّي يسوع من أجل بطرس لكيلا يَفنى إيمانه. لكنَّ إيمانه فشل. عندما أقسم بطرس أنه لم يعرف يسوع إطلاقًا، تحوَّل يسوع عن محاكميه لينظر إلى بطرس. في بكائه، تعرَّث خطوات بطرس في الليل. على الرغم من ذلك لم يكن القصد من الامتحان أن يُدَمِّر بطرس، بل أن يُريه التكلفة. لاحقًا، بعد القيامة بجوار البحيرة، استرَدَّ يسوعُ إيمانَ بطرس.

خلال امتحان إبراهيم، تمَّ تأكيد إيمانه، وأكَّد الربُّ مواعيده بَقَسَمٍ. في الواقع، كان امتحان إبراهيم يدور كلُّه حول النعمة. لقد امتحنه الله ليباركه. أرشد الربُّ إيمان إبراهيم، حتَّى عندما امتحنَ إبراهيم.

من أجل تعليم الإيمان بالرمز: لكي يستطيع إبراهيم أن يرى يوم المسيح

لقد أعطينا مفتاحين لامتحان إبراهيم. إن المفتاح الأول هو إخبارنا بأنه بُورِكَ من أجل طاعته، إذ إنَّ طاعته أوضحت أنه يخاف الله. يوجد المفتاح الثاني في الاسم الذي أعطاه إبراهيم للمكان الذي أراه الربُّ إيَّاه. نعرفه باسم "يهوه يرأه"، أي الله يُدبِّر. عندما دبَّر الله الكبش، لم يَعْفُ فقط عن إسحاق (وإبراهيم!) لكنَّه أظهر لإبراهيم أنَّ ثمن الفداء كان أعظم من أن يدفعه إبراهيم. يجب أن يُدبِّر الله بنفسه الذبيحة التي تأتي بالخلاص. ويجب أن يتمَّ هذا التدبير في المكان الذي أظهره الله لإبراهيم. لذلك أخبر الله إبراهيم أنه بعد أن يذهب نسله إلى مصر، ثمَّ يرجعون منها، سيكون هذا هو المكان الذي ستجتمع فيه الأمة الموعودة لتعبد الله.

لم يكن ممكنًا أن يكون إسحاق هو التقدمة؛ وكذلك لم يكن ممكنًا أن تكون الذبيحة الحقيقية خروفاً. يجب أن يأتي الشخص الذي من نسل إبراهيم من ستبارك فيه جميع قبائل الأرض. إن عبارة "الربُّ سيدبِّر"، تعد بمجيء المسيح. لقد تهلَّل إبراهيم بأن يرى يوم المسيح عندما وُلِد إسحاق، وتهلَّل مرَّة ثانية عندما دبَّر الله الكبش باعتباره بديلاً لإسحاق؛ لكنَّ إبراهيم نظر إلى ما هو أبعد من ذلك (يوحنا ٨: ٥٦). لم يكن إسحاق بل حمل الله هو الذبيحة التي كان سيدبِّرها الأب. تكلم إبراهيم النبيُّ بكلمات بقيت، كلمات شرحت معنى يهوه يرأه «في جبَلِ الرَّبِّ يَرَى». (تكوين ٢٢: ١٤)

مَنْ "هو" الذي سِيرَى؟ عندما كانت هاجر حُبلى بِإِسْمَاعِيلِ، هَرَبَتْ مِنْ سَارَةَ الْغَاضِبَةِ، وَوَجَدَهَا مَلَائِكَةُ الرَّبِّ بِجَوَارِ بَيْرٍ، وَدَعَتْ هَاجِرَ مَلَائِكَةَ الرَّبِّ إِيْلَ رُؤْيِي، أَيْ "اللَّهُ الَّذِي يِرَانِي" وَدَعَتْ الْبَيْرَ "بَيْرَ الْحَيِّ الَّذِي يِرَانِي" (انظر تكوين ١٦: ١٣، ١٤).

رَأَتْ هَاجِرَ مَلَائِكَةَ حُضُورِ الرَّبِّ، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ رَأَاهَا فِي أَوَّلًا. هَلْ سَمَّى إِبْرَاهِيمُ الْجَبَلَ الْمَكَانَ الَّذِي شُوهِدَ فِيهِ اللَّهُ؟ لَقَدْ دَعَا مَلَائِكَةَ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ مِنَ السَّمَاءِ. لَمْ يَنْزِلِ الرَّبُّ عَلَى الْجَبَلِ لِيُوقِفَ يَدَ إِبْرَاهِيمَ.

نَظَرَ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْأَعْلَى لِيَرَى الْجَبَلَ مِنْ حَوْلِهِ. قَالَ إِنَّ الرَّبَّ سَيُدَبِّرُ الذَّبِيحَةَ. نَظَرَ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً إِلَى الْأَعْلَى وَرَأَى الْكَبِشَ، مُمَسِّكًا بِقَرْنَيْهِ. فِي كَلِمَاتِ إِبْرَاهِيمَ، مَنْ "هو" إِذَا الَّذِي سِيرَى؟ إِنْ الْإِجَابَةُ الْأَبْسَطُ لِهَذَا السُّؤَالِ هِيَ: الْكَبِشَ الَّذِي رَأَاهُ إِبْرَاهِيمُ (ضَمِيرُ الْغَائِبِ الَّذِي تَقْدِيرُهُ "هو" يُعَدُّ لَفْظًا مَذْكَرًا يُشِيرُ إِلَى الْكَبِشِ؛ انظر إِلَى "أَصْعَدَهُ مَحْرَقَةً" فِي تَكْوِينِ ٢٢: ١٣). فِي جَبَلِ الرَّبِّ، يُوْجَدُ مَا قَدَّمَهُ اللَّهُ، الْكَبِشَ الَّذِي دَبَّرَهُ اللَّهُ تَمَّتْ رُؤْيِيَتُهُ.

يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ جَيِّدًا بِكَلِمَةِ إِبْرَاهِيمَ. فِي جَبَلِ الرَّبِّ، سِيرَى حَمَلُ اللَّهِ. يَقُولُ قَرَارُ إِحْدَى التَّرْنِيمَاتِ الْمَشْهُورَةِ: "يَهْوَهُ يِرَاهُ، اللَّهُ يَدَبِّرُ لِي"، لَكِنَّهُ يُفَوِّتُ قَلْبَ الرِّسَالَةِ. يَهْوَهُ يِرَاهُ: فِي جَبَلِ الرَّبِّ، سِيرَى يَسُوعُ الْمَسِيحَ. مَا نَرَاهُ هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحَ مُعَلِّقًا فِي الْجَلِجَتَةِ فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْمَوْقِعِ، تَلَالِ الْمُرْيَا.

نِعْمَةٌ تَدْبِيرُ اللَّهِ: يَرَى اللَّهُ الْحَمَلَ!

احْتِمَالِيَّةُ اللَّهِ: يَجِبُ أَنْ يَأْتِيَ

تَهَلَّلَ إِبْرَاهِيمَ بِأَنْ يَرَى يَوْمَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ. تَهَلَّلَ وَإِسْحَاقُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ. تَهَلَّلَ لِأَنَّ اللَّهَ رَأَى الْحَمَلَ، وَعَرَفَ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ لَا تُوْجَدُ كَلِمَاتٌ وَعِدٌّ عَجِيبَةٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ. بَعِيُونَ الْإِيمَانَ، رَأَى إِبْرَاهِيمَ أَيْضًا أَنَّ هُنَاكَ إِسْحَاقَ آخَرَ يَجِبُ أَنْ يَأْتِيَ، حَمَلَ اللَّهِ، ابْنَ اللَّهِ.

دَفَعَ اللَّهُ التَّكْلِفَةَ مِنْ خِلَالِ الْبَدِيلِ: الرَّبُّ يَدَبِّرُ!

كَانَتِ التَّكْلِفَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ كُلِّ شَيْءٍ. كَانَ مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَلَّا يَعْفِيَ عَنْ ابْنِهِ الْحَبِيبِ. لَكِنَّ إِسْحَاقَ تَمَّ الْعَفْوُ عَنْهُ، وَمَحْبُوبُ الْآبِ لَا بُدَّ أَنْ يُقَدَّمَ ذَبِيحَةً. يَخْبِرُنَا بُولَسُ الرَّسُولُ أَنَّ الْآبَ السَّمَاوِيَّ لَمْ يُشْفَقْ عَلَى ابْنِهِ الْوَحِيدِ، بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنا أَجْمَعِينَ (رُومِيَّةُ ٨: ٣٢). إِنْ إِعْلَانُ اللَّهِ عَنْ تَكْلِفَةِ الْفِدَاءِ فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ يُوجِّهُ أَنْظَارَنَا إِلَى حَمَلِ اللَّهِ: الْحَمَلُ الَّذِي دَبَّرَهُ اللَّهُ، الَّذِي قَدَّمَهُ بَدَلًا عَنِ الْخَطَاةِ. دَفَعَ الْإِبْنُ الثَّمَنَ فِي الْجَلِجَتَةِ. كَذَلِكَ فَعَلَ الْآبُ. فِي سِرِّ عَجِيبٍ، ظَلَّ الْإِلَهُ الْأَبَدِيُّ صَامِتًا حِينَما صَرَخَ الْإِبْنُ الْمُتَجَسِّدُ، "إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟"

لم يقدم الله ابنه في التجسد فقط. قدّمه أيضًا في ساعات الظلمة، في الصمت، عندما ترك ابنه المحبوب.
"وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدَ خُطَاةٍ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا". (رومية ٥ : ٨)

لم تكن التكلفة لإبراهيم أي شيء، لأن الله هو من دبّر. لك كانت التكلفة لله غير محدودة. لقد قدّم كلّ شيء في تقديم عطية ابنه المحبوب. لقد دفع الله الثمن. "الذي [أي المسيح] من أجل السُرورِ المَوْضُوعِ أمامه، احتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخُرْبِيِّ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ" (عبرانيين ١٢ : ٢). إن الثمن اللا نهائي الذي دُفِعَ لم يُقَابَلِ سِوَى بِمَحَبَّةِ اللَّهِ اللَّامْتَاهِيَةِ: "لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ". (يوحنا ٣ : ١٦)

كيف نجرؤ أن نتحدّث عن مثل تلك العجائب، عجائب لا يُمكن للملائكة استيعابها؟ لكنّها تلك المحبّة، المحبّة اللا نهائية من نَحُونَا، التي سكبها الله في قلوبنا (رومية ٥ : ٥). هل يمكننا احتمال مثل هذه المحبّة دون أن نحترق بنار حضور الله؟ إن نعمته فقط هي التي تُمكننا من استقبال هذه المحبّة. إنّ كلمات الله التي بين السطور كلمات مُضيئة بمجد محبّته، محبّة تجذبنا لأن نحبّه وتدفعنا لأن نحبّ الآخرين.

هكذا أستطيع أن أخفي وجهي الخجل بينما يظهر صليبه العزيز؛

قلبي يذوب في امتنانٍ، وعياني تذوب في دموعٍ

لكنّ قطرات الحزن لا تستطيع أبدًا سداد دين الحبّ الذي عليّ؛

هنا، يا ربّ، أقدم ذاتي – إن هذا كلّ ما أستطيع.^{٣٤}

^{٣٤} Isaac Watts, "Alas! And Did My Savior Bleed," ١٧٠٧.

عندما نزل الله

(تكوين ٢٨ : ١٠-٢٢)

هل سمعت هذه الترنيمة الإنجليزِيَّة الحزينة؟

بينما تَعَبَ يعقوب ذات يوم من السفر،

في الليل كان يرقد على وسادة من الحجر؛

رأى سُلَّمًا عاليًا جدًّا في رؤياه،

قدماه في الأرض وقمَّته في السماء.

القرار:

هللوا ليسوع، الذي مات على الصليب،

ومدَّ سُلَّم الرحمة من أجلي،

ومدَّ سُلَّم الرحمة من أجلي.

يوجد المقطع الكتابيُّ عن سُلَّم يعقوب في تكوين ٢٨. نجد فيه يعقوب وهو يهرب خوفًا من الغضب المُميت الذي لدى أخيه التوأم عيسو. إن عيسو، هو التوأم الأوَّل الذي خرج من رحم رفقة، وكان ابن إسحاق البكر. على الرغم من النبوة أنَّ الكبير سيُسْتَعْبَد للصغير، جهَّز إسحاق لأن يُعطي عيسو بركة الابن البكر. بتوجيهات من أمِّه، استطاع يعقوب أن يخدع إسحاق الأعمى. رَبَطَ يعقوب جلدَ ما عَزَّ على ذراعيه وحول رقبتَه. وارتدى أفضل ملابس عيسو. فأعطاه إسحاق البركة. أقسمَ عيسو على قتلِ يعقوب، منتظرًا فقط أن يموت أبوه. لذلك، هربَ يعقوب إلى خاله لابان في حاران. في الرحلة الطويلة، توقَّفَ لينام في منطقة في تلال يهوذا. استخدمَ حجرًا ليسند رأسه، وسريعًا ما استغرقَ يعقوب في النوم وحينها ظهرَ اللهُ له في رؤية. رأى يعقوب السماء مفتوحة، وسُلَّمًا يربط السماء بالأرض. كانت الملائكة صاعدة ونازلة على هذا السُلَّم.

سَلَّمَ اللهُ: تَدَخَّلَ اللهُ يُوَكِّدُ عَهْدَهُ

أراد يعقوب فعلاً أن ينال بركة الله. مع ذلك، لم يكن مُسافراً بحثاً عن الربِّ. بل كان في طريقه لمُغادرة أرض الموعد. كانت البركة التي أعطاها له إسحاق تتحدَّث عن غنى الحصاد في الأرض، وكذلك عن السيادة على الشعوب وعلى إخوته. لكن ما هو وضع هذه البركة إذا تَرَكَ الأرض التي وَعَدَ بها الله؟

يَنْظُرُ الكَثِيرُ من الناس إلى الدين باعتباره سعي الإنسان إلى الله. في الواقع، يُوقِّرُ الدين مهرياً من الله. ربِّمَا يَرْتَقِي إلى رتبة إله عالٍ، إذ تستطيع الديانات القبلية أن تعبد أرواح الشجر أو أرواح الفهود. يُمكن أن يُحجب الإله بجاز من القوانين والفرائض لكي يَتَمَكَّن الأبرار في ذواتهم من الفوز بالسماء بالنقاط. قد يذوب الإله في الين واليانج (yin and yang) للقوى الطبيعية بحيث لا تكون مسؤولين أمامه بشكلٍ شخصيٍّ. أو ربِّمَا يُخْتَزَلُ في ألوهية كل الأشياء، روحانية العصر الجديد التي تؤمن بالإله الذي بداخلنا.

لكن إله الكتاب المقدَّس هو الإله الذي يَبْحَثُ عنا. فَإِنَّ الله هو مَنْ يُبَادِرُ. أَعْلَنَ عن نفسه ليعقوب. ونادى آدم وحواء في جنة عدن، ونوحاً قبل الطوفان، وإبراهيم في مدينة أور العظيمة. وهنا نادى الله يعقوب ليعطيه وعوده. إن اختيار الربِّ ليعقوب هو أمر واضح حيث إنَّ يعقوب وعيسو كانا توأمين، وعيسو هو الابن الأكبر. أشار الرسول بولس إلى هذا في شرحه لنعمة الله الخالصة في الاختيار (رومية ٩). لا يختار الله أصحاب النفوذ أو الثبلاء، بل المُحتقرين والمرفوضين، لا يختار الفائزين بل الخاسرين (١ كورنثوس ١: ٢٨). لقد فضَّل إسحاق، أبو التوأم، عيسو، لكنَّ الربَّ اختارَ يعقوب.

في الرؤية التي أعطاها الله له، رأى يعقوب السماء مفتوحة، وسلماً منصوبة على الأرض وتصل للسماء. لم يكن الدَّرج مرسوماً بواسطة رسَّام. ذات مرَّة عندما كنت أصنع رسوماً توضيحية مواد مدرسة الكتاب المقدَّس الصيفية، رسمت المشهد ويعقوب مستلقياً على الأرض وبجانبه سلَّم طويلة مُمتدة للسماء. على ماذا يا تُرى سيستقرُّ رأس السُّلَم؟ بشكلٍ خاطئ، أسندتُ رأس السُّلَم على سحابة!

تُشير الكلمة العبرية المستخدمة في تكوين ٢٨: ١٢ إلى هيكلٍ حجريٍّ مثل الحواجز التي تُدعم الطُّرق. إنَّ سلماً بهذا الحجم ستنتطلب كتلةً ضخمة من البناء لتدعيمها. يُمكننا أن نفترض أنَّ هذا السُّلَم يشبه "الزقورة" مثل التي وجدها علماء الآثار في بلاد ما بين النهرين.^{٣٥} بخصوص بُرج بابل، قيل أيضاً إنَّ البنَّائين خطَّطوا أن يصل البرج إلى السماء (تكوين ١١: ٤). نَزَلَ اللهُ بدينونةٍ على برج كبرياء الإنسان، لكن في حُلم يعقوب نَزَلَ اللهُ في بنعمةٍ. وأعلنت الملائكة الصاعدة والنازلة على السُّلَم عن التواصل المفتوح بين السماء والأرض.

^{٣٥} André Parrot, *The Tower of Babel* (New York: Philosophical Library, ١٩٥٥), ١٥-٢٠.

كانت ذروة الرؤية هي أن الله نَزَلَ على هذه السُّلَّم ليَقِف بجانب يعقوب. لم يَقِف الله على قَمَّة السُّلَّم، لكن بجانب يعقوب. نَعْرِف هذا من ظهور الله الثاني ليعقوب في بيت إيل. في تلك الحادثة، يقول النَّص: **«ثُمَّ صَعِدَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ تَكَلَّمَ مَعَهُ»** (تكوين ٣٥: ١٣). بُنِيَ على النَّصِ الكتابيِّ، نَزَلَ اللهُ ليقِف بجوار يعقوب. من مكان حضور الربِّ على الأرض، كانت الملائكة تَصْعَد إلى السماء وتَنزِل.

في وقوفه بجوار يعقوب، أَكَّدَ الربُّ ليعقوب الغرض من ظهوره. فهو إله الماضي والمستقبل والحاضر. إنه هو ربُّ الماضي: إله الآباء، إبراهيم وإسحاق. وهو ربُّ المستقبل، الذي يُوَكِّدُ وعوده: **«الْأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَثْرَابَ الْأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ.»** وهو إله الحاضر، حيث قال: **«وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرْدُكَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ»** (تكوين ٢٨: ١٣-١٥). إنَّ حضور الله بجانب يعقوب يَجْعَلُ كلماته مؤثِّرة: إنَّ الأرض التي كان يعقوب ينام عليها، بكلِّ أحجارها، ومرتفعاتها، وتجاويفها، هي الأرض التي وَعَدَ بها الله. إنَّها الأرض التي يَقِفُ اللهُ عليها.

إنَّ وعود الله لنا ليست أقلَّ تأكيدًا. إنَّ وعوده موجودة في كمال العهد الجديد. سيكون الربُّ يسوع معنا في حضور روحه القُدُّوس. سَيَمْنَحُنَا الشَّرِكَةَ مع القَدِّيسين وسَيَرْبِطُ العائلات بعهد محبَّته. مع ذلك، على عكس بعض أناجيل النجاح، فإنَّ الربِّ لا يَعِدُنَا بَغْنَى أرضيٍّ أو عقارات شاسعة. يُعَلِّمُنَا الربُّ أن نصلي من أجل احتياجنا اليوميِّ، لا من أجل الغنى الأرضي. وتتضمَّنُ بركات يسوع الاضطهادَ من أجل اسمه.

بيت الله: يُعْمَلُ حُضُورُ اللهِ عِهْدَهُ

يُبْنَى بيتُ البركات بواسطة الله. استيقظ يعقوب. في ارتعابه من حقيقة وجود الله في رؤيته، هَمَسَ يعقوب قائلاً: **«حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!»**. وَخَافَ وَقَالَ: **«مَا أَزْهَبَ هَذَا الْمَكَانَ! مَا هَذَا إِلَّا بَيْتُ اللهِ، وَهَذَا بَابُ السَّمَاءِ.»** (تكوين ٢٨: ١٦، ١٧)

على الرغم من أنَّ يعقوب رأى الله في رؤيا، فإنَّ حقيقة الوعد لم تترك مجالاً للشك لديه. إنَّ الأرض التي يضطجع عليها هي الأرض التي وَعَدَ اللهُ بها. سيجد يعقوب زوجةً بالتأكيد في بيت لابان في فدان أرام. لكن الواقع التاريخيِّ والجغرافيِّ للمكان يشعُّ بالمجد السماويِّ المرتبط بالوعد. إنَّ بيت إيل، بيت الله، هو بوابة السماء. هذا السُّلَّم ليس برج بابل آخر، لكنَّه بيت ومدينة الله. سيؤيِّس اللهُ حقًّا أُورشليم بصفحتها مسكنه بين الناس. مثلما لاحظ كاتب العبرانيين، فإنَّ هؤلاء، الذين مثل يعقوب، صدَّقوا وَعَدَ اللهُ، اشتبهوا مدينةً أفضل، مدينة سماويةً (عبرانيين ١١: ١٣-١٦). في الصباح، لم يُعَاين يعقوب العقارات المحيطة به، بل وقفَ في بيت إيل، بيت الله، وبوابة السماء. وقفَتْ مدينة بيت إيل بين اللعنة الواقعة على بابل وبين بركة يوم الخمسين.

أقام يعقوب الحجر الذي استخدمه كوسادة لرأسه باعتبارها نصبًا تذكاريًا لوعده الله العهديّ. مَسَحَ العمودَ بالزيت وقطع عهدًا للرب. سيكون من المهين ليعقوب أن يُعطي وعده لمسةً تجاريّةً. إن المزامير ممتلئة بالشكر والتسبيحات المرتبطة بسماع الله لنذور شعبه في وقت الضيق (مزمور ١١٦: ١٣، ١٤؛ ٢٢: ٢٢؛ عبرانيين ٢: ١١، ١٢). روى يعقوب الوعدَ في صلاته ونذر نذره بأن يُعطي العشور تقدمة شكرٍ لله.

رَبُّ بَيْتِ إِيل

أكد يسوع على أهميّة هذا المقطع لنا عندما أشار إليه في دعوته لنتنايل. سجّل يوحنا دعوة يسوع لتلاميذه الأولين. وجد يسوع فيلبس وقال له: "اتَّبِعْنِي". كَانَ فِيلِبُّسُ مِنْ بَيْتِ صَيْدَا، وهي مدينة على بحيرة الجليل. وتبع فيلبس يسوع، وَوَجَدَ نَتْنَائِيلَ، وكان أيضًا من بَيْتِ صَيْدَا. وقال له: "وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ يَسُوعَ ابْنَ يُوْسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ". (يوحنا ١: ٤٥)

لم يكن نتنائيل منبهراً بيسوع، تَهَكَّم قائلًا: "أَمِنْ النَّاصِرَةِ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟" ساعدت إجابة فيلبس أجيالاً من المبشرين: "تَعَالَى وَانظُرْ". (يوحنا ١: ٤٦)

عندما رأى يسوع نتنائيل مُقبلاً عليه، قال عنه: "هُوَذَا إِسْرَائِيلِيُّ حَقًّا لَا عِشَّ فِيهِ" (آية ٤٧). كان يسوع يَعْرِفُ أَنْ يَعْقُوبَ مَارَسَ الخديعة. إن اسم "يعقوب"، مأخوذ من كلمة "عقب" في العبريّة، وهي تصف يعقوب بأنه "الممسك بالعقب" محاولاً أن يَحِلَّ محلَّ عيسو، حتّى في ولادته. كان الله قد أعطى اسم "إسرائيل" ليعقوب. وفي هذه الحادثة، كان واحدٌ من نسل يعقوب أكثر أحيّةً بهذا الاسم.

كان نتنائيل مندهشاً. فسأل يسوع: "مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُنِي؟" قد تبدو الإجابة التي أعطاها يسوع عاديّة: "قَبْلَ أَنْ دَعَاكَ فِيلِبُّسُ وَأَنْتَ تَحْتَ النَّيَّةِ، رَأَيْتُكَ" (آية ٤٨). لَكِنَّ رَدَّ فَعَلَ نَتْنَائِيلَ كَانَ غَيْرَ عَادِيٍّ: "يَا مُعَلِّمُ، أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلِ!" يمكننا أن نستنتج فقط أنّ خبرة نتنائيل تحت شجرة التين كانت من نوع الخبرات التي يعرفها الربُّ الذي عبده نتنائيل. خاطب يسوع تلميذه الجديد قائلًا: "سَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هَذَا!... الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الْآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلَائِكَةُ اللَّهِ يَصْعَدُونَ وَيُنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الْإِنْسَانِ" (الآيات ٥٠، ٥١). إن كلمة "الحق" هي كلمة "أمين" في اليونانيّة.

إنّ إشارة يسوع لحلم يعقوب في بيت إيل واضحة. لكن بأيّ معنى يُطبّق يسوع صعود ونزول الملائكة على نفسه؟

قال بعض الوعاظ والمفسرين إنّ يسوع هو السّلم، هو الدّرج في حلم يعقوب. إنه أمرٌ صحيح بما فيه الكفاية أنّ يسوع تحدّث عن نزوله إلى الأرض وصعوده ثانيةً إلى السماء (أمثال ٣٠: ٤؛ يوحنا ٣: ١٣). لكنّ يسوع تحدّث لنتنائيل عن ملائكة صاعدة ونازلة. لا يُعتبر التفسير صعباً في ضوء ما تعلّمناه عن بيت إيل. لقد نَزَلَ الرَّبُّ فِي بَيْتِ إِيل. بما أنّ الربُّ الذي نزل كان هو الأقنوم الثاني في الثالوث، الشخص

الذي يُعلن عن الآب، فمن الطبيعي أن يتحدث يسوع عن ملائكة صاعدة من عنده من أسفل السلم، ونازلة إليه إلى هناك. لم تصعد الملائكة أو تنزل بالنسبة إلى يعقوب ولكن بالنسبة إلى يسوع. يتحدث يسوع هنا عن مجيئه الثاني، عندما يأتي بمجدٍ إلى هذا الكوكب، مصحوبًا بملائكة السماء.

إنَّ التعليم التدبيرِيَّ عن الاختطاف السريِّ للكنيسة ليس له أيُّ مرجعيَّة في الكتاب سوى تفسير مُقَمَّم على النصِّ لعبارة "اضعدُّ إلى هنا" الموجودة في رؤيا ٤: ١. في ذلك النصِّ، دعا الصوت الذي يُشبهه بوق يوحنا إلى أن يدخل في الروح إلى مشهدِ سماويِّ، في جزء من الرؤية التي رآها على جزيرة بطمس.

إنَّ الربَّ الذي نَزَلَ على السلم في حلم يعقوب هو الربُّ الذي نَزَلَ لِيُولَدَ من مريم. وهنا على الأرض، استطاع أن يُخبر نثنائيل أنَّه عَرَفَهُ، وراه تحت شجرة التين. استطاع أيضًا أن يُخبره عن مجد مجيئه الثاني. ستأتي ملائكة حلم يعقوب مع يسوع حينذاك. لقد أتوا للرعاة ليعلنوا ميلاد يسوع. وسيأتون معه عندما يأتي ثانيةً في مجدٍ.

تُرينا تعاليم بولس الواضحة، في رسالته الثانية إلى تسالونيكى، ما هو رجاؤنا. سيجلب مجيء يسوع الثاني راحةً للمسيحيين المضطربين. "عِنْدَ اسْتِعْلَانِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلَائِكَةِ قُوَّتِهِ، فِي نَارِ لَهَيْبٍ" (١: ٧). إنَّ هذا المجيء هو ما يُشير إليه يسوع في كلماته مع نثنائيل. يُدَكِّر يسوع نثنائيل - ونحن كذلك - أنه رُغم روعة أوقات تعبدنا وشركتنا معه، إلا أن مجيئه الثاني سيكون أروع بكثير. إنَّ أوقاتنا تحت "شجرة التين" هي أوقات ثمينة عندما نختبر حضورَ الربِّ، وعندما نكون على وعيٍّ ودرايةٍ بأنَّه يرانا. مُباركٌ هو يقين الإيمان هذا حيث يُطَبِّقُ الرُّوحُ القُدُسُ كلَّ كلمة من كلمات المسيح على قلوبنا. لكننا نؤمن على رجاءٍ، مُنتظرين ظهور إلها ومُخْلِصنا العظيم، يسوع المسيح.

بينما ننتظر الربَّ، تطلُّع إليه الآن. لقد وَجَدَ يعقوب أن حلمه هو بيت إيل، بيت الله، باب السماء. لكنك لا تمتلك حلمًا لتعتزَّ به، بل لديك المُخْلِصُ الحيُّ الذي يتحدث إليك في كلمته وفي وعظها. إنه يملكك بالاسم في مياه المعمودية، ويُعطيك الخبز والخمر، علامةً وختْمَ آلامه. أنت لا تحتاج أن تتصب حجرًا مثلما فعل يعقوب. يُمكنك في وقت خلوتك وتكريسك أن تَمسح مسيحَ الربِّ مثلما فعلت مريم التي من بيت عنيا.

كِرِّرْ وعدَ رسالة الإنجيل في تعهدك بالإيمان. سوف تَرى يسوع عندما يأتي ثانيةً مع ملائكته. لكنَّه يراك الآن ويأتي لأجلك. فالربُّ في هذا المكان، وأنت لم تعرف ذلك! هذا هو بيت إيل الخاص بك، بيت الله. ارجع إلى البيت!

الانتصار الغريب للبطل

(تكوين ٣٢)

لكي نفهم الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين، نحتاج أن نأخذ المصارعة بأكثر جدية. ربّما تعتقد أنني أمزح. فكيف يمكن لأيّ شخص أن يأخذ المصارعة على محمل الجدّ بعد مشاهدة تهريج التلفاز؟ لقد شاهدت ذات مرّة مباراة مُصارعة فاز بها ممثّل يُدعى هالك (Hulk). أعتزّف أنّ المذيع تظاهر بأخذ المُبارة على محمل الجدّ. ربّما كان هناك أشخاص وسط الجماهير خُودعوا بواسطة الرقصات المُصمّمة. (في الأغلب لم يشاهدوا من قبل اللقطات المُقرّبة على شاشة التلفاز).

من ناحية أخرى، يوجد جانبٌ جاد في هذا الأمر. ماذا لو قام السيّد نو الأربعمئة رطل الذي يُدعى "الزلزال" بالقفز بقوّة على القفص الصدريّ للخصم من الحبال الداخليّة لحلقة المصارعة؟ أنا لم أستكمل المشاهدة.

أحتاج إلى إضافة أنّ المصارعة الجامعيّة هي رياضة حقيقيّة، ولكنها لا تُؤخّذ على محمل الجدّ مثل كرة القدم وكرة السلة. حتّى النهائيات الإقليميّة لا تحشد الجماهير كما تفعل مصارعة السومو في اليابان.

في الشرق الأدنى القديم، كانت للمصارعة أهميّة كبيرة. وصفتّ الأساطير السومريّة مُصارعة شرسة بين جلجامش (Gilgamesh)، ملك إريك، وإنكيدو (Enkidu)، الذي أصبح بعدها صديقاً له. علاوةً على ذلك، كانت المصارعة إحدى أشكال المحاكمة بالقتال. مثلما كان صراع داود مع جليات يُحدّد نتيجة المعركة، هكذا يمكن أن تكون المصارعة بمثابة اختبار لحسم نتيجة المحاكمة.

ربّما تتذكّر تعامل الله مع واحدٍ من الآباء وهو يعقوب. لقد خدع يعقوب إسحاق، أباه الأعمى، وأمنّ لنفسه البركة التي كان سيمنحها إسحاق ليعيسو، أخي يعقوب التوأم. هدّد عيسو حياة يعقوب، فهرب يعقوب إلى بيت خاله في حاران، خارج حدود أرض كنعان. لكن قبل أن يغادر أرض الموعد، ظهر الله له في بيت إيل، نازلاً على سلّم في حلم يعقوب ليؤكّد له أنّ بركة عهد الله هي بالتأكيد له. لن يتركه الله، بل سيرجعه ثانيةً إلى أرضه، وسيحفظ كلّ وعده بأن يُباركه.

نجد يعقوب الآن عائداً إلى كنعان بأمرٍ من الله. لقد غادر باعتباره منفياً وحيداً؛ كان عائداً باعتباره راعاً ثرياً، وله زوجتان، والكثير من الأطفال، وقافلة كبيرة من الجمال، والأبقار، والأغنام، والماعز. لقد باركه الله بالتأكيد بالثروة. لم تكن البركة مادّيّة فقط. صار يعقوب عارفاً الآن أنّ حياته بين يدي الله، وأنّ بركة

الله تَعْنِي ما هو أكثر من البقر والماعز. لقد خدع لابان يعقوب مرارًا وتكرارًا، حيث بَدَّل الزوجات والأجور، لكنَّ الله أَبْطَلَ كُلَّ مَخْطَاطِهِ بِأَنَّهُ جَعَلَ الْوَارِثَ لِعَهْدِهِ يَزْدَهْر. بالتأكيد، ازدهر لابان أيضًا عن طريق خدمة يعقوب له. إن كلمة الله لإبراهيم بأنَّه سَيُبَارِكُهُ وَيَجْعَلُهُ بَرَكَةً تَحَقَّقَتْ فِي حَفِيدِهِ يَعْقُوبَ، على الرغم من خطايا وفشل جميع المَعْنِيِّينَ.

معاناة الصراع

لكن إيمان يعقوب يَمُرُّ الآن بمرحلة اختبار. بعد عشرين عامًا، كان يَقْتَرِبُ مَرَّةً أُخْرَى نحو الأرض التي يعيش فيها عيسو. لقد كان لابان محتالًا؛ كان بإمكان يعقوب أن يتعامل مع ذلك. لكن عيسو كان محاربًا. ما هو الاستقبال الذي يستطيع يعقوب أن يتوقَّعه؟ بقلق شديد، أرسل رسالة إلى عيسو مفادها أنه عاد. ووصف فيها الرخاء الذي أعطاه الربُّ إيَّاه، وطلبَ رضا عيسو (تكوين ٣٢: ٣-٥). تطلَّع يعقوب في قلقٍ إلى مبعثيه بينما كانت قافلته تتحرك غربًا على ضفاف نهر يَبُوق. أخيرًا، ظهرَ غبار جمالهم عند مجيئهم من الجنوب. كانت رسالتهم اللاهثة هي: إن عيسو قادم في مسيرة. إنه قادم للقاء يعقوب ومعه أربعمئة رجل. من الواضح أنَّ تلك الفِرْقَةَ المُسَلَّحَةَ لم تكن هيئة ترحيب! إن خلفيَّة صراع يعقوب مع الملاك هي هذا التهديد، هذه الأزمة. لقد بدأ صراع يعقوب مع عيسو في رحم أمِّه. أتى يوم الحساب الآن. كان لا بُدَّ له أن يلتقي بتوأمه، خِصْمَهُ المُخِيفَ. لمدة عشرين عامًا، لم يُفَارِقْهُ هذا الخوفُ بالكامل. وصار الآن على بُعْدِ بضع ساعات.

بدأ يعقوب بالتصرُّف مباشرةً. كانت قافلته الكبيرة هدفًا مغريًا بالنسبة إلى قوَّات عيسو. كان لا بُدَّ من تقسيمها. إذا اشتبك عيسو مع النصف الأول، قد يتمكَّن النصف الآخر من الهرب بينما يحدث السطو المُسَلَّحُ لا يزال قائمًا. بعد الارتباك المحموم الذي أنتج قافلتين، لجأ يعقوب إلى الربِّ مُصَلِّيًا. استمع إلى كلماته:

"يَا إِلَهَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهَ أَبِي إِسْحَاقَ، الرَّبُّ الَّذِي قَالَ لِي: ارْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى عَشِيرَتِكَ فَأُحْسِنَ إِلَيْكَ. صَغِيرٌ أَنَا عَنْ جَمِيعِ الطَّافِكِ وَجَمِيعِ الْأَمَانَةِ الَّتِي صَنَعْتَ إِلَيَّ عَبْدِكَ. فَأَيُّ بَعْصَايَ عَبَّرْتُ هَذَا الْأُرْدُنَّ، وَالْآنَ قَدْ صِرْتُ جَيْشَيْنِ. نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَخِي، مِنْ يَدِ عَيْسُو، لِأَنِّي خَائِفٌ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَضْرِبَنِي الْأُمَّ مَعَ الْبَنَيْنِ. وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ: إِنِّي أَحْسِنُ إِلَيْكَ وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لَا يُعَدُّ لِلْكَثْرَةِ". (تكوين ٣٢: ٩-١٢)

لم يعد يعقوب هو المدير المُستقلِّ لمصيره. كان يعقوب مؤمنًا: اعترفَ بعدم استحقاقه، وعجائب نعمة الربِّ. تطلَّع يعقوب للربِّ لِيُخَلِّصَهُ مِنَ الْقُدُومِ الْخَطِيرِ لِعَيْسُو، وطالَبَ بوعْد الربِّ، الوعد ببركة الله لإبراهيم.

مع ذلك، فإنّ التماس يعقوب الجادّ لم يجعله سلبياً، في أثناء تطلّعه لبركة الله. كان من قبل مُخادعاً؛ صار الآن مُخططاً إستراتيجياً. إذا كان عيسو مُصمّماً أن يكون عدواً له، فهو مُصمّم أن يكون صديقاً لأخيه. وإذا صنّع عيسو له شرّاً، فسيفعل هو الخير لعيسو. كان وعد الله العهديّ أنّ يعقوب ينبغي أن يكون بركةً. فليكن إذاً بركةً لعيسو. فليعط عيسو الأشياء التي قد تكون مُغرية بالنسبة إلى عيسو لأن يأخذها: هديّة رائعة من الماشية. حتّى إذا كنت تظنّ أنّ يعقوب يحاول ببساطة أن يشتري عيسو، فلا بدّ أن تعترف أنّ الثمن كان سخياً للغاية. هل ستلوم يعقوب لاستخدامه القليل من علم النفس؟ إذا كانت هديّته لعيسو تُعادل مزرعة مواشي كاملة، فسيكون هناك سبب وجيه يجعل عيسو يتأمّل حسن النية خلف هذه الهدية. دُع مئات الماعز تُفصل عن المئات من الغنم. افصل بين الجمال، والبقر، والحمير. اجعل هناك فاصلاً مناسباً بين كلّ قطيع وقطيع. اجعل كلّ قائدٍ قطيعٍ يحمل نفس الرسالة لعيسو: "إن هذه المواشي تخصّ يعقوب، وهي هديّة للسيد عيسو؛ ويعقوب قادم وراءنا!"

فكّر يعقوب في إستراتيجية أخرى مع حلول الليل. جعل عربات عائلته تعبران شمالاً عبر مخاضة يثوق، بعيداً عن مواجهة عيسو. فعلى الأقلّ يُمكن للنهر أن يكون بمثابة حاجز. ثمّ بقي يعقوب في الخلف وحده. كان قد فعل كلّ ما في وسعه. غداً سيظهر عيسو.

بينما انتظر يعقوب في الليل، أحسّ باقتراب شخصٍ إليه. تحدّاه هذا الغريب، ثمّ فجأة تصارع معه. بعد مبادرته الفجائية، ربّما تطلّع يعقوب لانتصارٍ سريع. كان يعقوب رجلاً ذا قوّة غير عادية. لكن هذا لم يكن خصماً عادياً؛ فقد قابل يعقوب مَنْ هو أكثر من نظير له. استمرّ يعقوب في الإحساس بالإجهاد وانقطاع الأنفاس مع استمرار الصراع المميت طوال ساعات الظلام. ثمّ، مع اقتراب الصباح، لمس خصم يعقوب حقّ فخذة. فأصبح يعقوب فجأةً أعرج. تمكّن يعقوب فقط من التمسك بهذا المصارع، ولكن الآن مع قناعة متزايدة. لقد عرّف أنّ خصمه هو ملاك الربّ.

لكي نفهم ما يعنيه ذلك، لا بدّ أن نتذكّر أنّ جيش يعقوب قد تقابل مع جيشٍ من الملائكة حين دخل أول مرة حدود الأرض. دُعي ذلك المكان مَحنايم، والذي يعني "مُعسكرين". كان الربُّ يُذكّر يعقوب بأنّ عودته للأرض ليست أمراً مفروغاً منه. كانت هذه هي الأرض التي أعطاه الله لشعبه، "أرض مقدّسة" بحقّ. لم يكن من الغريب أن تكون هناك جماعة حارسة من الملائكة يلقاها عند المدخل. لا بدّ أنّ يعقوب كان في رهبة من هذه العلامة على حضور ربّ الجنود السماويين. لكن يعقوب لا يتقابل الآن مع فرقة من الملائكة، بل مع الشخص الأكثر رهبة، ملاك الربّ نفسه، وظهور حضوره. كان لموسى لقاء مماثل مع ملاك الربّ عندما دخل مصر، في المهمة التي أكلها له الله، من دون أن يختن ابنه (خروج ٤: ٢٤؛ ٥: ٣). إن يشوع عندما وقف بمفرده أمام أريحا بعد دخول إسرائيل الأرض، تقابل هو أيضاً مع رئيس جند الربّ، الذي تقدّم إليه بسيف مسلول (يشوع ٥: ١٣، ١٤).

كان الربُّ يُظهر ليعقوب أنَّ الشخص الذي يجب أن يخشى مواجهته هو ليس عيسو، بل الله نفسه، الحاضر في ملاكه. لم يكن صراع يعقوب في النهاية هو المصارعة مع عيسو التي بدأت في رحم أمّه. لكنَّ صراعه كان مع الربِّ نفسه، إله إبراهيم وإسحاق.

ربّما لسنا جاهزين لإدراك ذلك. إنَّ إله الديانات المشهورة ليس هو إله الكتاب المقدَّس القدُّوس. تُشبه تلك الآلهة أكثر من مجرد "جَبِّي مصباح علاء الدين" الذي يظهر بُناءً على طلبنا لئِلْبِي رغباتنا. إذا لم يكن لدينا خوف من الله، فنحن إذاً لا نعرف أنَّه نار آكلة (عبرانيين ١٢ : ٢٩). تقابل الربُّ مع يعقوب بصفته خصماً مخيفاً.

روعة الانتصار

لكن مع كلِّ معاناة يعقوب في صراعه بمفرده، فإنَّ قلب هذه القصة هو رسالة انتصار. فاز يعقوب من خلال انتصار الإيمان. لم يغلبه الملاك حتَّى ضربه بلمسة جعلته يعرُج. لكن حتَّى حينذاك لم يطلقه يعقوب. وعندما طلب منه الملاك أن يطلقه لأنَّ الفجر طلع، صرَّح يعقوب: "لَا أُطْلِقُكَ إِنَّمَا تَبَارَكُنِي". (آية ٢٦)

تَمَسَّكَ إيمانُ يعقوب بالملاك باستماتة كبيرة. هذا هو جوهر رغبته المُستمرة في الحصول على البركة. تَمَسَّكَ يعقوب بِمَنْ هو المُعْطِي والعَطِيَّة، ربُّ الحياة والرجاء. إنَّ الإيمان الحقيقي ليس قبُولاً هزلياً لحالة أفضل للأمور. إنه إيمانٌ مُنجذب ومُنقاد: منجذب إلى الاعتراف القوي بأنَّ الله حقيقيٌّ، وأنَّه موجود هنا معي؛ ومُنقاد بالفراغ والرعب الناتج عن الشعور بالذنب والخوف بعيداً عن بركته. يُمَسِّكُ الإيمانُ بالربِّ، ويتمسِّكُ بالحياة الأبدية. إنَّ ما يُطالب يعقوبُ به هو وعد الله؛ لا يمكن إنكاره، لأنَّ الله قد أَلَزَمَ نفسه بالوعد.

أَعْلَنَ الربُّ بنفسه أنَّ يعقوب هو الفائز. كان اسمه "يعقوب" أي المُمسِكُ بالعقب، لأنَّه جاهد مع الناس؛ أمَّا الآن فإنَّ اسمه سيكون إسرائيل، لأنَّه جاهد مع الله، وغلب! (آية ٢٨).

لكن إذا كان يعقوب منتصراً بالإيمان، فإنَّ النصر الحقيقية هي نصرة النعمة. فيا له من فائز غريب: "فِي الْبَطْنِ قَبْضَ بَعْقِبِ أَخِيهِ، وَبِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ اللَّهِ. جَاهَدَ مَعَ الْمَلَائِكِ وَغَلَبَ؛ بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ" (هوشع ١٢ : ٤).

من المؤكَّد أن يعقوب لم يُنْتَبِ خصمه أرضاً؛ كان فوزه بالكاد انتصار مصارع. لقد فاز عندما كان عاجزاً؛ كانت لديه قوَّة مع الله عندما خارت قوَّته، وعندما أدرك ذلك. في الصباح، عَرَفَ ورطته بشكل أكبر من الليل. قال الربُّ له "أَطْلِقْنِي، لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ" (تكوين ٣٢ : ٢٦). ليس السبب، بكلِّ تأكيد، أنَّ الله خافَ مِنَ الْفَجْرِ (لم يكن روحاً لئلياً، مثلما تخيَّل بعض المُفسرين). كان يعقوب هو المُعرَّض للخطر: أراه مع ضوء الصباح قد يرى وجه الله نفسه. لهذا السبب دعا يعقوبُ اسمَ المكان فينثيل: وجه الله. "لِأَنِّي نَظَرْتُ

اللَّهُ وَجْهًا لَوَجْهِهِ، وَنُجِّيتَ نَفْسِي" (آية ٣٠). سأل الملاك عن اسمه، لكنَّ الطلب لم يكن مناسبًا. لقد عَرَفَ الربَّ، وفي أثناء تَلْقِيهِ للبركة رأى وجه الربِّ في ضوء الصباح.

هذه هي ذروة البركة التي تَلَقَّاهَا يعقوب؛ أن يرى الربَّ وجهًا لوجه.

"بَارِكْكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسْكَ؛

يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ؛

يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلَامًا"

(العدد ٦: ٢٤-٢٦)

قال يعقوب عند بيت إيل: "حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!... مَا هَذَا إِلَّا بَيْتُ اللَّهِ، وَهَذَا بَابُ السَّمَاءِ" (تكوين ٢٨: ١٦، ١٧). صارت ليعقوب الآن شركة أعمق مع الربِّ، لأنَّه رأى لمحةً من مجد المسيح الذي هو صورة الله (٢ كورنثوس ٤: ٤). قال يسوع: "الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ" (يوحنا ١٤: ٩). إن الله الذي أشرق نور صباحه على يعقوب في فينثيل أشرق نوره في قلوبنا لإنارة معرفة مجده في وجه يسوع المسيح.

كان يعقوب، الذي صار اسمه إسرائيل، مستعدًّا لمقابلة عيسو وجهًا لوجه، لأنَّه تقابل مع الله وجهًا لوجه. ولأنَّه كان حاملاً بركة الله، لم يكن مُضطرباً لأن يخاف أيَّ إنسان.

كان يعقوب هو من فاز بواسطة النعمة، وكان الربُّ هو المُنتصر بالنعمة. لا يُصوِّر المسيح مُسبقاً في هذا السياق في دورٍ واحد فقط، بل في دورين. فهو ملاك الربِّ، الشخص الغامض الذي يُعدُّ الله حاضرًا فيه بنفسه. بصفته الربِّ، فاز عن طريق أنَّه خسر. لو كان قد لمس يعقوب ببساطة بإصبع الدينونة، لكان يعقوب خسر بشكل لا يُمكن تغييره. لكنَّ هذا لم يكن قصد الربِّ. كبح الربُّ قواه الشخصية، ومنع دينونته عن يعقوب، ليُسمع صرخة الإيمان، وليُعطي نفسه للقبضة التي تتمسك بوعدده.

يُصوِّر المسيح مُسبقاً أيضًا في يعقوب، الذي هو نسل الوعد، وخادم الربِّ. إن المسيح هو إسرائيل الحقيقي، مثلما يقول النبي: "وَقَالَ لِي: «أَنْتَ عَبْدِي إِسْرَائِيلُ الَّذِي بِهِ أَمَجَّدُ»" (إشعيا ٤٩: ٣). استكمل إشعيا كلامه بأن يَصِفَ العبدَ المتألِّم، المضروب من الله والمجروح لأجل معاصينا. في الواقع، توجد رمزيَّة تُشير إلى المسيح في الضربة التي تَلَقَّاهَا يعقوب بينما كان يصارع. كانت الفخذ في العهد القديم طريقة أكثر تَهْدِيْبًا للإشارة إلى عضو التناسل. ففي المقطعين الآخرين حيث يُذكَرُ فخذ يعقوب، فإنَّ نسله هو المقصود بهذا التعبير (تكوين ٤٩: ٢٦؛ خروج ١: ٥). عانى يعقوب من العرج بسبب لمسة الملاك فيما يَتعلَّق بِدُرَيْتِهِ، أي الشخص الذي سيولد من نسله، المسيا.

تَصَارَعُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِي عَذَابِ بَسْتَانِ جَثْسِيمَانِي. حَجَبَ الْآبُ وَجْهَهُ عَنْهُ فِي ظُلْمَةِ الْجَلِجَثَةِ لِكَيْ نَرَى فِيهَا مَجْدَهُ. إِنَّهُ هُوَ الْمُنْتَصِرُ لِأَنَّهُ هُوَ الضَّحِيَّةُ. فَبِمَوْتِهِ سِيحِيَا، وَبِضَرْبِهِ أَرْضًا تَمَجَّدُ فَوْقَ الْكَلْبِ. لَنْ يُطْلَقَ "الْآبُ" حَتَّى يَحْصَلَ عَلَى الْبَرَكَةِ. كَانَتْ صَلَاتُهُ إِلَى الْآبِ هِيَ أَنْ نَتَمَكَّنَ يَوْمًا مَا مِنْ أَنْ نَرَى مَجْدَهُ.

هل تسأل عن اسمه؟ إِنَّهُ عَمَّانُئِيلُ، اللَّهُ مَعْنَا. لَا نَرَاهُ فِي الضُّوْءِ الرَّمَادِيِّ فِي صَبَاحِ فِينْئِيلِ، بَلْ فِيمَا يَكْشِفُهُ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ لِقُلُوبِنَا. لَكِنْ سِيَأْتِي الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ نَرَاهُ وَسَنَكُونُ مِثْلَهُ. مِنْ أَجْلِ إِحْيَاءِ ذِكْرِي فِينْئِيلِ، لَمْ يَأْكُلْ نَسْلُ إِسْرَائِيلِ حُقَّ الْفَخْذِ. لَكِنَّا مَدْعُوعُونَ إِلَى مَائِدَةِ الرَّبِّ لِكَيْ نَأْكُلَ وَنَشْرَبَ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ مَوْتَهُ لِأَجْلِنَا.

لَأَنَّ يَسُوعَ تَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِنَا، يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِهِ. هَلْ إِيمَانُكَ مُسْتَمِيتٌ؟ هَلْ تُدْرِكُ كَمْ تَحْتَاجُ إِلَى الرَّبِّ وَإِلَى بَرَكَةِ وَجْهِهِ؟ هَلْ تَصْرُخُ قَائِلًا "لَا أَطْلُقُكَ إِنْ لَمْ تَبَارِكْنِي؟" لَا يَزَالُ الرَّبُّ يُبَارِكُ الْإِيمَانَ الْمُسْتَمِيتَ!

هل يُمكن أن يكون الله في وسطنا؟

(خروج ٣٤ : ١-٩)

إلى أيّ مدى تريد أن تكون متديّنًا؟ ربّما ليس متديّنًا مثل إرهابيّ متديّن. يستطيع معظم الأمريكيّين بشكل جيّد أن يُبقوا الدينَ ضمن منطقة راحتهم. مع ذلك، قد يكون لدى البعض من أصدقائك ما يكفي من الذكريات الإنجيلية التي تجعلهم غير مرتاحين بشكلٍ مُبهم. ربّما هذا يصف مشاعرك الآن.

يوجد مكان واحد لا يمكن لهذا السؤال أن يُثار فيه، وهو في الوقوف أمام الرب. عرّف شعبُ إسرائيل الخوف عندما وقفوا أمام الله عند جبل سيناء. كان الربُّ قد خلّصَ إسرائيل من مصر ليخضِرهم إلى مُقابلة عند جبل سيناء. نَزَلَ اللهُ على الجبل في سحابٍ وناهِ. تزلزلت الأرض في حضور الخالق. تكلمَ الربُّ بكلمات شريعة عهده من على قمّة الجبل. فقاد الخوفُ الناسَ إلى التراجُع للخلف. وبينما كانوا واقفين بعيدًا، قالوا لموسى: "تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَسَمِعَ. وَلَا يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلَّا نَمُوتَ". (خروج ٢٠ : ١٩)

سَمِعَ اللهُ طلبهم، وصعد موسى جبل سيناء ليستقبل كلام الله. غاب موسى عنهم لأكثر من شهر، بينما كان يستقبل تعليمات الله بخصوص الكهنوت والعبادة وحياة شعب إسرائيل. قدّم اللهُ خَطَّتَه الخاصّة لخيمة الاجتماع، خيمة سُكناه. كان ينبغي أن تُنصب خيمة الربِّ حيث استقرَّت سحابة مجد الربِّ. ثمَّ كان على الأسباط الاثني عشر أن يخيّموا حول خيمة الربِّ. أمام خيمة الاجتماع، باتجاه الشرق، كان على اللاويين أن يَنصبوا خيامهم. كان على خيام الأسباط الأخرى أن تُنظّم بحسب رايات أسباطهم وعائلاتهم حول مَسكن الربِّ. كان الربُّ سيَسكن في وَسَطِ شعبه.

أزمة ومساومة: اللهُ على بُعْدٍ (خروج ٣٣ : ١-٣)

بينما كان موسى بأعلى الجبل، تمرّد الشعبُ على الربِّ. لقد سمعوا صوتَ الربِّ نفسه وهو يَمنعهم من أن يصنعوا أصنامًا. في عصيانٍ مباشرٍ، جعلوا هارون يصنع لهم عجلًا صغيرًا من الذهب. ولتوفير هذا المعدن الثمين، خلَعوا أقراطهم الذهبية. نَزَلَ موسى من الجبل ومعه الوصايا العشر التي كتبها الربُّ على لوحين من حجرٍ. سَمِعَ موسى عريضة الاحتفال المُقام أسفل الجبل. فحطّم الصنمَ وصرخَ، "مَنْ سَيَقِفُ بِصَفِ الربِّ؟" وتجاوب مع النداء السبّط الذي منه موسى فقط، أي سبط لاوي. أمّا باقي الأسباط، فلم يكونوا بِصَفِ الربِّ بل ضده!

قال الله إِنَّهُ سِيُحَطِّمُ هَؤُلَاءِ الْمَتَمَرِّدِينَ، وَسَيَصْنَعُ أُمَّةً جَدِيدَةً مِنْ نَسْلِ مُوسَى. فِي أَلَمٍ شَدِيدٍ، تَوَسَّلَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ لِيَعْفُو عَنْهُمْ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ بَيْنَ الشُّعُوبِ. فَقَالَ الرَّبُّ إِنَّ شَعْبَ إِسْرَائِيلَ أَخْطَأَ فِي تَعَمُّدٍ. لَقَدْ كَانُوا شَعْبًا صَلَبَ الرِّقْبَةَ (خروج ٣٢: ٩؛ ٣٣: ٣، ٥). يَصِفُ هَذَا الْمَصْطَلَحُ حِصَانًا أَوْ حِمَارًا لَا يُمْكِنُ تَوْجِيهِهِ بِلِجَامٍ. يُمَسِّكُ بِطَرْفِ اللِّجَامِ الَّذِي فِي أَسْنَانِهِ، وَيَتَحَرَّكُ فِي الْإِتِّجَاهِ الَّذِي اخْتَارَهُ هُوَ.

بعد تمرد إسرائيل مع صنمهم، العجل الذهبي، قال الله إِنَّهُ لَنْ يَسْكُنَ فِي وَسْطِهِمْ. كَانَ ذَلِكَ شَدِيدَ الْخَطَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ. قَدْ تَشْتَعَلَ قَدَاسَتُهُ الْمُخِيفَةُ فَتُنْفِيهِمْ فِي لِحْظَةٍ.

قال الله إِنَّهُ سَيَجْعَلُ مَلَائِكَةَ حُضُورِهِ يَتَقَدَّمُوهُمْ، وَيَطْرُدُ الْكَنْعَانِيِّينَ، وَيُعْطِي إِسْرَائِيلَ أَرْضَ الْمَوْعِدِ. أُسَيءُ فَهْمٌ هَذَا أحيانًا. تَمَّ افْتِرَاضُ أَنَّ اللَّهَ يَسْتَبْدِلُ مَكَانَهُ مَلَائِكًا، عَوَضًا عَنْ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ. لَكِنْ هَذَا لَيْسَ هُوَ الْأَمْرُ، فَالْمَلَائِكَةُ لَيْسَ مَجْرَدُ أَحَدِ جُنُودِ السَّمَاءِ. إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّبِّ هُنَا هُوَ ظَهْوَرٌ لِلرَّبِّ نَفْسَهُ. يُعَدُّ هَذَا الْمَلَائِكَةُ بِنَفْسِ الْخَطُورَةِ مِثْلَ الرَّبِّ فِي قَدَاسَتِهِ الْمُخِيفَةِ، لِأَنَّهُ ظَهْوَرٌ لِلرَّبِّ. "إِحْتَرِزْ مِنْهُ وَاسْمَعْ لِصَوْتِهِ وَلَا تَتَمَرَّدْ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَا يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، لِأَنَّ اسْمِي فِيهِ" (خروج ٢٣: ٢١). يَحْمِلُ الْمَلَائِكَةُ اسْمَ اللَّهِ؛ إِنَّهُ اللَّهُ الْإِبْنُ.

إِنَّ النِّقْطَةَ الَّتِي يُوَضِّحُهَا اللَّهُ هُنَا هِيَ أَنَّهُ لَنْ يَذْهَبَ فِي وَسْطِ إِسْرَائِيلَ، سَاكِنًا فِي خَيْمَتِهِ فِي وَسْطِ مَعْسُكِهِمْ. قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَ اللَّهُ تَصْمِيمَ خَيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ لِمُوسَى، كَانَ مَكَانَ الْإِقْتِصَادِ مَعَ اللَّهِ هُوَ خَيْمَةُ مَنْصُوبَةٍ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ. كَانَ الرَّبُّ يَتَقَابَلُ مَعَ مُوسَى عِنْدَ بَابِ تِلْكَ الْخَيْمَةِ. وَكَامَ يَتَكَلَّمُ هُنَاكَ مَعَ مُوسَى، "فَمَا إِلَى فَمٍ".

وبالنسبة إلى العديد من سگان الضواحي، قد يبدو هذا الترتيب مثاليًا. فهم لا يرغبون في أن يكون الله قريبًا للغاية منهم - بالتأكيد لا ينبغي أن يكون في مكتبهم، ويتحفظ أكبر من أن يكون في بيوتهم. مع ذلك، لا يريدون أن يفقدوا كل اتصال مع الله. لا يعلم أحد متى ستكون هناك حاجة إليه. ليسكن الله في الكنيسة على مسافة مناسبة، مع رجل دين باعتباره موظف استقبال لله. إلى أي مدى تريد أن يكون الله قريبًا منك؟ وما مدى قرب الآت؟

بالنسبة إلى موسى، لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ بَيْنَ شَعْبِهِ، سَاكِنًا فِي وَسْطِهِمْ. فَإِذَا كَانَ اللَّهُ لَنْ يَذْهَبَ فِي وَسْطِهِمْ، فَمَا فَائِدَةُ الذَّهَابِ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى الْإِطْلَاقِ؟ لَكِنْ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ فَضَّلُوا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ مُتَاحًا لَهُمْ فِي مِصْرَ. تَذَكَّرُوا السَّمَكَ الَّذِي اصْطَادُوهُ فِي مِصْرَ، وَالْخِيَارَ، وَالْبَطِّيخَ، وَالْكَرَّاثَ، وَالْبَصْلَ، وَالثُّومَ فِي أَكْلِهِمْ هُنَاكَ. لَقَدْ سَأَمُوا حَتَّى مِنْ الْمَرِّ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَمْ يَشْتَهُوا لَبَنَ وَعَسَلَ أَرْضِ الْمَوْعِدِ. إِنَّ الْمَغْزَى مِنَ الذَّهَابِ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ لَمْ يَكُنْ مَا يُنْتِجُهُ الْبَقَرُ وَالنَّحْلُ، لَكِنْ كَانَ حُضُورَ الرَّبِّ بَيْنَ شَعْبِهِ هُنَاكَ.

مِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الرَّبَّ سَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُمْ. كَانَ سَيَطْرُدُ الْكَنْعَانِيِّينَ وَيُعْطِي الْأَرْضَ لِإِسْرَائِيلَ. لَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي وَسْطِهِمْ، فَكَيْفَ سَيَتَمَيَّزُ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الْآلِهَةِ الْوَثْنِيَّةِ؟ لَا نَجْرُؤُ عَلَى نَسْيَانِ هَذَا التَّمْيِيزِ الْعَظِيمِ

بين الأديان الأخرى وأسفار موسى. لقد ناح موسى وشعب إسرائيل عندما سمعوا أن الله، بسبب خطيئتهم، سيتقدمهم ولكن لن يسكن في وسطهم. أمّا آلهة الأديان الأخرى فهي الآلهة العظيمة، لكنّها تبقى بعيدًا الإنسان، تبقى مُتسامية، ولا تُقارن بالربّ الذي يسكن وسط شعبه. قال موسى إنّه إذا كان الله لن يذهب في وسطهم، فلا فائدة من الذهاب. إن بركة الربّ العظمى هي خيمته التي في وسط خيامهم: "فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لِأَسْكُنَ فِي وَسْطِهِمْ". (خروج ٢٥: ٨)

إنّ صلاة موسى إلى الربّ تدور حول الشركة مع الربّ الحاضر. صرخ موسى باستماتة من أجل بركتين: أولاً، أراد موسى أن يعرف الربّ. طلب أن يعرف اسم ملاك الربّ الذي سيرسل معه (خروج ٣٣: ١٢). بسماع هذا الاسم، سئّل له أعمال الربّ: "فَالآنَ إِن كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَعَلِمْنِي طَرِيقَكَ" (خروج ٣٣: ١٣). ثانيًا، طلب موسى أيضًا أن يرى مجد الربّ. استجاب الله الطلّبتين، أولاً من خلال إعلان اسمه لموسى: "يهوه إيل رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء" (خروج ٣٤: ٦، مع استخدام أسماء الله العبرية). هذا هو الاسم الذي سمعه موسى في العليقة المشتعلة. إنه اسم الله المستخدم في إعلان الوصايا العشر: "أنا يهوه إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية" (خروج ٢٠: ٢، مع استخدام أسماء الله العبرية). إنه الاسم الذي استخدمه يوحنا في الإشارة إلى خروج ٢٣، عندما قال، "وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ [خيم] بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا". (يوحنا ١: ١٤)

رأى موسى أيضًا مجدّ الله. أخفاه الربّ في نقرّة في الصخرة، وغطاه بيده إلى أن عبر الربّ، ورأى موسى وراءه. إن يسوع، الله الابن، الذي هو مجد الآب، عندما ظهر على جبل التجلي، ظهر موسى هناك معه. عندها استطاع موسى أن ينظر، لا إلى وراء الله، بل إلى المجد الذي أنار من وجه يسوع. فرأى على الأرض مجدّ وجه الله الابن، الذي يستطيع وحده أن يكشف مجد الآب.

في استجابته لصلاة موسى، قال الله إنّه سيسير وسط شعبه. وفي صلاة شكره، كرّر موسى الكلمات التي قالها الله. قال الله: "أَنْتُمْ شَعْبٌ صُلْبُ الرِّقَبَةِ. إِنْ صَعِدْتُ لِحُطَّةٍ وَاحِدَةً فِي وَسْطِكُمْ أَفْنِيْتُكُمْ" (خروج ٣٣: ٥). صلى موسى قائلاً: "فَلْيَسِرِ السَّيِّدُ فِي وَسْطِنَا، فَإِنَّهُ شَعْبٌ صُلْبُ الرِّقَبَةِ" (خروج ٣٤: ٩). تُترجم بعض الترجمات كلمة "فَائِئُهُ" إلى "رُغم أنّه". بالتأكيد لا يُمكن لموسى أن يطلب من الله أن يسير في الوسط لأنهم حُطاة رقابهم صُلبة! لكن موسى كان يكرّر كلمات الربّ بالضبط. ثمّ أضاف: "وَاعْفُرْ إِيْمَانًا وَخَطِيئَتَنَا وَاتَّخِذْنَا مَلَكًا." كان يجب أن يسير الربّ في الوسط تحديدًا لأنّ إسرائيل شعبٌ صُلْب الرقبة. كانوا بحاجة إلى حضور الربّ، الذي هو مملوء نعمة وأمينٌ إلى محبته المرتبطة بِسَمِهِ.

التجديد المُنعِم: الله في الوسط

جَدَّدَ اللهُ عهده بإعطاء خيمة الاجتماع لإسرائيل. كان سَيَسْكُنُ حَقًّا في خيمته وسط شعبه. كان تصميم خيمة الاجتماع، باعتبارها مَسْكَنَ اللهُ، يحوي قُدس الأقداس في مركزها وهو الغرفة المكعَّبة المفصولة بِحِجَابٍ عن القُدس. كان مَسْكَنَ اللهُ المقدَّس يحتاج إلى الانفصال عن مُعسكر الخُطاة غير الطاهر للخُطاة الذين حوله. كانت الدار الخارجيَّة بِأكملها محاط بِحِجَابٍ. كان يوجد حِجَابٍ آخر يفصل القُدس عن الدار الخارجيَّة. كذلك لكن حِجَابًا آخر كان يَحجب قُدس الأقداس، حيث لا يدخل إلاَّ رئيس الكهنة مرَّةً واحدة في السنة، في يوم الكفَّارة.

مع ذلك، فإنَّ خيمة الاجتماع تَرْمُزُ أيضًا إلى طريقة الاقتراب إلى الربِّ. يستطيع العابد أن يَدْخُلَ الدار الخارجيَّة والاقتراب من مذبح المحرقة بذبيحة حيوانيَّة، مُعترفًا بخطاياها ويديه على رأس البديل، ثمَّ يذبحه. تختلف الطقوس حسب نوع الذبيحة، لكنَّ الكاهن كان يَصعد المذبح الضخم حاملًا الذبيحة. كان الكاهن يُطَهِّر نفسه مرَّةً أخرى عند المرحضة، حوض الماء الموجود أمام القُدس. كان يجوز للكهنة أن يَدْخُلُوا القُدس، حيث يضعون خبز الوجوه الجديد ويزيلون القديم. كان النبيذ يُوضَعُ أيضًا على هذه المائدة. على ناحية الجانب الأيسر من المَسْكَنِ حيث يدخل الكاهن، كانت تُضاء المنارة ذات الأفرع السبعة، وأمام حِجَابِ قُدس الأقداس كان مذبح البخور قائمًا، وهو رمزٌ لصلوات شعب الله. وفي يوم الكفَّارة، كان رئيس الكهنة يَدْخُلُ قُدس الأقداس لِيُرْسِّ دَمَ الذبيحة على تابوت العهد. كان تابوت العهد، المصنوع من الخشب والمغطَّى بالذهب، له غطاء من الذهب الخالص. وعلى جانبي الغطاء كان هناك كروبان من الذهب، وكانت أجنحتهما مبسوطة على كرسيِّ الرحمة، وهو الجزء الأوسط من الغطاء الذهبيِّ. كان ذلك المركز عرشًا فارغًا. لم يكن ممكنًا أن توضع هناك أيُّ صورة، لا لأنَّه لم توجد أيُّ صورة. فلقد صنع اللهُ الإنسانَ على صورته، ولكنَّه أمرَ إسرائيل ألا يصنعوا أيُّ صورة له، وألا يسجدوا أو يعبدوا مثل هذه الصورة.

إنَّ يسوع المسيح، ابن الله، هو "بِهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ [صورة] جَوْهَرِهِ" (عبرانيين ١ : ٣). كان المكان الفارغ لعرش الله في خيمة الاجتماع محجورًا ليسوع المسيح، الذي هو صورة الله (٢ كورنثوس ٤ : ٤). كانت غيرة الله الشديدة ضدَّ الصور هي نفسها محبَّته الغيورة لابنه الوحيد. كان يسوع يقبل العبادة على الأرض، لأنَّه كان واحدًا مع أبيه الذي في السماء.

مثلما تُعَلِّمنا رسالة العبرانيين، فإنَّ العبادة في خيمة الاجتماع صَوَّرت مُسبقًا المَسْكَنَ الحقيقيَّ في السماء، نموذج الرمزية الأرضية التي كانت تُشير إلى يسوع. فنحن الآن نأتي إلى العبادة في القُدس السماويِّ. يَجتمع هناك محفل القديسين والملائكة حيث يوجد يسوع. لقد دفعَ دَمُهُ ثَمَنَ خطايانا حتَّى نَنتمكَّنَ من الاقتراب إليه في عبادة.

لقد ظهرت نعمة الله ورحمته في رمزية العهد في خيمة الاجتماع والهيكل. أحضر يسوع المسيح حقيقة كل هذا. قال الرب لموسى: "أَجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَاءُ فُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءُ فُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ" (خروج ٣٣: ١٩). إن الجود الذي أخبر الرب به موسى تحقق في المسيح (خروج ٣٤: ٦؛ يوحنا ١: ١٤). إن يسوع هو الإنسان "الظاهر اليدين والنقي القلب" الذي استطاع أن يصعد إلى جبل الرب (مزمور ٢٤). وهو أيضًا الرب العائد الذي يدعو إلى فتح البوابات عند عودته. لقد صعد يسوع إلى السماء، فعمله الفدائي على الصليب اكتمل، وغلب الموت.

لم يطلب موسى، في صلوات شكره على غفران الله، أن يُعطي الله إسرائيل نصيبهم في الأرض. لكنّه صلّى أن يأخذهم الله ميراثًا له، كنز محبته.

إن مجد العهد الجديد يُتمم رموز العهد القديم. ففي يسوع لدينا المسكن الحقيقي. قال يسوع: "انقُضُوا هَذَا الْهَيْكَل، وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ". لقد كان يتحدث عن هيكل الله الحقيقي، عن مسكن الله في جسد ابنه المتجسد. إن الاسم الذي أعلنه الله، اسمه العهدي، هو الآن مُعلن بصفته اسم يسوع، الاسم الذي ستجثو له كل ركلة.

لقد قال فيليبس ليسوع في العشاء الأخير: "يَا سَيِّدُ، أَرْنَا الْآبَ وَكَفَانًا" (يوحنا ١٤: ٨). كان ردُّ يسوع توبيخًا أيضًا: "أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مَدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلِبُّسُ! الَّذِي رَأَيْتَ فَقَدْ رَأَى الْآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرْنَا الْآبَ؟" (آية ٩)

نُعَين مجد الله بقوة الروح القدس في وجه يسوع (٢ كورنثوس ٣: ١٨-٤: ٦). أصبحنا في المسيح ميراث الله، مختومين بالروح القدس، علامة على أننا لله وهو لنا (أفسس ١: ١٣-١٤).

هل يستطيع أن يسكن الله في وسطنا؟ نعم! أصبحنا في المسيح هياكل لمسكن المسيح (١ كورنثوس ٦: ١٩)، وأصبحت الكنيسة مسكنه، لأن الكنيسة هي جسد المسيح (١ كورنثوس ٦: ١٥؛ أفسس ٢: ٢٠، ٢١). وأبعد من كل فهمنا، لا يسكب الله فقط محبته في قلوبنا لكنه حاضر شخصيًا بالروح القدس فينا. إن الاتحاد مع المسيح يعني ارتباطًا شخصيًا وشركة تربط الكنيسة معًا في يسوع. من الآن وإلى الأبد، لنا الحياة هي المسيح، والموت هو ربح.

تَقَابُلٌ مَعَ الْقَائِدِ

(يشوع ٥ : ١٣-١٥)

مَنْ هُوَ الشَّخْصُ الْمَسْئُولُ فِي كَنِيسَتِكَ؟ تُدَارُ بَعْضُ الْكِنَائِسِ بِوِاسِطَةِ الرَّاعِي، وَتُدَارُ أُخْرَى بِوِاسِطَةِ زَوْجَةِ الرَّاعِي. لَكِنَّ مَعْظَمَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُونَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَأَنَّهُ هُوَ مَنْ يَقُودُهَا بِوِاسِطَةِ كَلِمَتِهِ وَرُوحِهِ. فِي كَنِيسَةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الرَّسُولِيَّةِ (apostolic)، تَطَّلَعُ الرُّسُلُ إِلَى أَعْضَاءِ الْكَنِيسَةِ مِنْ أَجْلِ اخْتِيَارِ أَوْلَادِكَ الَّذِينَ سَيُتِمُّ تَعْيِينَهُمْ شَبُوحًا لَهُمْ. إِنْ مِمَارَسَةُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لِإِدَارَةِ الشُّيُوخِ لِلْكَنِيسَةِ قَدْ تَبَدُّوا الْيَوْمَ وَكَأَنَّهَا مَجْهُودٌ يَأْتِي لِإِدَارَةِ الْكَنِيسَةِ بِوِاسِطَةِ مَجْلِسٍ. تَتَطَّلَعُ الشَّرَكَاتُ الْعِلْمَانِيَّةُ إِلَى الْقَادَةِ الْأَقْوِيَاءِ لِتَشْكِيلِ الشَّرَكَاتِ الَّتِي يَدِيرُونَهَا. مَعَ ذَلِكَ، كَانَ لِنِظَامِ كَنِيسَةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ تَأْثِيرٌ قَوِيٌّ عَلَى الْمِمَارَسَاتِ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ لِلْحُكُومَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ.

لَكِنَّ نِظَامَ الْكَنِيسَةِ لَا يَعْتمِدُ عَلَى افْتِرَاضَاتٍ دِيْمُقْرَاطِيَّةٍ، بَلْ عَلَى حَقِيقَةِ سِيَادَةِ الْمَسِيحِ عَلَى الْكَنِيسَةِ بِاعْتِبَارِهَا مَمْلَكَتَهُ. صَعَدَ الْمَسِيحُ إِلَى السَّمَاءِ بِصِفَتِهِ مَلِكِ الْمَلُوكِ، وَهُوَ الْآنَ يَسُودُ عَلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، ظَهَرَ الْمَسِيحُ بِصِفَتِهِ مَلِكِ الرَّبِّ لِيُنْقِذَ شَعْبَهُ وَيَدِينِ أَعْدَاءَهُ. فِي نَصِّ مِفْتَاحِيٍّ فِي سَفَرِ يَشُوعَ، ظَهَرَ مَلِكُ جُنْدِ الرَّبِّ لِيَشُوعَ لِيُظْهِرَ سُلْطَانَهُ وَسِيَادَتَهُ عَلَى إِسْرَائِيلِ وَالْأَمَمِ.

يُقَدِّمُ سَفَرُ يَشُوعَ حَقِيقَةً جَدِيدَةً فِي تَارِيخِ شَعْبِ اللَّهِ. فَبَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً طَوَالَ فِي الْبَرِّيَّةِ، دَخَلَ جَيْلٌ جَدِيدٌ أُخِيرًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَهُمُ بِهَا اللَّهُ. ظَهَرَ هَذَا فِي نَوْعِيَّةِ الْأَكْلِ الَّتِي كَانُوا يَأْكُلُونَهَا. فِي الْبَرِّيَّةِ كَانَ طَعَامُهُمْ هُوَ الْمَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ. لَكِنْ فِي أَرْضِ الْمَوْعَدِ، كَانَ يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ غَلَّةِ الْأَرْضِ الْمَزْرُوعَةِ فِي الْحُقُولِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ.

لَقَدْ حَدَّدَ الرَّبُّ بِدَايَةِ الْعَصْرِ الْجَدِيدِ لَهُمْ مِنْ خِلَالِ تَوَقُّفِ تَدْفُوقِ نَهْرِ الْأُرْدُنِّ بِشَكْلِ مُعْجَزِيٍّ حَتَّى يَتِمَكَّنُوا مِنَ الْعُبُورِ عَلَى أَرْضِ يَابِسَةٍ. مِثْلَمَا انشَقَّ الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ لِيَخْلِصَهُمُ اللَّهُ مِنْ مِصْرَ، كَذَلِكَ أُوقِفَ نَهْرُ الْأُرْدُنِّ فِي أَثْنَاءِ مَوْسَمِ فَيْضَانِهِ. خَطَى الْكَهَنَةُ بِأَرْجُلِهِمْ عَلَى حَاقَّةِ الْمِيَاهِ وَهُمْ حَامِلُونَ تَابُوتَ الْعَهْدِ. وَبَيْنَمَا تَوَقَّفَ تَدْفُوقُ نَهْرِ الْأُرْدُنِّ، ظَلَّ الْكَهَنَةُ واقفين في منتصف مجرى النهر وهم حاملون التابوت. أَمَرَ يَشُوعُ بِأَنْ يُحْمَلَ اثْنَيْ عَشَرَ حَجْرًا مِنَ الْمَكَانِ، حَيْثُ كَانَ الْكَهَنَةُ واقفين، تَوْثِيقًا لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ حَيْثُ أَصْعَدَهُمُ اللَّهُ إِلَى وِجْهِةِ الْخُرُوجِ عِنْدَ دُخُولِهِمُ الْأَرْضِ. لَقَدْ انشَقَّ الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ لِكَيْ يَسْتَطِيعُوا الْخُرُوجَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَحُجِرَ تَدْفُوقُ نَهْرِ الْأُرْدُنِّ لِكَيْ يَدْخُلُوا إِلَى مِيرَاثِهِمْ. أَخَذَ اثْنَا عَشَرَ حَجْرًا مِنْ وَسْطِ نَهْرِ الْأُرْدُنِّ وَنُصِبُوا عَلَى الشَّاطِئِ نَاحِيَةِ أَرْضِ كَنْعَانَ، عَلَامَةً لِلْمَكَانِ الَّذِي عَبَرَتْ مِنْهُ أَسْبَاطُ إِسْرَائِيلِ وَسْطَ مِيَاهِ نَهْرِ الْأُرْدُنِّ الْمَتَوَقَّفِ.

أمام أعين الكنعانيين الخائفين الواقفين على أسوار أريحا، دخلَ شعبُ إسرائيل الأرض. ثمَّ جَدَدُوا عهدهم مع الربِّ. اختتنَ الرجال، وتم الاحتفال بعيد الفصح. لقد أهملَ جيلُ البرية فريضة العهد هاتين. وقد حدَّدوا الآن بدايةَ عصرٍ جديدٍ لإسرائيل في أرض الموعد. كان عليهم أن يكونوا شعبَ الله المُقدَّس في الأرض المُقدَّسة. كانت مهمَّتُهم هي أن يُحضروا دينونةَ الله على الكنعانيين. كان الكنعانيون يُقدِّمون الأطفال الصغار ذبيحةً لإرضاء الآلهة التي كانوا يعبدونها؛ عثرَ علماء الآثار على عظام هؤلاء الأطفال تحت أحجار الزاوية في بيوت الكنعانيين في فلسطين. عند ممارسة المُجتمعات للإجهاض، يجب أن يتذكَّر البشرُ غضبَ الله على قتل الأطفال بهذه الطريقة. لقد حدَّدتْ عدالةُ الله أنَّ كأسِ إثم الكنعانيين كان قد امتلأ. كان على رجال إسرائيل أن يكونوا ملائكةَ الله المُنتقمين الذين يُحضرون يومَ دينونةِ الله على كنعان.

القائد هو الربُّ

الخَصْمُ: السيف المسلول... ضَدَّنَا!

وقفَ يشوعُ بالقرب من أريحا -بلا شكٍ على مسافة آمنة. ورأى ارتفاع الأسوار. كان الله قد أَرعَبَ المحاربين الذين بداخل أريحا؛ ذابت قلوبهم. مع ذلك، لم يرَ يشوعُ قلوبهم، بل رأى فقط أسوار مدينتهم. وبينما هو واقفٌ ويُفكِّر، اندهشَ عندما رأى رجلاً يتحدَّثَ إليه وسيفه مسلول. كان يشوع قائد حربٍ. فاستعدَّ في الحال أما الهجوم المُحتمل، ونادى ذلك الشخص قائلاً: "هَلْ لَنَا أَنْتَ أَوْ لِأَعْدَائِنَا؟"

فَقَالَ حاملُ السيف: "كَلَّا، بَلْ أَنَا رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ. الْآنَ أَتَيْتُ" (يشوع ٥: ١٤). لقد تحدَّى الله يعقوب عندما رجع من سبيه في حاران. قابله جيشان من الملائكة عند دخوله الأرض. وبعدها قابله الربُّ وتصارع معه خلال الليل. تقابل الربُّ أيضًا مع موسى عندما كان عائدًا من الصحراء ليُخَلِّصَ شعبَ الله من عبوديتهم في مصر. عند مواجهة تهديدٍ من الله، ختنَ موسى ابنه. وبنفس الطريقة، تقابل الربُّ مع يشوع بعد عبوره نهر الأردن.

أدركَ يشوعُ التهديد النابع من قداسةِ الله، وسقط ساجدًا على الأرض أمام رئيس جُند السماء. وأدرك أنَّ رئيس جُند السماء لم يكن سوى الربِّ نفسه، الذي نزلَ ليقود شعبه الذين يحملون اسمه.

لا بُدَّ أن تبدأ خدمة ربِّ المجد من هذا الوضعية دائمًا. إن رسالة الإنجيل ليست من صنْعنا؛ والكنيسة ليست المؤسسة الخاصة بنا. ويأتي الربُّ بنفسه ليقوم بما يستطيع وحده أن يفعله. نحن خُدَّام، ولسنا رواد أعمال. استخدم جون كليلاند، وهو واعظ من الجيل السابق، هذا القول المأثور: "كُنْ على وجهك قَدَّامَ الله، وعلى قدميك أمام الناس."

لم يفتخر يشوع بحجم قوَّات إسرائيل؛ بل سجدَ أمام رئيس جند السماء، ربِّ الصباؤوت. "وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ؟ وَمَنْ يَنْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟". (ملاحي ٣: ٢)

رئيس خلاصنا: سيف مسلول... من أجلنا!

لكنَّ رئيس جند الربِّ لم يَسْتَلَّ سيفه لِيُدْمِرَ يشوع وقوّاته. إنّ تهديد قداسته موجودٌ، ولكنّه أتى ضدَّ قوّات الظلمة، وأجناد الشرِّ. إن الدمار الذي قضى به الربُّ ضدَّ الكنعانيّين هو علامة على عدله. بالنسبة إليهم، أتى يومُ الدينونة بالفعل. كان هذا ظلًّا للوقت الذي أعلنه يسوع في مجيئه للعالم: "الآنَ دَيْنُونَةُ هَذَا الْعَالَمِ. الْآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجًا". (يوحنا ٣: ١٢)

أتى القائدُ لِيُعْلِنَ أنّه هو رئيسُ جُندِ إسرائيل وكذلك رئيسُ جُندِ السماء. وكان يشوع يخدم تحت قيادته. وُعدَّ يشوعُ بالنجاح لأنَّ الربَّ سيكون معه مثلما كان مع موسى (يشوع ١: ٥، ٧). عَرَفَ بولس الرسول نُصرة الروح في رحلاته التبشيرية كما عَرَفَهَا أيضًا في حياة المؤمنين: "إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟" (رومية ٨: ٣١). لأنَّ يشوع كان يخاف الله، وكذلك نحن، ينبغي ألاَّ نخاف البشر. اقتبسَ بطرسُ في رسالته الأولى (٣: ١٥) من إشعياء ٨: ١٢، ١٣. تقول الترجمة اليونانية للعهد القديم "وَلَا تَخَافُوا خَوْفَهُ وَلَا تَرْهَبُوا، قَدِّسُوا رَبَّ الْجُنُودِ نَفْسَهُ فَهُوَ خَوْفُكُمْ وَهُوَ رَهْبَتُكُمْ". وفي اقتباسه، استبدلَ بطرس كلمة "نَفْسَهُ" بكلمة "المسيح".^{٣٦} إن ظهور رئيس جند السماء كان ظهورًا لابن الله، الذي تجسّد في ولادته من العذراء مريم.

القائد يتولّى المسؤولية

تكريس الدينونة: حرب مُقَدَّسة

لقد أتى القائدُ لِيُنْفِذَ الدينونة التي تتبأ عنها لإبراهيم منذ زمن طويل. بسبب عدم امتلاء كأسِ إثمِ الأموريّين لم نَقَعْ عليهم الدينونة في زمن إبراهيم (تكوين ١٥: ١٦). لكنَّ عبادة الأوثان والفجور الجنسيّ استمرَّ بين شعوب كنعان (لاويين ١٨: ٢٥-٣٠). والآن حان وقت الدينونة. كانت الأرض "سنتقيًا" سُكَّانها. وستنسكب كأسُ غضب الله.

هذا يفسّر تحريمَ أخذِ أيّة غنائم من أريحا. فقد وُضِعَت المدينة بأكملها تحت لعنة الدينونة. لقد كانت حريم (cherem)، مخصّصة للربِّ، وبهذا المعنى مُقَدَّسة. لم يكن مسموحًا لأيّ جنديٍّ أن يأخذ أيّ غنائم من أريحا، لأنَّ المدينة كانت كلّها مُلكًا للربِّ، وقد أُفْرِزَتْ للهلاك والدمار بالحرق. كان سيعفى عن بيت راحاب فقط بسبب إيمانها بالربِّ الذي أظهرته عندما أخفت جواسيس إسرائيل. وكذلك كان ينبغي أن تُحفظ أنية النحاس والحديد الثمينة ف خزانة الربِّ.

ظهرَ كلُّ هذا في الطريقة التي تمَّ بها الاستيلاء على المدينة. لم يُسقطها شعبُ إسرائيل بالحصار. بل قاد الكهنة الشعب في مسيرة حول أريحا. فعلوا ذلك مرّةً واحدة كلَّ يومٍ لمدة سبعة أيّام. وداروا في اليوم

^{٣٦} يستخدم المؤلف ترجمة إنجليزية حديثة والتي تعتمد على مخطوطات أدق، والتي ترد فيها العبارة في صيغة "قدسوا المسيح الرب" بدلاً من "قدسوا الرب الإله" الموجودة في ترجمة فاندريك العربية. (المترجم)

السابع حول المدينة سبع مرّات، ونفخ الكهنة في الأبواق. لقد كان سيف رئيس جند الربّ، لا سيف إسرائيل هو الذي هزم أريحا. لقد سقطت عن طريق الكهنة الضاربين بأبواق دينونة الله، لا بسيف جنود إسرائيل.

تكريس النعمة: الحرب المقدّسة!

نجد هنا النموذج الكتابي بخصوص "الحرب المقدّسة". قد يُسيء أحد قادة الأديان استخدام هذا المفهوم من العهد القديم. حيث يجد مفهوم الحرب المقدّسة في التكليف الإلهي لإسرائيل بأن يخدموا الله من خلال تنفيذ الدينونة على الكنعانيين. يوضّح دخول أريحا عمل الله المباشر في المطالبة بتحريم أريحا. إن استخدام الأديان الأخرى لهذا المفهوم يتعدّى أمر الربّ المباشر لإسرائيل، والأمر الأكثر إقلاقاً هو أنه يتجاهل مجيء المسيح وقيادته للحرب الروحية، لا لجيش أرضي. يوماً ما، سيَسقط كلُّ سورٍ أمام مجيء الربّ. لقد جرّد يسوع المسيح الرياسات والسلطين عند الصليب. لقد تمّ خوض المعركة والانتصار فيها. وصعد يسوع المنتصر إلى السماء في نُصرة، والآن يجلس عن يمين عرش الله، ويحكم كلَّ الأشياء.

إنّ أسلحة محاربتنا ليست مثل أسلحة إسرائيل في القديم. لكنّها أسلحة العهد الجديد الروحية: تتّضح كلمة الله ومحبّته في رعاية ورحمة شعب الله "إِذْ أَسْلِحَتْهُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِإِسْمِهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ، هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلُوٍّ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" (٢) كورنثوس ١٠: ٤، ٥).

كتب بولس عن خدمته بكلمات تُردد صدى خدمة الكهنة الذين سيطروا على أريحا بواسطة أبواق الله. قال إنّ الله أعطاه نعمةً "حَتَّى أَكُونَ خَادِمًا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِ الْأُمَّمِ، مُبَاشِرًا لِإِنْجِيلِ اللَّهِ كَمَا هُنَا، لِيَكُونَ قُرْبَانُ الْأُمَّمِ مَقْبُولًا مُقَدَّسًا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (رومية ١٥: ١٦). يتحدّث بولس هنا بلا شكٍّ عن تقدمة على المذبح، ولكن كلماته أيضاً مُستتيرة بحادثة السيطرة على أريحا. كان بولس يُقلِّص أسوار الخطأ والعداوة نحو الله من خلال الافتخار بالمسيح وإيَّاه مصلوباً. كان ينفخ بوق رسالة الإنجيل، وقوّة الله تعطي الانتصار. إنّ الربّ يقوده في موكب النصرة، لا باعتباره مُنتصراً بل أسيراً، مُقيّداً بالمحبة في موكب المُخلِّص.

يوماً ما، سيُنفخ البوق الأخير ليُعلن عن عودة الملك. لكن بوق النعمة يُبوق الآن في رسالة الإنجيل. إنّ يسوع، بسيف فمه، يهَيِّئ لليوم الذي ستنتهي فيه المعركة على الأرض، مثلما هي في السماء. لكنّ السيف ليس في يد رئيس جُند الربّ. إنّ السيف هو كلمته المنطوقة التي تسيطر على العواصف لتجلب سلامه. لم تعد يده تحملان السيف، بل هما مرفوعتان للبركة، تُظهران آثار المسامير. لقد تلقى الرئيس طعنة الحربة ليفوز بمعركته. ننطرح جميعاً مع يسوع أمامه ونقول مع توما: "رَبِّي وَإِلَهِي!".

أدهشني التكريس

(٢ صموئيل ٢٣ : ١٣-١٧)

إِنِّي أَتَحَدَّثُ إِلَيْكُمْ الْآنَ بِصِفَتِكُمْ تَجَمُّعًا مِنَ الْمُشَجِّعِينَ. كَانَ مِنَ الْمَتَوَقَّعِ لِي فِي مَعْظَمِ حَيَاتِي أَنْ أَكُونَ مِنْ مُشَجِّعِي فَرِيقِ فِيلِيز (Phillies).^{٣٧} كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ كَلِمَةَ "مُشَجِّعٌ" هِيَ اخْتِصَارٌ لِكَلِمَةِ "مَهُووسٌ"، وَعَلِمْتُ كَيْفِيَّةَ تَهْجئةِ عِبَارَةِ: "مَهُووسٌ فَرِيقِ فِيلِيز". إِنْ حَتَّى الْمَشَجِّعِ الْعَادِيُّ الَّذِي يَنْتَقِلُ مِنْ جِزءٍ مِنَ الْبَلَدِ إِلَى جِزءٍ آخَرَ سِيَوَاجِهِ مَتَاعِبَ بِخُصُوصٍ تَشْجِيعِ الْفَرَقِ. وَبِالْفِعْلِ وَاجِهْتُ هَذِهِ الْمَتَاعِبَ فِي مَدِينَةِ شَارْلُوت، فِيرْجِينِيَا؛ وَفِي إِسْكَونْدِيدُو، كَالِيفُورْنِيَا؛ وَفِي هِيُوسْتُون، تَكْسَاس. لَا يَتَغَيَّرُ بَعْضُ الْمَشَجِّعِينَ أَبَدًا، مِثْلَمَا تُثَبِّتُ الْمَلصَقَاتُ الْمَوْضُوعَةَ عَلَى السَّيَارَاتِ. تَبْدَأُ إِحْدَى الْأَغَانِي الْمَوْسِيقِيَّةِ بِهَذَا الْمَقْطَعِ، "أَذْهَبْ وَضَعْ يَدَكَ عَلَى مُشَجِّعِ لَفْرِيقِ سْتِيلِرِز، وَسَوْفَ تَقْهَمُ".

لَا يُتَابَعُ كُلُّ الْمَشَجِّعِينَ الْفَرَقِ الرِّيَاضِيَّةِ. قَدْ يَكُونُ لَدَى الْبَعْضِ نَجْمٌ يَرْقُصُ عَلَى أَنْغَامِ مَوْسِيقَى الْبُوبِ. قَدْ يَسْتَمْتِرُ حَتَّى الْقَادَةُ السِّيَاسِيُّونَ فِي الْمَشَجِّعِينَ. مَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَشَجِّعَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ تَابِعِ مُخْلِصٍ. يَحْمِلُ الْمَشَجِّعُ الْحَقِيقِيَّ وِلَاءً إِلَى حِدِّ التَّكْرِيسِ. أَظْهَرَ الْعَرِيفُ جِرَابِلُ تَفَانِيًا شَدِيدًا فِي غَابَاتِ فَيْتَنَامِ. أَنْقَذَ جُنْدِي الْبَحْرِيَّةِ هَذَا رِفَاقَهُ الْمَكْشُوفِينَ، عَنِ طَرِيقِ اسْتِخْدَامِ مَدْفَعِ رَشَّاشٍ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ. اسْتِخْدَمَهُ إِلَى أَنْ نَفِدَتْ الذَّخِيرَةُ مِنْهُ. وَعَثَرُوا عَلَى تِسْعَةِ قَتْلَى مِنَ الْأَعْدَاءِ حَوْلَ الرَّشَّاشِ وَالْعَرِيفِ جِرَابِلِ مُسْتَلْقٍ فَوْقَهَا.^{٣٨}

يَمُرُّ خَيْطُ الْوِلَاءِ عَبْرَ نَسِيجِ قِصَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَيَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ التَّكْرِيسِ. يَحْتَقِلُ بِهِ مَزْمُورُ ١٣٦ "إِحْمَدُوا الرَّبَّ لِأَنَّهُ صَالِحٌ، لِأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ." وَيَسْتَمْتِرُ هَذَا الْقَرَارُ خِلَالَ الْمَزْمُورِ. إِنَّ الْكَلِمَةَ الْعِبْرِيَّةَ الْمُتَرْجِمَةَ "رَحْمَةً" هِيَ حِسِدٌ (chesed). تَرْتَبِطُ كَلِمَةُ حِسِدٍ عَمَقِ الْمَحَبَّةِ بِرِبَاطِ الْوِلَاءِ. إِنَّهَا تُلْزِمُ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَبِطِينَ بِقَسَمِ الْعَهْدِ. قَطَعَ دَاوُدُ وَصَدِيقَهُ يُونَاثَانَ عَهْدًا عِنْدَمَا اضْطُرَّ دَاوُدُ لِلْهَرُوبِ مِنَ الْغَضَبِ الْغَيُورِ لِوَالِدِ يُونَاثَانَ، الْمَلِكِ شَاوُلِ. قَالَ دَاوُدُ لِيُونَاثَانَ "فَتَفْعَلْ مَعْرُوفًا [حِسِدًا] مَعَ عَبْدِكَ، لِأَنَّكَ بَعْدَ الرَّبِّ [يَهُوه] أَدْخَلْتَ عَبْدَكَ مَعَكَ". (١ صموئيل ٢٠ : ٨)

^{٣٧} Phillies فريقٌ رياضيٌّ في أمريكا للعبة البيسبول. (المترجم)

^{٣٨} Dan Deaton, "Daniel's Den," in *New Life Lines* (New Life Presbyterian Church in America, Escondido, Calif., June, ١٩٩٩).

يدور النص الذي سنناقش كله حول كلمة جيد، مع أن هذه الكلمة لا تظهر فيه. إن المقطع الكتابي هو صموئيل الثاني ٢٣: ١٣-١٧. إنه جزء من استعراض لأعمال الأبطال ضمن مُحاربي داود. كان هؤلاء نُخبة داود، قادة الجيش. جاء ثلاثة منهم إليه عندما أصبح ملكًا على إسرائيل وكذلك على يهوذا. تعود هذه القصة إلى فترة وجوده في مغارة عدلّام، وهي منطقة حصينة كان داود يستخدمها في أيامه خروجه عن القانون عندما كان يهرب من شاول.

كان الفلسطينيون، وهم شعب ساحلي أخذت منهم أرض فلسطين اسمها، قد احتلوا بيت لحم بقواتهم في وادي الرفائين، الذي لا يبعد كثيرًا عن أورشليم. كانت تلك فرصة جيدة للفلسطينيين للاجتياح، والإغارة على المحاصيل، وزرع العداوة بين أسباط إسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب.

كان المحاربون الثلاثة المذكورون في نصنا قد تركوا حقولهم في أثناء موسم الحصاد ليخدموا داود مرة ثانية، بصفته ملكهم الآن.

وَنَزَلَ الثَّلَاثَةُ مِنَ الثَّلَاثِينَ رَئِيسًا وَأَتَوْا فِي الْحَصَادِ إِلَى دَاوُدَ إِلَى مَغَارَةِ عَدْلَامَ، وَجَيْشُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ نَازِلٌ فِي وَادِي الرَّفَائِيِّينَ. وَكَانَ دَاوُدُ حِينئِذٍ فِي الْحِصْنِ، وَحَفَظَةُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ حِينئِذٍ فِي بَيْتِ لَحْمٍ. فَتَأَوَّهَ دَاوُدُ وَقَالَ: «مَنْ يَسْقِينِي مَاءً مِنْ بئرِ بَيْتِ لَحْمِ الَّتِي عِنْدَ النَّبَابِ؟». فَشَقَّ الْأَبْطَالُ الثَّلَاثَةُ مَحَلَّةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَاسْتَقَوْا مَاءً مِنْ بئرِ بَيْتِ لَحْمِ الَّتِي عِنْدَ النَّبَابِ، وَحَمَلُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى دَاوُدَ، فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَشْرَبَهُ، بَلْ سَكَبَهُ لِلرَّبِّ، وَقَالَ: «حَاشَا لِي يَا رَبُّ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ! هَذَا دَمُ الرِّجَالِ الَّذِينَ خَاطَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ». فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَشْرَبَهُ.

مفاجأة للملك

في نهار يومٍ حارٍّ في البرية، قدّم هؤلاء المحاربون الثلاثة تقاريرهم لداود. وبعد قليل، سمعوا داود يقول: "مَنْ يَسْقِينِي مَاءً مِنْ بئرِ بَيْتِ لَحْمِ الَّتِي عِنْدَ النَّبَابِ؟"

كان داود مُستغرق في التفكير فحسب. يُفكّر العطاش في الماء. قد تتذكّر نبعًا للماء في الريف في فترة سابقة من حياتك. أنا أتذكّر الماء في طفولتي في فيلادلفيا. يتبادر ماء الصنبور إلى ذهني عندما أكون في حمّام السباحة. إنّه الحنين إلى طعم الكلور. بالمثل تذكّر داود الماء الباردة الذي من بئر بيت لحم. لكن بالتأكيد لم يكن داود يشعر بالحنين ببساطة إلى بلدة صباه. لقد كان ملك إسرائيل، المُختار والممسوح من الله. مع ذلك لم يستطع أن يدخل مسقط رأسه ويشرب من البئر التي هناك. إنّ حافظةً جلديةً تحوي تلك المياه ستكون بمثابة علامة وتعهّد لأمانة الربّ الذي سيُعطي لداود مملكة وعد الله.

سمع رفاق داود منذ أيام البرية ما كان يقول. قال أحدهم: "هل تسمعون ما يقوله القائد؟ إنّه يريد المياه، ويُريدها من البئر التي في بيت لحم!" في غضون لحظات، كانوا قد حملوا سيوفهم، وملأوا مياهًا من النبع في الحافظات الجلدية، وأخذوا حافظةً جلديةً فارغة للمياه التي سيحملونها من بيت لحم. وكانت بئر بيت

لحم بالقرب من البوابة. كانت البوابة غالبًا مركزَ القوّات الفلسطينيّة التي تحتلُّ بيت لحم. وإحضار المياه كان لا بُدَّ أن يقاتل رجال داود للحصول عليها. وبعد المشي لأميال، صعدوا أخيرًا التلَّ إلى المدينة، حيث بكلِّ تأكيد تمَّ التعرفُ عليهم وتحديدهم. وربما حارب اثنان منهم الفلسطينيين في حين ملأً ثالثهم المياه. وبينما هم مستمرُّون في القتال، خرجوا من المدينة ووصلوا إلى البريّة.

هل كانوا يفكِّرون في تحركِ المياه في هذه الحافظة الخاصّة في رحلة العودة التي تُسبب العطش إلى مغارة عدلّام؟

لقد تمَّت المهمّة. ووصلوا عند داود. قالوا له "يا رئيس، لقد أردتَ شربةً ماء من البئر التي في بيت لحم. ها هي!"

نظر إليهم داود بدهشة ممتنة. فهو لم يُعطهم أيَّ أمر بتنفيذ مثل هذه المهمّة. لم يكن إحضار المياه من بيت لحم جزءًا من مهامهم. ولم يستند داود إلى ولاءهم بطلبٍ متطوِّعين للمهمّة. لقد كان تقانيهم تطوِّعياً. وكانت رغبة داود أمرًا بالنسبة لهم. لقد قرروا في قلوبهم أن يُفاجئوا داود. فأحضروا له مياهًا من بيت لحم! أيُّها الأولاد، هل تتذكِّرون عندما فاجأتم والدتكم؟ هي تتذكَّر! وماذا عنك أنت، أيُّها الشاب؟ ربّما لم تتجح في أن تُفاجئ والدك في عيد الأب. فهو لديه رفٌّ من رابطات العنق. وأنا أعلم أنّك أيتتها الزوجات حاولتَن مفاجأة أزواجكَن. هل ما يزال يُفاجئك؟

يعتقد الناس أحيانًا أنّ الرعاة، والسيوخ، وقادة الكنيسة يجب أن يُجبروا الناس على إنجاز الأعمال الهامة. كلاً، هذا ليس صحيحًا. إن الخدمة في الكنيسة هي عملٌ مُفاجئ، فهي علامة على التكريس الراغب. ها أنت ترى كيف استخدمَ الربُّ تكريسَ الأبطال الثلاثة. أعطاهم الربُّ انتصارًا مفاجئًا. وكَلَّتَ بركةُ الله تقانيهم.

مفاجأة من الملك

أخذ داود الحافظة الجديّة للمياه بحذر من قائد الأبطال الثلاثة. وفتحَ الغطاء وسكبَ المياه على الأرض. وسرعان ما تشكَّلت بركة مياه صغيرة، ثمَّ غاصت المياه بنفس السرعة تقريبًا في الأرض الجافّة. إن عددًا قليلًا من مُفسِّري الكتاب المقدَّس وعددًا كبيرًا من مُدَرِّسي مدارس الأحد لديهم مشكلة مع ما فعله داود. لقد سكبَ داود المياه التي كَلَّفت رجاله الشجعان الكثير.

لقد فعل داود الشيء الصحيح تمامًا. فقد سكبَ الماء للربِّ. فبالنسبة إلى داود، كانت المياه من بيت لحم تعني دَمَ هؤلاء الرجال الذين حصلوا عليها مُعرِّضين حياتهم للخطر. لم يستطع داود أن يشربها. كان لا بُدَّ أن يقَدِّمه في عبادة للربِّ.

اعتزَّ داود بإخلاص رجاله. واستقبلَ خدمتهم بِاتِّضاعٍ. لم يكن مُستَحَقًّا لمثل هذا التكريس. كم كان داود مختلفًا عن باقي قادة الطوائف الدينية الذين يُطالبون تابعيهم أن يعبدوهم. كان هناك شخصًا اسمه جيم جونز (Jim Jones)، والذي قاد تابعيه من كاليفورنيا إلى دولة غيانا. ربَّما تتذكَّر المشهد على قناة التلفزيون التي كان يملكها جونز. جلس هناك على منصَّة خشبية وهو ينظر بازدراء إلى أتباعه. وبأمرٍ من جونز، شرب أتباعه السمَّ، وماتَ معظمهم. ولا يمكننا نسيان النهاية الناريَّة لدافيد كوريش (David Koresh) وتابعيه الذين آمنوا بأنَّه إله. وعُثِرَ في كاليفورنيا على حالات انتحار في طائفة بؤابة السماء. وفي كندا وفرنسا، طابَّ لوك جوريه (Luc Jouret)، من جماعة المعبد الشمسيِّ، بانتحار الناس المخدوعين فيه.

كم كانت قيادة داود مختلفة! فقد قَدَّمَ للربِّ التكريس الذي أحضره رجاله له. واستقبل هذا التكريس باعتباره عطيةً من الربِّ يُعزِّزُ بها. هذا هو مفتاح القيادة المسيحيَّة. يَعرف القائدُ المسيحيُّ أنَّ شعبه يتبع الربَّ. ويتقبل بامتنانٍ تكريسهم لما هو عليه: إنه تكريسٌ له من أجل الربِّ. يأتي الدافع للخدمة من الربِّ، والتي تُقدِّم للربِّ. بتقديم الماء من بيت لحم للربِّ، جعله داود ذبيحةً سرورٍ ذكيَّة مرضيَّة عند الربِّ (فيلبي ٤: ١٨). من خلال العبادة، عزَّز داود تكريس رجاله. ربَّما تصرَّفوا في الأساس بدافع التكريس له. فلقد قادهم خلال الكثير. لكن داود أفرزَ خدمتهم للربِّ.

أصبحت المياه التي من بيت لحم ضمانًا على أمانة الله نحو داود. نعم، كان الفلسطينيون تهديدًا لداود ملك إسرائيل، ولكن ثلاثة من مُحاربيه استطاعوا أن يجلبوا له المياه من بيت لحم. إن بيت لحم ستُصبح مرَّةً أخرى مدينةً داود.

مفاجأة المسيح الملكيّ

ملكُ تكريسنا

في الأعداد الأخيرة من صموئيل الثاني ٢٣ نقرأ نهاية قائمة مُحاربي داود الأبطال السبعة والثلاثين. عيرًا اليثريُّ، وجارُب اليثريُّ، وأوريَّا الحثيُّ. وفي أخبار الأيام الأوَّل ١١، يأتي اسم أوريَّا في منتصف هذه القائمة. ولكن هنا يقف بمفرده في النهاية. يأتي الاسم كالصاعقة في قائمة أبطال جيش داود.

ربَّما تعرف القصَّة الصادمة، أو على الأقل سمعت عنها. إن داود، الذي قد تمَّ تنصيبه ملكًا في أورشليم، كان يحكم على المناطق التي سيطر عليها. كان ذلك في فصل الربيع، حين كان الملوك يخرجون للحرب. كانت قوَّات داود تُحارب العمونيين، وحاضرت مدينة ربة. مع ذلك، لم يعد داود يشعر أنَّه يجب عليه قيادة قوَّاته. كان قائد جيشه يواب قائدًا مُخضرمًا، وقادرًا على الدخول إلى ربة. أمَّا داود فكان مسترخيًا على سطح قصره في مساء إحدى الأيام، ورأى امرأة جميلة تستحم في حديقة مجاورة.

أمر داود بإحضار بثشبع، زوجة أوريا الحثي، أحد أبطاله ومرافقيه. حبلت المرأة من داود. وحاول داود التستر على الأمر. إذ استدعى أوريا إلى المنزل من الخدمة، على أمل أن يظن أن هذا الجنين ابنه هو. ولكن جنديّه المخلص لم يذهب إلى المنزل لزوجته الموجودة في المنزل المجاور للقصر، لأنه كان في الخدمة. افترض أوريا أنه لا بد أن داود كان لديه سبب لاستدعائه ومن المحتمل أن يرسل أوامر جديدة ليوآب. تحسّم المعارك بواسطة الرسل المخلصين الذين يتم استئمانهم على مهام فورية بأوامر سرية. صنع داود عشاء ملكياً لأوريا؛ ولكنه رفض العودة إلى المنزل. لذلك، أرسل داود أوريا إلى يوآب برسالته السرية. إنَّها تكليف بإماتة أوريا. قام يوآب، الذي لم يكن أبداً فوق الدسائس، بتدبير مقتل أوريا وبعض الجنود الآخرين. أمرهم يوآب بأن يتوجّهوا إلى بوابة المدينة. وعندما سمع داود من يوآب أن أوريا قد قُتل، ناحت بثشبع، ثم تزوجها داود! واجه ناثان النبي داود بخطيئته. يعبر مزمور ٣٢ ومزمور ٥١ عن توبة داود.

هل يمكن أن يكون هذا هو داود، الملك الحساس جداً تجاه تكريس رجاله؟ هل استطاع أن يأمر بقتل واحد من جنوده المكرسين له لكي يخفي زناه؟ ليس لمياه بيت لحم أي مكان الآن في تفكير داود - فقط الشهوة والقتل، ممزوجان بنفاقٍ مخيف. ربّما يمكننا أن نحتج بأن خطايا داود لا تُغفّر. وبالتأكيد لا يمكن أن يكون داود هو مثالنا، ناهيك وأبعد ما يكون عن أن يُعتبر مُخلصنا. لكن في رحمة تجاهنا، في حديد نفوق إدراكنا، أعطانا الربّ ملكاً يستحقّ تكريسنا. أتى الربّ نفسه بصفته ملكنا المخلص.

نعم، إنّه يأتي ويبحث عن تكريسنا. عندما شفى يسوع العشرة البرص وهو في طريقه على حدود الجليل والسامرة، أرسلهم ليروا أنفسهم للكهنة في اورشليم لكي يعلن أنهم طاهرون ويسترّدوا إلى المجتمع. لقد ذهبوا في إيمان، ولكنهم كانوا لا يزالوا برصاً. لكن وهو في طريقهم تمّ شفاؤهم. رجع الأبرص السامري ليقع عند أقدام يسوع في شكرٍ. فقال يسوع: "أليس العشرة قد طهروا؟ فأين التسعة؟" كان يسوع يبحث عن التكريس. تأتي هذه القصة في لوقا ١٧ بعد مقطع يصف فيه يسوع عمل الخادم. يتعب الخادم في الحقل من أجل سيده، ثم يأتي بعد يومٍ من العمل. ماذا بعد ذلك؟ لا يصبح خارج الخدمة. يجب عليه الآن أن يُجهز العشاء لسيدّه. ما هي الخلاصة؟ "كذلك أنتم أيضاً، متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا: إنا عبيد بطّالون، لأننا إنّما عملنا ما كان يجب علينا". (لوقا ١٧: ١٠)

هل ترى الرابط؟ "أين التسعة؟" لم يأمر يسوع البرص بأن يعودوا ويشكروه على شفائه لهم. مع ذلك، كان يتوقّع قدومهم. لا يطلب يسوع الطاعة المترددة في أثناء تأدية واجبك. بالتأكيد، لا يمكنك أن تفعل ذلك في أي حالٍ من الأحوال. لكن ما يبحث عنه يسوع هو تكريس تلقائي. نحتاج أن نُفاجئ الله بإحضار المياه له من بيت لحم.

هل قلت "نُفاجئ الله؟" ألسنت كالفينيّا؟ لا يُمكنك "مفاجأة الله!"

يمكنك المحاولة!

يقبل ربنا يسوع تكريسنا، هذا الشيء "الإضافي" الذي لأجله - مياها من بيت لحم. يسكبها يسوع قدام الأب في السماء! إن يسوع هو ملك تكريسنا.

تكريس ملكنا

نرى في يسوع محبة (*chesed*) عبد الرب. إن تكريسه هو العلاقة الأمانة لمحبتته للأب. تُعتبر المفاجأة الكبرى لرسالة لإنجيل هي كيف يربطنا يسوعُ به في التزامٍ من المحبة الدائمة. إنّه هو المحارب الممسوح الذي يخترق قوّات الظلمة ليُجلب لنا مياهاً من بيت لحم. ولكن بالنسبة إلى يسوع، لم تكن مياهاً تأتي من المُخاطرة بالحياة. إنّها كأس العهد الجديد بدمه، الدم النابع من الجلجثة، الذي سَفِكَ من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا.

يا لها من مفاجأة أن نجد أن هذه المحبة (*chesed*) لا تُستخدَم في العهد القديم لتُصِف تكريسنا لله - الجسد في اليهودية هم رجال الـ "جسد"، أي المحبة المُخلصة لله. كلاً، إنّها كلمة تُصِف تكريس الله نفسه نحونا! "لأبد رحمته [جسد]!"

صرخ داود في مزمور ٥١ قائلاً: "إرحمني يا الله حسب رحمته [جسد]. حسب كثرة رافتك امح معاصي. اغسلني كثيراً من إثمي، ومن خطيئتي طهّرني" (الآيات ١، ٢). في آية ١٤، يُظهر داود قوّة محبة الله بشكلٍ أكثر قوّة: "نجني من الدماء يا الله، إله خلاصي، فيسبح لسانك برك". يمكن بل ويجب أن تُترجم الكلمة الأخيرة إلى "عدلك". نجني من ذنب القتل، وسأسبح عدلك؟ كيف يمكن أن يكون هذا؟ تكمن الإجابة في تكريس الرب لنا. لقد ربط نفسه بأن يكون مُخلصنا، ويُظهر عمله الخلاصيّ عدالة تكريسه المُلتزم بالعهد! لقد حافظ على التزامه عندما وجّه محبته نحونا قبل تأسيس العالم.

أعطى سي. إس. لويس لسيرته الذاتية عنوان **أدهشني الفرح**. وأنهى داود مزموره الثالث والعشرين، مستخدماً كلمة **جسد** (*chesed*): "إنما خيرٌ ورحمةٌ [جسد] يتبعانني كلَّ أيام حياتي، وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام". يحمل يسوع لك مفاجأة المياه الآتية من بيت لحم. فامسح مسيح الله، وابتهج بمفاجأة الحياة الجديدة، والفرح المجيد معه!

لكن المفاجأة الكبرى ليست هي رد فعلنا بالتكريس له. بل هي مفاجأة تكريسه نحونا. إن التكريس الطوعي الذي يتدفق في قلوبنا، يأتي عندما يفتح الروح القدس أعيننا على الجلجثة. إننا نتجاوب مع حبه الذي يفوق كلَّ تسبيح؛ نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً - ودائماً!

رَبُّ الْمَدْوَدِ

هل تقترب ترانيم عيد الميلاد من نهاية مسيرتها؟ لقد أبلت ترنيمه "مجدك باقي بهالزمان" (Hark! The Herald Angels Sing) بلاءً حسنًا منذ أن كتبها تشارلز ويسلي عام ١٧٣٩، لكن ذلك كان قبل وقت طويل من ظهور "عصر بُرج الدلو" (Age of Aquarius) في العالم بالقرن الماضي:

عندما يكون القمر في البيت السابع

ويصطف كوكب المشتري مع المريخ

عندها سوف يُرشد السلام الكواكب

وسوف يُوجّه الحبّ النجوم

هذا هو فجر عصر بُرج الدلو...^{٣٩}

كانت "أغنية الروك" هذه من عرض "الشعر" (the Broadway show *Hair*) أكثر من مجرد أغنية ناجحة. فلقد أصبحت موسيقى مُقدّسة، و"إعلان باطني واضح" بالنسبة إلى اللذين يسعون إلى "التحرير الحقيقي للعقل" - في عصر بُرج الدلو. لا شك أنّ هذا الشعر الهزليّ الفلكيّ يحتاج كلّ المساعدة التي يمكنه الحصول عليه من المخدّرات والإيقاع؛ فموسيقى الروك، والمخدّرات، والجنس جميعها جزء من تحرير عصر الدلو. ومثل ترانيم عيد الميلاد، فإنّ أغنية "برج الدلو" تُعتبر ترنيمه خلاص؛ إنها تُعلن عن مملكة أبدية من التناغم والسلام. إن خلاص العصر الجديد المُقدّر بالنجوم هو رجاءٌ قديم في الباطنية الشرقية، وتجديد وعي البشريّة.

لكن كيف ستقيم النشوّة المملكة السياسيّة ليس أمرًا واضحًا. هل سيتعيّن على الإدارة إيقاف العالم لأنّ الكثير من الشباب يغادرون؟ إن الانسحاب و"الإثارة" قد يُنتج عصرًا من الفوضى بدلاً من السلام. كان أحد المُعلّقين على مهرجان وودستوك في عام ١٩٦٩ منزعجًا من "السلبية المُتبدلة" للجماهير المُخدّرة. وفي

^{٣٩} "Aquarius/Let the Sunshine In," lyrics by James Rado and Gerome Ragni, ١٩٦٦.

أثناء مشاهدته لتلك المراعي الرائعة، كان يخشى أن تأتي عروض أخرى إذا ما غير المتحكّمون في العرض الإتاحية المعتادة، وقاموا بتعليب الخبرات، ومنح المُخلصين فقط حُرية أن يبقوا تحت تأثير المُخدرات.

وضع التيار اليساري الجديد في ستينيات القرن العشرين صيغةً لاستخدام خبرات تغيير الحالة المزاجية من أجل ثورة تُغيّر المجتمع. جمع المزيحُ الجديد بين فرويد وماركس في زجاجة مولوتوف تَسْتهدف كل أشكال القمع النفسي والاجتماعي. كان العمل الثوري من شأنه أن يدمج البنية الشخصية مع البنية الاجتماعية.

سرعان ما بدا أنّ عصر بُرج الدلو هو رحلة سيئة. مع ذلك كان له افتتان مُستमित لشخص لم يرى مخرجًا بل كان يأمل في شيء يُخالف الأمل. منذ زمن بعيد، قاد نجمُ بيت لحم المجوس من عبودية الأجرام السماوية إلى عبادة المُخلص الطفل. إن الذين في الستينيات وما زالوا اليوم يلتفتون نحو ثقافات الشرق بحثًا عن الانسجام في الدوائر الكونية، فاتتهم علامة بيت لحم.

"وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مَقْمَطًا مُضَجَّعًا فِي مِدْوَدٍ". (لوقا ٢: ١٢)

نعم، لقد سمعنا جميعًا عن كلمات الملاك للرعاة في مراعي بيت لحم. إن ترانيم عيد الميلاد هي صوت الموسم، ويتم بثها بصوت عالٍ لتملأ مراكز التسوق لدينا. "بينما كان الرعاة يحرسون قطعانهم بالليل، كانوا جميعهم جالسين على الأرض... "كلنا سمعنا، لكن من أنصت؟

"وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخْلِصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ". كان الربُّ -في مِدْوَدٍ! اشعُرُ بصدمة الرعاة. كان هناك ظلامٌ بارد في الحقول الواسعة، ثم برقٌ، برقٌ ساطع لم يضرب مثل صاعقة واحدة بل غطاهم بمجدٍ يُعمي الأبصار. وبينما هم مكشوفون وسط المراعي، سمعوا إعلانًا عن المُرسَل القادم من عالم آخر. تحوّل انقباض خوفهم إلى شعور بفرح لا يُحتمل: إنه "فَرَحٌ عَظِيمٌ... لِجَمِيعِ الشَّعْبِ... مُخْلِصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ". لقد كانوا يراقبون الأغنام، ولكنهم الآن يشهدون الأمر الذي انتظره الأنبياء والحكماء على مدار قرون. لقد وُلِدَ المسيا!

من الظلمة إلى النور، من الصدمة إلى البركة، من الخوف إلى الفرح. هتفت جيوش ربّ الجنود قائلة: **"الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي".** من المؤكّد أنّ تسبيحهم يهدم كلّ جدار للقمع، وكلّ برجٍ مظلمٍ من الكبرياء والعنف. إنّ العصر الجديد لِحِلاصِ الله بدأ أخيرًا.

لكنّ الصدمة الأعظم تكمن في كلمات الملاك! إن علامة السماء هي علامة غير سمائية على الإطلاق. إن العلامة التي قدّمتها الملائكة، علامة ميلاد الربِّ هي هذه: **"تَجِدُونَ طِفْلاً مَقْمَطًا مُضَجَّعًا فِي مِدْوَدٍ".** (لوقا ٢: ١٢)

إن رَبَّ الملائكة موجودٌ في مِدْوَدٍ، مكان إطعام الماشية! تُعتبر هذه العلامة عارًا. إذا كانت هذه هي الرسالة، فلماذا كان ينبغي على الملائكة إحضارها؟ أليس من المفترض أن تزحف فيالق الملائكة نحو أورشليم أو روما؟ أيُّ خلاصٍ سمائيٍّ هذا؟

بذلَ لوقا جهده لِيُخبرنا كيف وُلِدَ المسيحُ في بيت لحم. أصدرَ القيصِرُ مرسومًا بالاكتتاب. وُبناءً على أمر القيصِر، يجب تسجيل سلالة داود الملكيّة وإخضاعها للضرائب.

ماذا عن وعد الله بأنّه سيُنشِئ مملكةَ داود إلى الأبد؟ هل تعتمد ولادة "الأسد الخارج من سبط يهوذا" على مرسومٍ من القيصِر؟ تمت إدانة داود نفسه بشدة لجرأته على إحصاء شعب الله المُقدّس (٢ صموئيل ٢٤). هل يجب أن يُسجَل القيصِرُ مسيحَ الربِّ في سِجَلّاته؟ يجب أن يُكتب اسمُ هناك، في قائمة الإمبراطور: "يسوع... ابن داود... ابن الله!"

تُعكس تسبيحات الملائكة وجهةَ نظر السماء في مُمارسة الله العجيبة لِحُكمه. تَعَلَّمَ إيليا هذا الدرسَ منذ زمن طويل. فقد وقفَ بمفرده في مواجهة الكهنة الوثنيين للأمة المرتدة، وتمت تبرئته بنارٍ من السماء (١ ملوك ١٨). لكن بعد انتصاره جاء اليأس. كانت إيزابل الوثنيّة لا تزال الملكة؛ كان البعل لا يزال يُعبد. فهرب إيليا إلى البريّة ولكن تمَّ إحضاره إلى جبل الله. وَجَدَ هناك أنّ الله لم يظهر في العلامات العظيمة للحضور الإلهي - النار، والريح، والزلازل - بل في الصوت الهامس الذي أعلنَ مشيئته. لا بنارٍ من السماء، بل بترتيبه للتاريخ، يستطيع الله أن يقضي على عبادة البعل. سيُمسح أليشع نبيًّا؛ وياهو ملكًا؛ وحزائيل الذي سيُنصب ملكًا على أرام، سيُقام ليكون سيفًا لدينونة الله وأداةً لخطّته.

نعم، أصدرَ القيصِر مرسومًا بالاكتتاب، لكنَّ مرسوم القيصِر يخدم مقاصد الله. من خلال القيصِر، أحضرتُ عنايةَ الله مريم ويوسف إلى مدينة داود الملكيّة لتتحقق كلمة الربِّ: "أَمَا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ... فَمِنْكَ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مِنْذُ الْقَدِيمِ". (مicha ٥: ٢)

في العار المرتبط بميلاد المسيح في بيت لحم، تحت حُكم القيصِر، يوجد قصدٌ خفيٌّ تُسبِّح الملائكةُ الله من أجله. يستطيع الله أن يُوجِّل دينونته وأن يُنفذ أيضًا عمله الخلاصي. يستطيع ملائكته الذين يُنفذون دينونته أن يحملوا سرَّ رسالة الإنجيل.

يوجد المزيد وراء عار ميلاد الربِّ. كان نائمًا في مِدْوَدٍ. ليس له مكانٌ في المنزل في مدينة داود. هذا غير معقول! من بين كلِّ الأماكن - كان ميلادًا في بيت لحم لواحدٍ من النسل الملكيِّ! من بين كلِّ الأوقات - كان ميلادًا في الوقت الذي يستطيع المُجتمعين بسبب مرسوم القيصِر أن يتتبعوا سلسلة نسبهم! كلاً، أمام جُهود يوسف اليائسة واحتياج مريم الصامت، لم تُقدِّم بيت لحم سوى زاوية من إسطنبول ومِدْوَد. في مفارقة صارخة، وجدتُ كلمات إشعيا تحقيقًا لا يمكن تصوُّره: "النُّورُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِغْلَفَ

صَاحِبِهِ [سرير سَيِّدِهِ]، أَمَا إِسْرَائِيلُ فَلَا يَعْرِفُ. شَعْبِي لَا يَفْهَمُ" (إشعيا ١: ٣). سرير سَيِّدِهِ! إن الكلمة التي استخدمها لوقا للتعبير عن "المذود" في هذا المقطع ترد في الترجمة اليونانية القديمة لسفر إشعيا، وكلمة "صاحبه" هي حرفياً كلمة "سَيِّدِهِ" (كيريو، kuriou). يَعْرِفُ الحمارُ مِذْوَدَ الرَّبِّ، أَمَا "شعبي" فلا يَعْرِفُهُ! "إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ". (يوحنا ١: ١١)

تُعْطَى علامة المذود للرعاة. تُعتبر هذه أيضاً فضيحةً للمتكبرين. يَجْتَمِعُ الملائكة مع الرعاة فقط على بطاقات عيد الميلاد. إنَّ الحَكَّامَ الأغنياء الذين كانوا نائمين في أورشليم -أو ربَّما في فندقٍ في بيت لحم- كانوا سيحتقرون الرعاة. لكنَّ الله اختار المُرْدَى بدلاً من النبلاء؛ تجاوزت ملائكة السماء كلَّ النبلاء الأرضيين ليحضروا نعمة السماء إلى الرجال الذين يعيشون حياةً قاسية في الحقول. لم تكن علامة المذود أكثر إدهاشاً من "الرعاة" الذين استدعتهم السماء إلى مِذْوَدِ الرَّبِّ.

مع ذلك، قد تمَّ استدعاؤهم، وكانوا لا يزالون نصف متيقظين، لكنَّهم ركضوا مُسرعين ومتعثرين إلى بيت لحم. لم تكن فضيحة المذود حجرَ عثرة أمام إيمانهم. كانوا سيجدون هناك الطفل، منبوءاً، لكن غير متروك؛ في المذود، لكن ملفوفاً بأقمشة. لا توجد امرأة أخرى لِتَعْتِي بِأَمِّهِ، ولكنَّها كانت بمحبةٍ تُنظِّف وتَقْمِطُ طفلها الرضيع. كان إخلاصها يجعل الأقمطة علامةً أيضاً. وَجَدَ الرعاةُ الرَّبَّ في المذود ممنوحاً له.

هناك في الإسطبل المظلم، رأوا مجدَّ الرَّبِّ في المذود. لم يكن هناك أيُّ ضوءٍ سماويٍّ يشعُّ من المعلف الحجري؛ فقط ضوء خافت لمصباحٍ زيتيٍّ يُريهم الابتسامة على وجه مريم المرفوع.

لكنَّ كان لدى الرعاة العلامة، ورأوا المسيح. من الحقول التي عزف فيها الشابُّ داود تسبيحاته لله على قيثارته، أتوا ليسجدوا أمام ذلك الابن الذي دعاه داود ربَّه.

"وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ" (لوقا ١: ٣٢، ٣٣). كيف استطاعت هذه الكلمات للملاك جبرائيل أن تُثير ذاكرة مريم عندما أخبرها الرعاة بالأخبار الملائكية الجديدة. لم تُنسَ مريم أو تُنكر. إن المسيا... وُلد بوعدٍ من الله، إنه المسيا! لا يمكن أن يُخفي قش المذود مجده، لأنَّه جاء إلى الفقراء والمتواضعين. ابتهجت مريم مرةً ثانية بالرَّبِّ مخلصها، الذي شتت المستكبرين، وأنزل الأعرَّاء عن الكراسي، ورفع المُتَضَعِينَ (لوقا ١: ٤٦-٥٥). لقد وُلِدَ في هذا الإسطبل لأنَّه رئيس الخلاص، الذي جاء ليُضيء على "الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلَالِ الْمَوْتِ". (آية ٧٩)

نعم، أُعلِنَ في المذود مجدُّ الرَّبِّ. إنَّ المذود علامةً لمُعْجزةٍ أعظم من ميلاد الملك الداودي. إنَّه فعلاً مسيح الرَّبِّ (لوقا ٢: ٢٦). ولكنَّه أكثر من ذلك. دعاه الملاك "المسيح، الرَّبِّ" (لوقا ٢: ١١). عندما تحبل العذراء وتلد ابناً، "هَذَا يَكُونُ عَظِيماً، وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى" (لوقا ١: ٣٢). إن علامة الله القديمة، أعظم من أي علامة يُمكن أن يطلبها البشرُ من الأعالي إلى الأعماق (إشعيا ٧: ١١، ١٤)، وقد تحققت أخيراً. إن

كلّ علامة على وعد الله العهديّ -من قوس قزح في السحاب إلى آية يونان في أعماق الموت- يجب أن تنتظر علامة المذود. إن الخلاص الذي يعد به الله عظيمٌ جدًا لدرجة أنه لا بُدَّ أن يأتي الله بنفسه ليحقِّقه. لقد استطاع داود أن يصدَّ الفلسطينيين ليُخلِّص شعب الله، ولكن ابن داود الأعظم كان يجب أن يتغلَّب على كلِّ قوَّات الظلمة، لأنَّه لا بُدَّ له أن يُخلِّص شعبه من خطاياهم. عندما "يرفع الله رأسه" في انتصارٍ، سيصعد إلى عرشه، حيث يجب أن يجلس حتَّى يُخضع كلَّ عدوِّ، حتَّى الموت، تحت قدميه (مزمور ١١٠؛ ١ كورنثوس ١٥: ٢٥، ٢٦؛ أفسس ١: ١٩-٢٣).

إن ربَّ الملائكة مُمَجَّد فوقهم، لأنَّه "وَرَبِّ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ" (عبرانيين ١: ٤). "وَأَمَّا عَنِ الْإِبْنِ: كُرْسِيِّكَ يَا اللَّهُ، إِلَى دَهْرِ الدَّهْوَرِ". (عبرانيين ١: ٨)

عندما أُخذَ طفلُ المذود إلى الهيكل بعد أسبوعٍ من ولادته، بارك سمعانُ الشيخ المُكرِّس الله بسبب الطفل الذي بين يديه: "لِأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرْتُ خَلَاصَكَ... نُورَ إِعْلَانٍ لِلْأُمَّمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ". (لوقا ٢: ٣٠، ٣٢)

إن الربَّ وحده، الساكن بين الكروبيم في قدسه، هو مجدُّ شعبه إسرائيل. وعندما صار الكلمةُ جسدًا وخيمَ بيننا، "رَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْأَبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يوحنا ١: ١٤). عَرَفَ سمعانُ أنَّ المجد الذي ظهرَ قديمًا في خيمة الاجتماع قد دخلَ ثانيةً إلى الهيكل. لقد جاء المجدُّ، لأنَّ ربَّ المجد جاء. أتى يوحنا أمامه ليُعلن مجده، لكنَّ يوحنا لم يكن هو النور، بل جاء ليشهد للنور الحقيقيِّ، الذي كان آتياً إلى العالم.

أشرقَ النورُ الحقيقيُّ في ظلمة المذود. "فَتَكُونُ لِسِرْحِ الْبَقْرِ وَلِدَوْسِ الْغَنَمِ" (إشعياء ٧: ٢٥)، ظهرت هناك علامة ربِّ المجد. إن هذه العلامة هي علامته لأنَّه هو الربُّ. لم يستطع أيُّ ملاكٍ أن يأخذ مكانه في المذود، لأنَّ مهمة الربِّ تفوق قدرة قوَّات السماء. إن هذه الأرواح النقيَّة، المخلوقة وليست مولودة، تستطيع أن تُحضر غضب السماء على هذا الكوكب المتمرِّد، لكنَّها لم تستطع أن تُحضر الخلاصَ إلى ظلمة بيت لحم.

إن المجد الذي من الأعالي يستطيع وحده أن يجعل المذود علامة الخلاص. إن علامة المذود هي علامة محبة الله. "بِهَذَا أُظْهِرْتُ مَحَبَّةَ اللَّهِ فِينَا: أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ". (١ يوحنا ٤: ٩)

إنَّ مجد المذود هو مجد محبة الله: نعمة شديدة وآكلة. لقد جاء الربُّ نفسه، الابن وشمس المحبة، المُعطي والعطيَّة. لو كان قد أتى وسط الملائكة في حقول بيت لحم، لن يستطيع أيُّ إنسانٍ سراع، أو كاتب، أو إمبراطور - أن يقف أمام مجد وجهه. إن مجيئه مع الملائكة القديسين سيستدعي الأحياء والأموات إلى

الدينونة. لكن لو أتى إلى بيت لحم، ليدين بالعدل، لما استطاع أيُّ خاطئٍ مذنبٍ أن يقف أمامه. سيكون الفرح الملائكيُّ فقط انتصارًا مهيبًا للسماء على عالمٍ من المتمردين، لأنَّ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجدُّ الله. لقد سخرَ منه الرجال الحاقدون، العميان عن خطاياهم، لأنَّه لم يأتِ مع ملائكة. قالوا له "آية آية تُرينا من السماء؟ انزل عن الصليب، وسنؤمن بك!" لا يزال رجال مثل هؤلاء يسخرون؛ يتفاخرون بمستقبلهم حيث سيؤسسون عدالةً لا يستطيع الله أن يحققها.

لكنَّ علامة الملائكة تُرشدنا إلى مجد المذود والصليب. نزلَ مجدُّ السماوات الأعظم على التلال مع جُنْدٍ ملائكيٍّ - لكن كلمة الملاك أرشدت الرعاة نحو مجدٍ أعظم: أتى رَبُّ الملائكة لِيبدل نفسه بدلاً عن الخطاة. مَجَّدَ اللهُ القديز اسمَه عند المذود؛ وعلى الصليب مَجَّدَه ثانيةً. وعندما قدَّس اللهُ نفسه، ابنُ العليِّ، اسمَه بالدم، ارتفع مجدُّ النعمة فوق السماوات.

يشاهد جيلنا صواريخ الفضاء وهي تشتعل منطلقاً إلى السماء الخالية؛ يرتفع الإنسان إلى السماء، لكنَّه لا يقابل أحداً. يتحوَّل من الفراغ الخارجيّ إلى الفراغ الداخليّ ويسعى إلى تواصل مع الكون في كيمياء العقل.

لكنَّ بحثه بلا جدوى. لِنفترض أنَّ إنساناً لم يصل إلى هلوسة المخدرات أو الأوهام الخطرة، بل دخل إلى عالم ملائكة النور. حدثَ هذا للرعاة؛ لكنَّهم لم يختبروا فرحاً نابغاً من خبرة تلغي العقل بواسطة قوى كونيةٍ ظهرت على التلال، بل فرحاً نابغاً من المذود المظلم حيث وجدوا الربَّ.

إنَّ الذي ارتفع فوق كلِّ الملائكة هو الذي نزل أولاً إلى الأعماق. "هذا هو اليوم السعيد، فيه أتى الفادي المجدِّ!" كانت كلُّ محاولاتنا هي الهرب. لم نتسلَّق المرتفعات لنعرُّ عليه، لكنَّه اخترق الأعماق ليعرُّ علينا. لقد أتى الإله الحقيقيُّ الحيُّ؛ تدعوك بشارة الملاك إلى المذود لتتقابل معه. إنَّه مظلم الآن، لكنَّ النور يُشرق، نور العصر الجديد، النور الحي، يسوع المسيح. لا "تُشعل" الأضواء الغربية النابعة من أوهامك الخاصَّة. بل تحوَّل عن التمرد والوهم وتعال إلى المحبة، "لأنَّه هكذا أحبَّ اللهُ العالمَ حتَّى بذلَ ابنَه الوحيدَ، لكي لا يهلك كلُّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية". (يوحنا ٣: ١٦)

يسوع يعظ بالحرية

(لوقا ٤ : ١٦-٢٢)

إنَّ مَرَكزَ تَسوقِ إندبندنس (Independence) في فيلادلفيا ليس مَرَكزًا تجاريًّا للتسوق، بل مَتَرزها للمباني التاريخية التي شهدت مَهذَ الاستقلال الأمريكي. يوجد في المنتصف ضريحُ "جرس الحرية". صار الجرس مَحَميًا أكثر ممَّا كان عليه في طفولتي، عندما كنت أستطيع أن أتعبَّ بأصابعي الكلمات التي حوله: "وتنادون بالعِتي في الأرض لجميع سَكَّانها." إن هذا النصَّ مأخوذٌ من لاويين ٢٥: ١٠.

في احتفالٍ بالرباع من يوليو مؤخرًا، خطرَ لي أننا قد احتقلنا للتوِّ باكتمال مشروع الجين البشري، وهو عبارة عن خريطة تقريبية للشفرات التي تتحكَّم في نموِّ الإنسان. ومثلما أشار الباحثون، فإن هذا إنجاز عظيم. فمن ناحية، نجد حماسةً من الذين يُخبروننا أنَّ المفتاح لمرض السكري، أو مرض الزهايمر، أو أي نوعٍ من أنواع السرطان ربَّمًا يوجد في مليارات التجميعات التي تُشكِّل تكويننا الجيني. ومن ناحيةٍ أخرى، دَكرنا سي إس لويس منذ وقت طويل بالتهديد الآتي من الهندسة الاجتماعية بواسطة الكيمياء. هل سيكون لدينا أطفالًا مُصمَّمون بواسطة البشر، أو سنعيد اختراع الإنسانية من خلال تحسين النسل الانتقائي؟ قد يتدكَّر بعضكم رواية ١٩٨٤، التي كُتبت قبل ذلك التاريخ بعشرات السنين. تتبَّأت هذه الرواية بوجود طبقة من العبيد، نشأت ولها المزيد من القوَّة لكن القليل من القدرات العقلية من أجل خدمة النخبة. لم يحدث ذلك في الواقع، لكن لدينا الآن برنامج Speakwrite، والذي يُباع كبرنامج للتعرُّف على الأصوات.

وبكلِّ تأكيد، تُطرح قضايا الحرية والحمية على طاولة النقاش. وعظَّ يسوع عن الحرية في المجمع اليهودي في مدينته الأم، الناصرة. ويرتبط النصُّ الذي وعظ منه بالنصِّ المكتوب على جرس الحرية.

كان المجمع بالتأكيد مزدحمًا عندما وقف يسوع ليقرأ النصَّ الكتابي. كان الجميع سمعوا عن تعاليمه المذهلة، وعن معجزاته المذهلة بنفس القدر. عرَّفهُ الناس بصفته النجَّار، الذي افترضوا أنه ابن يوسف، والذي كان يعمل في نفس المهنة. عرفوا أيضًا إخوته وأخواته. لم يكن الكثير من النجَّارين في المُدن الصغيرة. ربَّمًا أصلح يسوع كراسيهم، أو صنع لهم طاولات جديدة حسب طلبهم.

لكنه يظهر الآن بصفته مُعلِّمًا يهوديًا، والذي كان في منطقة اليهودية وكان يُعلِّم في الجليل الآن. التفتت إليه الرؤوس عندما وقف وتقدَّم ليأخذ لفيفة سفر إشعيا من الخادم الذي يعتني بها.

فتح يسوع السفر من بدايته حتى آخره إلى أن وصل إلى إشعيا ٦١. وقرأ تلك الكلمات: "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لِأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعَمِيِّ بِالْبَصَرِ، وَأَرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزُ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ". (لوقا ٤: ١٨، ١٩، انظر إشعيا ٦١: ١، ٢)

راقب ساكنو البلدة يسوع وانتظروا حتى طوى السفر مرّة أخرى وسلّمه للخادم وجلس. وكانت أعينهم شاخصة إليه: فما الذي سمعوه؟

قال يسوع: "إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ".

لم يكن يسوع يُعَلِّمُ فقط. لكنّه كان يُقدِّمُ تصريحًا. وما صرّح به يسوع هو سنة اليوبيل. تحدّثت نبوّة إشعيا عن زمن التحرير الذي طالب به الله في شريعة العهد القديم. وسجّل التقويم المقدّس لشعب إسرائيل اليوم السابع باعتباره سبت الراحة، والسنة السابعة على أنّها سنة سبئية، عندما تستريح فيها الأرض، وبعد سبع سنوات سبئية، تأتي سنة اليوبيل.

كان صوت الأبواق يُحدّد بداية سنة اليوبيل، السنة الخمسين. بالنسبة لرجلٍ فقير في سجن المُدائِن، كان صوت البوق هو أجمل موسيقى سمعها على الإطلاق. كانت هذه الأصوات تعني أنّه حرٌّ. لقد انتهت مدّة سجنه. كان بإمكانه العودة إلى أرضه في إسرائيل، الأرض التي كان قد خسرها بسبب الديون. لم تكن هذه السنة سنة عملٍ حتى، إذ كان ينبغي أن يأكل الجميع ممّا أنتجته الأرض بنفسها. كان ينبغي على زمن العنق والاسترداد هذا أن يكسر أيّ دائرة قمع في إسرائيل. لقد ألغيت كلُّ الديون؛ استردّ الفقراء ميراثهم، وتمّ شمل عائلاتهم مرّة أخرى. كان ينبغي أن يحكم هذا القانون إدارة الديون في إسرائيل، لأنّ قدوم سنة اليوبيل كان يُحدّد بداية النظام المالي الجديد (لاويين ٢٥؛ تثنية ١٥: ١-١١).

أظهرت سنة اليوبيل أنّ ملكية الأرض تعود لله، وأنّ الشعب امتلكوها باعتبارهم وكلاء على عطية. وعندما تجاهل شعب إسرائيل سنوات السبت وكذلك أيّام السبت، أدانهم الربُّ بإرسالهم للسبي. استطاعت الأرض عندها أن تحصل على راحتها لمدّة سبعين سنة (١ أخبار الأيام ٣٦: ٢١).

إذا كانت الأرض هي وصية ميراث إسرائيل، فإنّ إسرائيل هي ميراث الله. يُختتم مرسوم اليوبيل بكلمات الله: "لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِي عِبِيدٌ. هُمْ عِبِيدِي الَّذِينَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ" (لاويين ٢٥: ٥٥). إن الله يهتمّ بالفقراء، والمأسورين، والمقهورين بين شعبه (تثنية ١٥: ٩).

وعندما يتحدّث إشعيا عن سنة الرب المقبولة، فهو يُشير إلى سنة اليوبيل ليُظهر أنّ شريعة الله تحتوي على وعدٍ. لا يُطالب الله فقط بيوم العنق؛ بل يعد بأن يُخضّر هذا اليوم. بسبب شعبه أصبحوا بلا مدافعين أمام أعدائهم، ولم يكن هناك من يقودهم أو يُخلّصهم، قال الله إنّهُ سوف يأتي ليخلّصهم بنفسه. سيرتدي

خوذة خلاصه ودرع البر، وسيأتي ليخلصهم (إشعيا ٥٩: ١٥-١٧). إنَّ احتياج شعب الله هو احتياج مُلِحٌ لدرجة أنَّه وحده يستطيع أن يُخلصهم. في السبي، رأى النبي حزقيال الشعبَ منتشراً في الوادي. لم تكن هناك مرحلة أبعد في اليأس يُمكن أن يصلوا إليها. فبدايةً، كانوا كلُّهم موتى. كانت أجسادهم قد تحلَّلت منذ فترة طويلة، وبيست عظامهم وتناثرت. وسأل الربُّ النبيَّ: "يا ابن آدم، أتحيا هذه العظام؟" وكانت إجابته المذهلة: "يا سيِّد الربِّ أنت تعلم".

علاوةً على ذلك، تُعدُّ وعودُ الله عظيمة جداً لدرجة أنَّه وحده يقدر أن يفي بها. لا تتعلَّق وعودُ الله بالاسترداد فقط، بل بالتجديد أيضاً. وعندما تنبأ حزقيال، تقاربتُ العظام معاً، واكتست باللحم. تستطيع قوَّةُ الله أن تُقيم الموتى وتملأهم بالحياة الروحية الجديدة. إنَّ الوعدَ الأعظم هو لهم. سيكون الله إلههم (لاويين ٢٥: ٣٨).

مع ذلك، لم يُعلم يسوعُ فقط عن معنى اليوبيل باعتباره شريعةً ووعداً. بل كانت رسالته نداءً بوقٍ: "إنَّه اليومُ قد تمَّ هذا المكتوبُ في مسامِعكم". لم يكن لوقا محتاجاً للاستفاضة في رسالته. كان الله قد طالبَ بأن يُفعل ما هو ظلٌّ للاحتفال. ووعدهُ الله بأنَّ اليوبيل الأخير العظيم سيكون عندما يأتي هو بنفسه ليحقِّق الخلاصَ والاسترداد. ما قاله يسوعُ هو أنَّ ذلك الوقت أتى لأنَّه هو نفسه أتى. كانت شفاته نداءً البوق. إنَّ سنةَ الله المقبولة، وسنةَ بركته المُخلِّصة، وسنةَ وعدٍ ملكوته، لم تُعلن على جبل صهيون، بل في الناصرة، حيث نشأ يسوعُ. أراد أهلُ الناصرة الفضوليُّون أن يروا المعجزات؛ لم يعلموا أنَّ ما سمعوه كان معجزةً. وقف الربُّ هناك في وسطهم، ليخبرهم أنَّ النظام الجديد قد بدأ.

كان يسوعُ هو الواعظ الممسوح، رسول اليوبيل، المملوء من الروح القدس لينطق بكلمات النعمة (لوقا ٤: ٢٢). كان إعلانه هو سلطانُه. إنَّ الذي وُلِدَ من الروح القدس في رحم العذراء، كان ممسوحاً بالروح القدس الذي أتى على هيئة حمامة واستقرَّ عليه. بقوَّة الروح القدس، ارتدى يسوعُ خوذةَ الخلاص ودرعَ البرِّ ليتقابل مع الشيطان في البرية. كان هو الغصن الذي من أصل داود. لقد استقرَّ روح الربِّ عليه. إنه هو المشير العجيب، الإله القدير، الأب الأبدي، رئيس السلام.

هل تبدو هذه الألقاب العظيمة ليسوع بعيدةً عن تجربتك؟ أم أنَّها تلاشت من حياتك منذ أن سمعتها لأوَّل مرَّة، ربما في سيمفونية المسيا التي ألَّفها الموسيقار هاندل؟

استمع إذًا إلى كلمة الربِّ بطريقة أفضل من طريقة شعب الناصرة. لم يُعلن يسوعُ اليوبيل فحسب، بل حقَّقه أيضاً. إنَّ الحرِّيَّة التي قرأ يسوعُ عنها في سفر إشعيا كان هي الحرِّيَّة التي حقَّقتها من أجلك. لقد فعل ذلك بصفته خادم الله في آلامه، وابنَ الله في قوَّته. في حكمته، لم يُنهِ قراءة نصِّ إشعيا: "لأنَّادي بسنةٍ مقبولةٍ للربِّ، وبيوم انتقامٍ لإلهنا" (إشعيا ٦١: ٢). لم يُقلْ يسوعُ إنَّ يوم الدينونة على وشك البدء. لم يفهم يوحنا المعمدان هذا الأمر. وفي وقتٍ لاحقٍ، عندما وُضِعَ يوحنا في سجن هيرودس، أرسل تلاميذه

ليسأل يسوع: "أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟" (متى ١١ : ٣). تُظهر هذه الكلمات الصادمة أنّ يوحنا لم يَسْتَطِع أن يفهم لماذا كان يسوع يَحْجِب دينونته حتّى الآن. فيما أنّ يسوع استطاع أن يُخرج الشياطين ويُقيم الموتى، لماذا لم يُدِنْ شرَّ هيرودس؟ كان يوحنا في السجن لأنّه انتقد ذلك الشرّ. كان يوحنا قد وعظ بأنّ فأس الدينونة كانت موضوعة على جذر كلّ شجرة شريرة. لماذا إذا لم يلتقط يسوع هذه الفأس ويُدمِّر هيرودس؟ استطاع يسوع فقط أن يُري تلاميذ يوحنا معجزاته باعتبارها آيات تُثبِت أنّه هو الشخص الآتي، وأخبر يوحنا ألاّ يعثر فيه.

لقد تَعَثَّرَ شعبُ الناصرة في يسوع. مَنْ كان يظنُّ نفسه؟ ألم يعرفوا مَنْ هي أُسرتُه؟ لقد عرفوا أمّه، وإخوته، وأخواته. مَنْ كان هذا الشخص ليُعلن مجيء اليوبيل، ويُصرِّح بأنّه يُتمِّمه؟ بطريقة فضوليّة، هل تهرَّبَت من إعلان يسوع لأنك تعتقد أنّك تعرف كلّ شيءٍ عنه؟

لا تأخذ يسوع باعتباره أمراً مُسلِّم به. فهو لم يأتِ بعد مثلما سيفعل في المُستقبل: "وَنَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ الْغَضَبِ الْآتِي" (١ تسالونيكي ١ : ١٠). إن رحمة يسوع تَنْتَظِرُكَ اليوم. لا تتجاهل دعوته لك.

إن رحمته تَنْتَظِرُ، لكنَّ خلاصه قد أُكْمِل. لقد نُفِخَ في بوق اليوبيل في يوم الكفّارة، عندما رُشَّ دُمُ الذبيحة على كرسيّ الرحمة، الغطاء الذهبي لتابوت العهد الذي كان يُمَثِّلُ عرش الله.

قرأ يسوع من إشعياء ٦١. وأعلنت تلك النبوة عن نتائج عمل العبد المتألّم الموصوف في سفر إشعياء (٥٣ : ٥، ٦). "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعْاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحَبْرِهِ شَفِينَا. كُنَّا كَغَمِّ صَلْنَا. مَلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا."

لم يأتِ يسوع ليُخْضِرَ الدينونة، بل أتى ليَحْمِلَ الدينونة. لقد حملَ خطايانا في جسده على الصليب. لقد حررتنا آلامه التي احتملها بالنيابة عنّا. لقد تَحَقَّقَت العدالة، وقوّته تُحَرِّرنا. أظهرَ يسوع ذلك عندما ذهب من الناصرة إلى كفرناحوم، وهناك حرَّر رجلاً من سُكنى الشيطان. شفى هناك أيضاً حماة تلميذه بطرس، فاستطاعت أن تُساعد في تحضير الطعام ليسوع وتلاميذه. لقد خَلَّصَ يسوع وكذلك استردَّ: البصر للعمي والخريّة للمُنسحقين. إنه يدعونا أن نُظهر حُبنا له في أعمال رحمةٍ للفقراء المتألّمين.

إن يسوع يُخَلِّص وَيَسْتَرِدُّ. هل تستطيع أن تستوعب ما قد يَعْنِيهِ هذا في حياتك؟ إن السرّ في كل هذا هو أنّ يسوع يَسْتَقْبَلُكَ شخصياً. لقد اعتمدَ يسوع من أجلك. لم يكن يحتاج المعمودية لكي ترمز إلى تطهير خطاياه، لأنّه لم يُخطئ. واعترضَ يوحنا المعمدان على أن يُعَمِّدَ يسوع، لكن يسوع أصرَّ - لكي يُكَمِّلَ كُلَّ بَرٍّ. في معمديّته، قَصَدَ يسوع أن يكون متَّحداً بك. هل ترى ماذا يَعْنِي هذا لك؟ قال الأب: "هذا هو ابني الحبيب، مختاري." ولأنّ يسوع كان متَّحداً بك، فأنت متَّحدٌ به بالإيمان. إنّ ما قاله الأب ليسوع يقوله لك

أيضًا. إنه يدعو محبوه. إنك مُختارٌ في المسيح قبل تأسيس العالم (أفسس ١ : ٤). إنَّ المؤمنين أبناءُ الله لأنَّهم متَّحدون بابن الله. وروح الله يستقرُّ عليك، وهو ختم حضور الآب والابن.

لذلك، أنت حُرٌّ من الدينونة. فحيث روح الربِّ، هناك حُرِّيَّة. لقد انضممت إلى جماعة كنيسة، وأصبحت شاهدًا له في العالم، لكي تُخبر بفضائل الذي دعاك من الظلمة إلى نوره العجيب.

نعم، توجد صفات كامنة في جيناتك، لكنَّها قيودٌ فقط للذين لا يعرفون خالقهم. إن ما هو حقيقيٌّ بخصوص يسوع ينطبق عليك أنت أيضًا.

"الرَّبُّ مِنَ الْبَطْنِ دَعَانِي. مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي ذَكَرَ اسْمِي... وَقَالَ لِي: «أَنْتَ عَبْدِي إِسْرَائِيلُ الَّذِي بِهِ أْتَمَجَّدُ»" (إشعيا ٤٩ : ١، ٣). نعم، تصف هذه الكلمات يسوع. إن ربنا هو خادم الله. إنه إسرائيل الحقيقي الذي فيه يُعلن مجدُ الله. لكنك أنت أيضًا مخلوقٌ ومجددٌ لأجل العظمة. في اتحادك بالمسيح، تُصبح حرًّا لتُعلن مجده في دعوتك الخاصَّة، الخدمة التي تُمثِّل الحُرِّيَّة الكاملة.

لا داعي للانتظار؛ في الواقع، إياك والانتظار. لقد بدأ اليوبيل، ويسوع هو بالفعل مُخلِّصنا الذي صعد إلى السماء. ادعُه اليوم. أو الأفضل من ذلك، ادعُه الآن، وابدأ على الأرض في أن تتذوق مما يُعطيه روح المسيح من السماء.

صرخة المُخْلِصِ المترك من الله

(مزمور ٢٢ : ١)

مُعَلَّقًا على خشبة الصليب على قمّة التلّ، صرّخ قائلاً: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" من السجون وغرف التعذيب التي صنعتها الوحشيّة البشريّة، لا يزال الضحايا يصرخون. لكنّ يسوع على الصليب لم يكن ضحيّة. كان رُفَعُهُ على الصليب جزءًا من الارتفاع الذي سيُجذب به كلّ البشر إليه. لم تأتِ صرخته من ألم المسامير، ولا من الضغط الساحق على صدره، بل من عذاب روحه.

لقد تَرَكَ الأب السماويّ يسوع على الصليب. ويترك الله في بعض الأوقات الخطاة، مُسَلِّمًا إيّاهم لتمردهم، وشهوتهم، وكبريائهم. في حماقة وهمهم، لا يعرفون البهجة التي فقدوها ولا الجحيم الذي اكتسبوه. لكنّ صرخة يسوع كانت العذاب الذي حَمَلَ اللعنة لأجلنا.

صرخة من الأعماق

صرخة معاناة

لقد كانت الصرخة من على الصليب صرخة من الأعماق. ويُعد المزمور الثاني والعشرون مزمور رثاء أحد الأشخاص. كان داود هو كاتب العديد من هذه المزامير. في سنواته هروبه في البريّة، مُطَارِدًا من الملك شاول، دعا داودُ الربَّ لِيُخَلِّصَهُ. ولاحقًا، وهو محاطٌ بممالك مُعادية، استمرَّ داود في طلب حضور الربِّ، ملجأه وترسه وقوّته. لقد تَمَسَّكَ بالوعد بأنَّ الربَّ لن يتركه أبدًا أو يتخلّى عنه. وفي مزمور ٢٢، جمع داود بين وَصْفِهِ لِمَعاناتِهِ واعترافاته بِثِقَتِهِ بِيَهْوِهِ.

إنَّ الأشكال والتشبيهات الحيّة التي استخدمها داود لوصف معاناته نراها الآن بشكلٍ نبويّ عن آلام الصلب - عطش المصلوب، وثقوب يديه ورجليه، وخزي عُزِيهِ، واقتراع الجنود على ملابسه. إنَّ عطشه هو تراب الموت ذاته.

صرخة التّرك

سَخَّرَ المستهزئون من تصريحات الملك المُتألّم. لِيُنْقِذَهُ اللهُ، لو حقًا سُرَّ اللهُ به بصفته مختارَه (مزمور ٢٢: ٦-٨؛ متى ٢٧: ٣٩-٤٤). لقد أحاطوا بالمُتألّم مثل الثيران المتوحّشة، أو الوحوش بريّة، أو الكلاب، أو الأسود. وفي سخريتهم من المصلوب، نرى حقد أمير الظلام. مع ذلك، فإنّ سُخريتهم بأنّه "خَلَّصَ آخِرِينَ"

وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا!" هي حقيقة رسالة الإنجيل (متى ٢٧: ٤٢). لأنه أتى ليخلص آخرين، فلن يُنقذ نفسه. لم تكن هناك أي طريقة أخرى، مثلما أدرك يسوع في جثسيماني.

عندما سحقه المضطهدون اختفى مساعده. "أَحِبَّائِي وَأَصْحَابِي يَقْفُونَ ثُجَاهَ صَرْبَتِي، وَأَقَارِبِي وَقَفُّوا بَعِيدًا" (مزمور ٣٨: ١١؛ ٨٨: ٨). "وَكَانَ جَمِيعُ مَعَارِفِهِ، وَنِسَاءً كُنَّ قَدْ تَبِعْنَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَأَقْفِينِ مِنْ بَعِيدٍ يَنْظُرُونَ ذَلِكَ" (لوقا ٢٣: ٤٩). وعلى الرغم من ذلك، لم تكن صرخة يسوع بسبب غياب الأصدقاء، بل بسبب غياب أبيه. لقد احتجب مَنْ هو عونهُ! لقد وعدَ اللهُ بأنه لن يترك الذين هم له أبداً: "أدْعُنِي فَأُجِيبُكَ" (إرميا ٣٣: ٣). إن قوَّةَ المُخْلِصَةِ لِيَمِينِ اللهُ لم تَقْصُرْ عن أن تُخَلِّصَ (إشعيا ٥٩: ١). مع ذلك، كان ابنه يَبْحَثُ الآنَ بلا جدوى.

اختفى وجودُ اللهِ المُطْمَئِنِّ. كان داود قد رنم: "أَيْضًا إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لَا أَخَافُ شَرًّا، لِأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَاظُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِي" (مزمور ٢٣: ٤). والآن، على الصليب، كان الشخص المترك يصرخ: "لماذا أنت بعيداً جداً عن أن تخلصني؟" كان يسوع يطلب الخلاص بينما الشمس تغيب والأرض تهتز.

صرخة حمل الذنب

إن عذاب المصلوب مُصَوَّرٌ في مزمور ٢٢؛ وتمَّ التنبؤُ بمعنى موته في أناشيد العبد المتألم في إشعيا. إن العبد سوف "يَتَعَالَى وَيُرْتَقِي وَيَتَسَامَى جَدًّا" (إشعيا ٥٢: ١٣). لكن الآية التالية صادمة: "كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسِدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ." إن العبد الملكيَّ المُمَجَّدَ، الذي يُدهش مجده ملوك الأرض ويُرهبهم، هو الشخص الذي يبدو غير إنسانيٍّ بسبب التشوُّه، إذ كان مسحوقًا ومكسورًا بصفته حاملاً للخطيئة. كان الناس يُخفون وجوههم من هول منظره. لكنَّ أوجاعه كانت أكبر من مجرد الأوجاع الجسديَّة، لأنَّ "أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا... وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعْصِيَانَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبْرِهِ شَفِينَا... وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا." (إشعيا ٥٣: ٤-٦)

لَحَّصَ الرسولُ بطرس هذا المقطع في رسالته الأولى. ذَكَرْنَا قَائِلًا: "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلرَّبِّ. الَّذِي بَجَلْدَتِهِ شَفِينُمْ" (١ بطرس ٢: ٢٤). على الصليب، حمل يسوع لعنتنا. وعندما تركه الآب كان ذلك عطيةً من الآب لابنه لكي يحتمل الانفصال عن الآب الذي هو دينونة إثمنا. كان يسوع على الصليب بمفرده، مُسْتَمَعًا للاستهزاء من شفاه أولئك الذين هم في الظلمة، شفاه تَنطِقُ بِالإِدْعَاءَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ النَّابِعَةِ مِنْ كَرَاهِيَةِ الشَّيْطَانِ. ولكنَّ انتصار الشيطان كان في نفس الوقت هلاكًا للشيطان نفسه. كان الثمن المدفوع في الجلجثة هو القيمة اللانهائية لابن الله. استطاع يسوع أن يقول لِلصِّ الَّذِي كَانَ يَحْتَضِرُ، "اليوم تكون معي في الفردوس." إن العدد الهائل الذي

أعطاه الآب للابن، أولئك الذين صُلِّيَ يسوع من أجلهم، نالوا الفداء بواسطة موته. لقد كان موته كافياً للجميع، لكنَّهُ حَتَمَ السماءَ للذين أعطاهم الآب إِيَّاه. ولم يَقْدِ يسوعُ واحداً، باستثناء يهوذا، ليتمَّ المكتوب.

صرخةُ إلى الأعالى: صرخةُ ثقة

السؤال الذي أبعد من اليأس: لماذا؟

صرخَ يسوع على الصليب من عمق اللعنة التي تَحَمَّلَهَا من أجلنا. مع ذلك كانت صرخته صرخةُ ثقة. وَيَعكس استخدامهُ لكلمة "لماذا" وجود سِرٍّ وراء تألمه وسِرٍّ الشَّرِّ. عندما توجَّه يسوعُ نحو قبر لعازر، كان غاضباً، لا حزيناً، على حُزن مريم، أخت لعازر.

عندما أتى الأُممِيُّونَ طالبين يسوع، عَرَفَ أَنَّ وقت ذبيحته صار قريباً. وفي ظلِّ الصليب، صرَّحَ بأنَّ نفسه حزينة ومنزعجة (يوحنا ١٢: ٢٠-٢٧). مع ذلك، لم يستطع أن يَطْلُبَ من الآب ألا تأتي هذه الساعة، لأنَّهُ أتى من أجل تلك الساعة تحديداً. لقد وعدَ اللهُ ألا يترك الذين وضعوا ثقتهم فيه. لقد تَرَكَ شعبُ إسرائيل اللهُ ونقضوا عهدَهُ. لذلك، قال اللهُ إنَّهُ سوف يتركهم (تثنية ٣١: ١٦، ١٧). لكن على الصليب، تَرَكَ اللهُ الآب الشخصَ الوحيد الذي لم يترك اللهُ أبداً. وفي سِرِّ مشيئة الآب، كان الجحيم هو حُكْم الآب على القُدُوس. على الصليب، لم يصرخ يسوعُ قائلاً: "أبي!" بل "إلهي!"

ما مدى تقصير سؤالنا بكلمة "لماذا" عندما يُقارَنُ بسؤال المسيح! نَسْأَلُ "لماذا" بتمرُّد. "إن اللهُ ليس عادلاً. يجب ألا يحدث هذا لي!" يُهان كبرياؤنا. فنقلب الطاولات، ونحاسب اللهُ، بينما هو مَنْ يُحاسبنا. إن تسأَلنا بكلمة "لماذا" يَعترض على العناية الإلهية. نحن لا نفهم. كُنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّنا نخدم اللهُ بقلبٍ نقيٍّ، والآن يحدث هذا لنا! لماذا سمح اللهُ لنا بأن نَتَعَرَّضَ لهذا الألم في هذا التوقيت؟

أَحْضِرْ كُلَّ شكوكك السوداء، وخيالاتك المُعَدَّبَةِ، ومخاوفك المخنوقة إلى الجُلجثة! خذْ تسأولك بكلمة "لماذا؟" إلى يسوع، واسمعه وهو يتحدَّثُ من على الصليب!

الجواب الذي أبعد من الرجاء

يَحْمَلُ سؤالُ يسوع في طيَّاته إجابةَ اللهُ، إجابة أبعد من الرجاء. لقد صرَّحَ يسوعُ قائلاً: "إلوي، إلوي". لم يَقُلْ: "الله" فقط، بل قال: "إلهي". لقد مَجَّدَ يسوعُ اسمَ اللهُ على الصليب. وعندما كان الصليب في ذهنه، وصلَّى قائلاً: "أَيُّهَا الآبُ، مَجِّدِ اسْمَكَ"، أَجَابَ الآبُ من السماء قائلاً: "مَجَّدْتُ، وَأُجِّدُ أَيُّضاً". (يوحنا ١٢: ٢٨)

لقد تمجَّدَ اسمُ اللهُ، لأنَّ عدالته تم استرضائها. لقد كان موتُ المسيح هو "موتُ الموت ودمار الجحيم"^{٤٠} بالنسبة إلى الخطاة الذين جاء لينقذهم. لقد مات بصفته بديلاً عنهم. وكان هو حامل الخطيئة. لقد انتصرتُ

^{٤٠} William Williams, "Guide Me, O Thou Great Jehovah," ١٧٤٥.

محبّة الله على قذارة، وكبرياء، وذنوب خطيئة الإنسان. ودفعت محبة الأب الثمن، لأنه في أثناء ساعات الظلمة بذل الأب ابنه الأزلي من جهة طبيعته البشريّة. إننا نقول هذا عن حقّ، لكن إدراك هذه الحقيقة يتجاوز فكر البشر والملائكة. إن القسم الذي أخذه الله على نفسه تحقّق في الجلجثة. لقد عفى إبراهيم عن إسحاق الذي كان على المذبح، لكن الأب لم يُشفق على ابنه الوحيد. لقد ضربت الصخرة لتفتح ينبوع الحياة. بيّن الله محبته لنا، لأنّه ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا.

تُجيب الآية الأخيرة في مزمور ٢٢ عن الآية الأولى فيه. إن الله "قَدْ فَعَلَ". لقد أحبّ الله جدًّا لدرجة أنه بَدَل! هذا هو حجم قلب الله!

نشيدنا الوطني^١

(مزمو ٩٦ : ٣)

"أيها السيدات والسادة، حان وقت نشيدنا الوطني!"

تسلط قنوات التلفزيون الضوء على المغني وهو يُغني قُرب ضوء الفجر المُبكر، تحت النهار الاصطناعي لأعمدة الإستاد. وتلتقط كاميرا أخرى مجموعةً متنوّعة من الرياضيين المُخرجين الواقفين بنوع ما من الانتباه. يُحرّك عظماء لُعبة البيسبول في فريق (The Red Machine) حشواتهم من التبغ - أم أنّها علكة؟ يقف بيت روز (Pete Rose)، وهو يُغني النشيدَ الوطنيَ فعلاً. ثمّ يهتف الملعب كلّهُ. هل هي حماسة وطنية؟ كلاً، بل إن المباراة على وشك البدء.

إنّه لأمتياز لي أن أُعلن عن نشيدنا الوطني. لم يطلب منّي أحد أن أنشده - لسبب ما، لم يطلب منّي أحد أن أنشد أيّ شيءٍ على الإطلاق - لكن طُلب منّي تقديمه. إنّه ليس نشيد "الأممية" المرتبط بالشيوعية العالمية. بل إنه التمجيد الذي تُقدّمه البشرية الجديدة. يوماً ما سيُنشد المفديون من كلّ قبيلة، ولسان، وشعب، وأمّة، ترنيمة موسى وترنيمة الخروف على الجانب الآخر للبحر الزجاجي (رؤيا ١٥ : ٢، ٣). ولكنّ الله يدعونا إلى أن نُنشدّها اليوم: "حَدِّثُوا بَيْنَ الْأُمَمِ بِمَجْدِهِ، بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ". (مزمو ٩٦ : ٣)

يَسْتَطِيعُ نشيد الإرساليات أن يقوم بما هو أفضل من الوجود ضمن لائحة "أفضل عشرة أغاني على الإطلاق". فيها هي "جوقة هللوا" السماوية، التي تحتل المركز الأول في الأبدية. وربما أتيت إلى الله مُرْتَمًا: "كما أنا، لكنك تُرسل إلى الأمم مُرْتَمًا: "ما أعظمك!"

ما الذي يعنيه أن نُعلن مجدّ الله؟ من خلال الموضوعين الكبيرين في سفر المزامير، نجد مقطعي نشيدنا الوطني: تسبيح الله على أعماله؛ وتسبيح الله على طبيعته. لكي نُعلن مجدّ الله بين الأمم، يجب أن نُعدّد أعماله العظيمة (مزمو ٩٦ : ٣) وأن نُبارك اسمه (آية ٢).

^١ نُشر هذا الفصل في الأساس تحت عنوان "Declare His Glory Among the Nations" بقلم إدموند ب. كلاوني. وأخذ

من *Declare His Glory Among the Nations*, edited by David M. Howard. © ١٩٧٧ InterVarsity Christian Downers Grove, IL ٦٠٥١٥. Fellowship/USA. Used by permission of InterVarsity Press, P.O. Box ١٤٠٠ www.ivpress.com. The message was given at InterVarsity's Urbana Conference in ١٩٧٦

المقطع الأول: أنشد عن أعماله العجيبة

الربُّ قد الملك! تَرُنُّ الصنوج، فيَهتف الشعبُ باسمِ الله القُدوس. إن مزمور ٩٦ مزمورٌ هتافٍ. كان البابليُّون القدماء يُتَوَجِّحون إلههم مردوخ في شعائر مهرجان السنة الجديدة. ولكن شعب إسرائيل كان يهتف للإله الذي عرشه ثابتٌ إلى الأبد. إن الإله الحي هو ملك كلِّ الأمم لأنَّه إله الخليفة. "لِأَنَّ كُلَّ آلِهَةِ الشُّعُوبِ أَصْنَامٌ، أَمَّا الرَّبُّ فَقَدْ صَنَعَ السَّمَاوَاتِ" (آية ٥). لم يدعُ شعبُ إسرائيل الأمم إلى أن يعبدوا آلهتهم بطريقة أفضل، بل ليعبدوا إلهًا أفضل - هو الإله الوحيد بالتأكيد.

كانت الأناشيد الوثنيَّة القديمة مليئةً بالثناء الوصفيِّ الذي يُعلنُ أمام الآلهة كم هم عظاماء؛^{٤٢} إن رجلاً يعبد مجموعة كبيرة من الآلهة، هو مثل رجل له نساء كثيرة، يجب أن يكون مُقنعًا بشكلٍ غير عاديٍّ للاعتراض المباشر على إخلاصه. لكنَّ مزامير إسرائيل تَرُنُّ بتسبيح ووصفي، تُمجِّد الله على ما فَعَلَ، وتبدأ بِعَمَله في الخليفة.

وَقَفَ الرسولُ بولس على صخرة أريوس باغوس التي في طرف هضبة الأكروبوليس في أثينا. وتحت ظلال أجمل معابد العالم، أعلن: "الإلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، هَذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلٍ مَصْنُوعَةٍ بِالْأَيْدِي" (أعمال الرسل ١٧: ١٤). إن خالق ودَيَّانِ كلِّ العالم، ليس زيوس ولا أثينا، بل الإله المجهول بالنسبة لحكمة اليونان.

"سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيُّهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. لِتَسْبِحِ اسْمَ الرَّبِّ لِأَنَّهُ أَمَرَ فَخَلَقَتْ... النَّارُ وَالْبَرْدُ، النَّوْجُ وَالضَّبَابُ، الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ الصَّانِعَةُ كَلِمَتَهُ، الْجِبَالُ وَكُلُّ الْأَكَامِ، الشَّجَرُ الْمُثْمِرُ وَكُلُّ الْأَرْضِ" (مزمور ١٤٨: ٤، ٥، ٨، ٩). انزل مع المُستكشف البحري جاك كوستو (Jacques Cousteau) لتري عجائب الله في الأعماق؛ اصعد مع رواد الفضاء واقرأ سفر التكوين بينما أنت في الفضاء. "أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمَجَّدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ! حَيْثُ جَعَلْتَ جَلَالَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ". (مزمور ٨: ١)

لقد تحوّلت شكوى أيوب إلى عبادة عندما تحدّاه الله لينظر إلى كوكبة الجبار، وإلى عظمة فخذ فرس النهر، وحرشف التماسح (أيوب ٤٠-٤١). لكنك لا تحتاج إلى تلسكوب، أو ميكروسكوب، أو حتّى لرحلة إلى حديقة الحيوان لتكتشف عجائب يدي الله. فما أنتم، رجالٌ ونساء، مخلوقون على صورة الله. هتف كاتب المزمور أمام اتساع المجرات قائلاً: "فَمَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟" (مزمور ٨: ٤). لكنك مدعوٌّ إلى التسلُّط على الأرض؛ والأكثر من ذلك، أنت مدعوٌّ إلى السير على الأرض مع الله خالقك. ما مدى جمال وصف الكتاب المقدس لخلق الإنسان - لقد أحيا الله عمل أصابعه بأنفاسه. إن النَّفْسَ الَّذِي تَسْتَنشِقُهُ لِنَهْتَفِ بِتَسْبِيحِ اللَّهِ هُوَ عَطِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ لِذَاتِهِ.

^{٤٢} Claus Westermann, *The Praise of God in the Psalms* (Richmond, Va.: John Knox, ١٩٦٥), ٣٨-٤٢.

لا نحتاج إلى أن نحبس أنفاسنا التي وهبها لنا الله بينما تتحرك مركبة الإنزال الفضائية بين صخور كوكب المريخ بحثًا عن الحياة. نعلم أننا لسنا بمفردنا في الكون، ونعلم أن لدينا رفقة أفضل من أي شيء يزحف تحت صخور المريخ. "اعلموا أن الرب هو الله. هو صنعنا، وله نحن شعبه وغنم مرعاه" (مزمو ١١٠: ٣). "هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا". (مزمو ٩٥: ٦)

إن التسبيح أكثر من واجب علينا؛ إنه إنسانيتنا. يقولون لنا إن البشر تسلقوا جبل إيفرست (Everest) لأن الجبل موجود. فكم بالأولى يجب أن نصدق إلى جبل الله المقدس في عبادة لأن الله موجود، ويعلن عن مجده للإنسان الذي خلقه على صورته!

إن الإله المعلن في المزامير هو الحاكم والخالق أيضًا. عندما يُخبرنا كاتب المزمور أن المسكونة قد تثبتت، فلا تتزعزع (مزمو ٩٦: ١٠)، فهو يحتفل بعمل الله في سيطرته على الطبيعة والتاريخ. تغضب الشعوب، لكن ليس على الله سوى أن يعطي صوته فتدوب الأرض. (مزمو ٤٦: ٦).

إن كل إمبراطورية متكبرة واقعة تحت دينونة الله. فبعد الحرب العالمية الثانية بوقت طويل ما زال هناك نصب تذكاري من الحرب العالمية الأولى موجود في منتزه غرب برلين. وهو عبارة عن تمثال برونزي يُظهر اثنين من الجنود الألمان حاملين رفيقًا جريحًا من ساحة المعركة. إن المعركة الحامية التي دارت في برلين في الحرب العالمية الثانية تقبت قاعدة التمثال بعلامات من الطلقات النارية. ثم وقع حادث أكثر غرابة في المعركة جعل النصب التذكاري أكثر بشاعة بشكلٍ عبيث: أزلت إحدى القذائف الرأس البرونزية للجندي الجريح. أصبح البطلان الآن يحملان جثة مقطوعة الرأس! يا له من نصب تذكاري مروع للخراب الذي جلبته عبقرية هتلر الشيطانية على ألمانيا! ومثل كل الممالك الأرضية، كان يجب على مملكة هتلر، المدعية بأنها ستبقى ألف سنة، أن تخضع لدينونة الله كُلي القدرة.

إن الله يكسر سهام القوس (مزمو ٧٦: ٣)، ويحرق المركبات بالنار، وهو مهوب لملوك الأرض (مزمو ٧٦: ١٢). إن الله مهوب في عدالته ودينونته. يسمع صرخة المسكين والمظلومين في بقاع الأرض؛ لن يهرب أي فعل استغلال دون عقاب. "لي النعمة أنا أجازي، يقول الرب" (رومية ١٢: ١٩). إن تأجيل عدالة الله لا يعني أنها لن تُنفذ. إن الله قادمٌ ليدين الأرض. لن تتحقق الدينونة الأخيرة بواسطة محكمة عسكرية تحمي الامتيازات أو محاكم شعبية تسعى للانتقام ثوري؛ بل ستحقق بواسطة الملك البار الذي يسود على كل الشعوب.

أعلنوا مجد الديان الآتي. إن ترنيمة الله للأمم ترعد من سحابة عاصفة غضب الله على الشر. كرر بولس بيوم دينونة لوثنية أهل أثينا؛ يجب على المرسلين اليوم أن يكونوا أنبياء يعلنون بر الله، داعين الأمم إلى التوبة.

لكن هل ما يُصاحِبُ النشيدَ الوطنيَّ للإرساليَّاتِ هو فقط تصاعدُ صوتِ بوقِ الله، في دعوةِ الأممِ إلى دينونةِ الإلهية؟ كلاً، فكانتِ المزمور لا يُسيحُ الله فقط باعتباره ملكَ الأممِ بل كذلك باعتباره المُخلِّص: "رَبُّنَا لِلرَّبِّ، بَارِكُوا اسْمَهُ، بَشِّرُوا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلَاصِهِ" (مزمور ٩٦: ٢). إذا كان الله قد أتى فقط في غضب، فمن يقدر أن يقف أمام قداسته؟ ربّما نطلب أن تنزل نازٌّ من السماء على خطايا الآخرين، لكن كيف سننجو عندما تُدان خطايانا نحن؟

سبحوا الله، فسحابُ المجد يُضيء بالرحمة. ولنعين مجدَ أعماله الخلاصية - مجد النار التي ملأت العليقة في الصحراء دون أن تحرقها، مجد الإله "أهيه" الذي دعا موسى من النار ليعين وعدَ الخلاص لشعبه الذي يئنُّ تحت السوط.

أعلنوا مجده - تُتشدِّد المزامير عن أعمال الله القديرة في مصر؛ تُردد المزامير صدى ترنيمته موسى على شاطئ بحر سوف: "أُرَبِّمُ لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ. الرَّبُّ قُوَّتِي وَنَشِيدِي، وَقَدْ صَارَ خَلَاصِي". (خروج ١٥: ١، ٢)

ما هو المجد الذي يُمكن لإسرائيل أن تتغنَّى به! فبينما كانوا مُحاصرين أمام البحر من قِبَلِ مركباتِ قوَّاتِ فرعون الضاربة، رأى الشعبُ سحابةَ مجدِ الله وهي تقف مثل جدار من الظلام والنار لتكبح جماح العدو، ثم وقفت مثل عمود سحاب ليقودهم عبر البحر المنشقِّ (مزمور ٧٧، ٧٨، ١٠٥، ١٠٦). تتغنَّى المزامير أيضًا بعجائب الله في البرية عندما قاد قطيعه مثل راعٍ، وأطعمهم خبزاً من السماء، وروى عطشهم بماءٍ من الصخرة (مزمور ٧٨، ١٠٥، ١٠٦؛ نحميا ٩: ١٧). إنَّ إله الخليفة هو ربُّ الخلاص.

لكن سحابة مجدِ الله لم تُخرج شعبه من العبودية فحسب. لقد أخرجهم حتَّى يُدخلهم. وقال الله في سيناء: "أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ... وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ". (خروج ١٩: ٤)

"وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ!" على جبل سيناء، نَزَلَ اللهُ بِمَجْدٍ لِيُؤَسِّسَ عَهْدَهُ مَعَ شَعْبِهِ الْمَفْدِيِّ، وليتحدَّثَ إليهم بكلماتِ شريعته. من خلال وساطة موسى، أعطى اللهُ إسرائيلَ شريعته ومَسْكَنَهُ الْمُقَدَّسَ. إنَّ المجدُ الذي كان ينعكس من وجه موسى وأبهر أعينهم قد ملأ خيمة الاجتماع، لأنَّ الله نزل ليسكن وَسَطَ شعبه.

إنَّ الإنقاذ الذي صنعه اللهُ في الخروج صار دخولاً انتصارياً. قاد مجدُ الله شعبه ليدخلوا أرض الموعد وليصعدوا إلى جبله المُقَدَّس. هناك ملأ مجده مسكنه في صهيون. في الواقع، هذه هي الصورة الموجودة في مزمور ٩٦. وقد اقتبس كاتبُ سفر الأخبار هذا المزمور في سياق تأسيس الملك داود لخدمة التسبيح بعد إحضار تابوت عهد الربِّ إلى أورشليم (١ أخبار الأيام ١٦: ٢٣-٣٣).

"صَعِدَ اللهُ بِهَتَافٍ، الرَّبُّ بِصَوْتِ الصُّورِ" (مزمور ٤٧: ٥). "ارْفَعْنَ أَيْتَهَا الْأَزْتَاخَ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْفَعْنَهَا أَيْتَهَا الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتِ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ" (مزمور ٢٤: ٩)

إنَّ إله الخلاص هو الملك في صهيون. تدعو أبواقه الأمم ليعبدوه في جبل قدسه. تصل أصداى هتاف تسبيح إسرائيل إلى جزائر البحر.

استقرَّ مجدُّ الله للحظةٍ على صهيون. فامتلاً هيكلُ سليمان بالمجد. وأتى ملوك الأرض ومملكة الجنوب إلى أورشليم ليسمعوا حكمة مسيح الله، ولكي يروا البركات التي سكبها الله على شعبه المختار (١ ملوك ٤: ٣٤؛ ١٠: ٦-٩).

لكنَّ سليمان تحوّل من الحكمة إلى الحماسة، وسرعان ما انقسمت المملكة، وتحوّلت بركة الله إلى دينونة. وحيث استقرّت سحابة المجد على بيت الله، هناك صعد دُخان الحريق حيث أشعل الأمم الغزاة أخشاب الهيكل بالنار.

هل يُعتبر مزمور ٩٦ إذاً جزءاً من كتاب ترانيم قديم يوجد فقط تحت بقايا الهيكل المتفحم؟ كلاً، فمزمور ٩٦ هو كلمة الله، الله المُخلص الذي يذكّر وعده لإبراهيم وللأمم. إنَّ مزمور ٩٦ هو ترنيمة جديدة: فأعمال الله القدير في الماضي ستتحقق في خلاصه العظيم في المستقبل.

استخدم إشعيا ترنيمة موسى للاحتفال بخروج ثانٍ: "لأنَّ ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً" (إشعيا ١٢: ٢، خروج ١٥: ٢). لكن أي رجاء في مجدٍ يمكن أن يبقى وأورشليم خربة وشعب الله مشنّت بين الأمم؟ رأى حزقيال مجدَّ الله وهو يفارق الهيكل؛ ورأى شعب الله عظاماً يابسة ومُتخلّلة ومتناثرة في الوادي. "يا ابن آدم، أتحيًا هذه العظام؟" (حزقيال ٣٧: ٣)

يوجد شخصٌ واحد فقط يستطيع أن يجلب الحياة من الموت، والمجد من الدمار والخراب. يجب أن يأتي الله نفسه بقوة روحه وحضوره العجيب. فإنَّ وضع الإنسان ميؤوس منه للغاية بالنسبة لأيّ منقذٍ آخر، وتُعتبر وعود الله أعظم من أن تتحقّق بأيّ صورة أقلّ من ذلك.

إن الترنيمة الجديدة هي ترنيمة احتفالٍ بميلاد المُخلص: "أعدّوا طريقَ الربِّ. قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا... فيعلنُ مجدُّ الربِّ ويراه كلُّ بشرٍ جميعاً". (إشعيا ٤٠: ٣، ٥)

إنَّ عجيبة العجائب هي أن الله لن يأتي ليخلص شعبه من أسريهم ولكن ليخلصهم من خطاياهم. لن يأتي الله فقط بصفته ملك المجد، بل بصفته الربِّ برّنا أيضاً (إرميا ٣٣: ١٦). لن يدوس العدوُّ تحت أقدامه فحسب؛ سوف "يعودُ يرحمناً، يدوسُ آثامنا، وتطرحُ في أعماقِ البحرِ جميعَ خطاياهم". (مicha ٧: ١٩)

سيأتي الربُّ وكذلك سيأتي العبدُ. إنه هو غصن البرِّ (إرميا ٣٣: ١٥)، ابن داود، الذي دُعي ليجلس عن يمين الله (مزمور ١١٠: ١). إنه هو أصل يسى. "إياه تطلبُ الأمم" (إشعيا ١١: ١٠). عندما تقطع دينونةُ الله أرزَ كبرياء إسرائيل، لن تُهلك شعبه بالكامل. كلاً، ستوجد بقيّة؛ ستزهر براعم صغيرة من جذع

الشجرة الساقطة. هذه هي شجرة عيد الميلاد الخاصة بالنبِيِّ الآتِي. ستتمو نبتة الله، أو غصن الله، لتصبح صاريًا عظيمًا على الجبال، ورايةً تأتي إليها كلُّ الشعوب.

إن هذا البُرعم النامي من جذع داود هو مسيا الربِّ. ستجتمع كلُّ الأمم بواسطة وله. يكمن سرُّ خلاص الله في عمل المسيا. لكي يقدي شعبه، يجب على الله أن يمحو كسحابة كثيفة ذنوبهم وخطاياهم (إشعيا ٤٤: ٢٢). سيدهش ملوك الأرض عندما يرون وجه عبد الله. إنه ممزَّق ومجروح ومُشوَّه في عذاب آلامه (إشعيا ٥٢: ١٤). إنه مرفوضٌ مثل غصن نامٍ في أرض يابسة. "لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعُنَا تَحَمَّلَهَا... وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعْاصِيْنَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا... جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةً إِنَّهُ... سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أُمَّةٍ، وَهُوَ حَمَلٌ خَطِيئَةٍ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ". (إشعيا ٥٣: ٤، ٥، ١٠، ١٢)

نراه الآن الشخص الذي ارتفع مثل راية فوق كلِّ الأمم - لقد رُفِعَ على الصليب. قال يسوع: "وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الْأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ" (يوحنا ١٢: ٣٢). شرح يوحنا ذلك قائلًا: "قَالَ هَذَا مُشِيرًا إِلَى آيَةِ مِيثَةٍ كَانَتْ مُزْمَعًا أَنْ يَمُوتَ". (آية ٣٣)

"حَدِّثُوا بَيْنَ الْأُمَمِ بِمَجْدِهِ." ما هي العجائب التي ستسمعها الأمم؟ ستسمع أنَّ إله المجد، ملك كلِّ الأمم قد أتى ليُخَلِّصَ. لقد جاء الربُّ مثل عبْدٍ. وطردَ مجدُ السماء الظلام من حقول بيت لحم. وأعلنَ ملائِكُ "أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ" (لوقا ٢: ١١). رأى الرعاة، لا الأمم، المجد، والعلامة التي استقبلوها كانت طفلًا يرقد في معلق المدود!

أيُّ مُعْجَزَةٍ تُسَكِّتُنَا أمامَ سِرِّ قُدُومِ اللَّهِ فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ! نعم، لقد أتى المجد، لأنَّه هو أتى. "قُومِي اسْتَبِيرِي لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكَ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكَ... فَتَسِيرُ الْأُمَمُ فِي نُورِكَ، وَالْمَلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكَ" (إشعيا ٦٠: ١-٣). تَبِعَ المَجُوسُ نَجْمَهُ مِنَ المَشْرِقِ وَسَجَدُوا لَهُ؛ أَمْسَكَ سَمْعَانُ الشَّيْخَ بِالطِّفْلِ يَسُوعَ وَسَبَّحَ اللَّهَ عَلَى خِلاصِهِ "الَّذِي أَعَدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورٌ إِعْلَانٍ لِلْأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشُعْبِكَ إِسْرَائِيلَ". (لوقا ٢: ٣١، ٣٢)

بالتأكيد، جاء يوحنا المعمدان ويسوع يُبَشِّرَانِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ: رسالة مجيء الله الملك المأخوذة من المزامير الملوكية والبشارة التي أعلنها إشعيا. إن الأعمال القديمة لله الملك المُحتفل بها في المزامير تتمُّ بواسطة إله المجد في وسط شعبه - فهو يُطعم الجياع، ويجعل العرج يمشون، والعمى يُبصرون، والصمُّ يسمعون. إنه يُهدئ هيجان البحار (مزمور ٦٥: ٧)، ويتكلَّم بالحياة للموتى، ويجمع خرافه البقيَّة مثلما يفعل الراعي الحقيقي (حزقيال ٣٤: ١١).

ولكنه لم يأت ليُنْفِذَ دينونةَ عدالةِ الله، فأرسلَ يوحناَ المعمدانَ من سجنه سؤالاً ملحاً: "أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نُنْتَظِرُ آخَرَ؟" (لوقا ٧: ١٩). هل يُمكن أن يكون هذا هو الربُّ الذي أُجْرَتْهُ مَعَهُ وَعَمَلَتْهُ قُدَّامَهُ (إشعياء ٤٠: ١٠)؟

فطوبى ليوحناَ إن لم يعثر في يسوع (لوقا ٧: ٢٣). لم يأت المسيح ليُخْضِرَ الدينونةَ بل ليَحْمِلَهَا. إن أنشودةَ التسبيح في المزامير موجودةٌ عادةً في تَعَهْدِ المتألِّمِ بأن يُقَدِّمَ الشكرَ لله الذي أنقذه من الأعماق. إن يسوع المسيح هو المتألِّمِ الملوكي الذي يصرخ متروكاً وهو يشرب كأسَ الغضب، ولكنه هو أيضاً الذي يترنمُ بنُصرةِ القيامة حين يصعد بهتافٍ إلى يمين الأب. يمكن أن تُحصَى كلُّ عظامِ المُخْلِصِ المُعَذَّبِ وهو مُعَلَّقٌ على الصليب، ولكن في انتصاره سوف يُحصي كلَّ بركاتِ أبيه. في مزمور ٢٢، مزمور عذابه، يتعهَّد بتقديم الشكر: "أخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي. فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ اسْبِحْكَ" (مزمور ٢٢: ٢٢؛ مُقْتَبَسٌ فِي عبرانيين ٢: ١٢).

ترنمت الملائكة في ميلاد المسيح قائلةً: "المَجْدُ بِهِ فِي الْأَعَالِي." ولكنَّ الرعاة هم مَنْ عادوا من المِذْوَدِ، وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ". (لوقا ٢: ٢٠)

إنَّ الترنيمةَ الجديدة، النشيدَ الوطنيَّ لإرسالياتِ الله، هي ترنيمتنا. إن الخطاةَ المَفْدِينِ، لا الملائكةَ القديسين، هم من يرنمونها على كوكب الأرض، وترنمها مع يسوع. نعم، يُرْتَمُ المسيح الآن عن انتصار إرساليتِه بين الأمم: "وَأَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ قَدْ صَارَ خَادِمَ الْخِتَانِ، مِنْ أَجْلِ صِدْقِ اللَّهِ، حَتَّى يُثَبِّتَ مَوَاعِيدَ الْأَبَاءِ. وَأَمَّا الْأُمَمُ فَمَجَّدُوا اللَّهَ مِنْ أَجْلِ الرَّحْمَةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَأَحْمَدُكَ فِي الْأُمَمِ وَأُرْتِّلُ لِاسْمِكَ»". (رومية ١٥: ٨، ٩)

عندما نُنْشِدُ عن مجدِ الله بين الأمم، فنحن نُنْشِدُ مع يسوع. مثلما ابتهجَ الرسولُ بولسُ بأن يسمع أنَّ الأممِ بغمٍ واحدٍ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ أبا رَبِّنا يسوع المسيح (رومية ١٥: ٦).

لقد نُقِضَ حائطُ السياجِ المتوسِّطِ الذي حجبَ الأممَ عن مذبحِ الله. إن الأممِ الذين كانوا قبلاً بعيدين صاروا الآن قريبين، وصارت الذبيحةُ الروحيةُ لأجسادهم مرضيةً عند الله (رومية ١٢: ١، ٢). وأصبحت ترنيمَةُ موسى ترنيمَةُ الحمل، النشيدَ الوطنيَّ للمفدِينِ الذين ليسوا بعد غرباء أو نزلاء بل رعيَّةً واحدة مع القديسين، مُنْضَمِّينَ إِلَى رعيَّةِ إسرائيل، إلى عائلةِ الله (أفسس ٢: ١١-٢٢). لقد تَغَيَّرَ الآن فقط جبل احتفالِ تسبيحنا من جبل سيناءِ بناه ودُخانُه، ومن صهيونِ حيث كان هيكل سليمان قائماً. بدلاً من ذلك، صارت صهيون السمائيَّةُ هي جبل احتفالِ تسبيحنا حيث القديسون والملائكة مجتمعون، وحيث يسوع موجودٌ، الذي رشَّ كرسِيَّ الرحمةِ السمائيَّةِ بدمه.

يَمْتَلِك جيلنا منظورًا جديدًا لهذا الكوكب. لقد رأينا جماله، ملتفًا بالسحب الرخامية، ومُصورًا من القمر. تحتاج كنيسة المسيح إلى منظورٍ جديدٍ عن الأمم، غير مُستمد من القمر بل من السماء - من ذلك المحفل الذي يقود فيه يسوع ترنيمة الفداء.

المقطع الثاني: أُنشِد عن اسمه المجيد!

نُعلن مجدَ الله بين الأمم حينما نُعدّد أعماله العجيبة (مزمور ٩٦: ٣) ونبارك اسمه: "رَبُّنَا لِلرَّبِّ، بَارِكُوا اسْمَهُ، بِشَرِّوَا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلَّاصِهِ" (آية ٢). إن تسبيح أعمال الله في الخلاص يعني دائمًا أن نُسبِّح اسمه بصفته الفادي. إنَّ اسم "يسوع" ذاته يُسبِّح الله المُخَلِّص. إنه هو "المُشير العجيب، الإله القدير، الأب الأبدي، رئيس السلام" (إشعيا ٩: ٦). لقد عَلَّمَنَا يسوع أن نصلِّي قائلين: "ليَتَقَدَّسَ اسمك!" لقد سكب دم حياته ليجعل تلك الصلاة ترنيمتنا. نُعلن مجدَ هذا الاسم القُدوس الذي أصبح اسمًا لنا في يسوع المسيح. تَذَكَّر، أَنْكَ لم تَعْتَمِد باسمك أنت بل باسم الله: اسم الأب والابن، والروح القدس.

هل يَجلب اسمُ الله فرحًا لقلبك وتسبيحًا لشفتيك؟ هل تتذكَّر العشرة البُرص الذين أرسلهم يسوع ليُروا أنفسهم للكهنة في أورشليم لتُعلن طهارتهم؟ لقد بدأوا الرحلة الطويلة نحو أورشليم في طاعةٍ، لكن كانوا لا يُزالون بُرصًا. يا لها من مخاطرة أن يَقْتَرِبُوا مِنَ الهيكل وهم لا يُزالون بُرصًا! ولكن فيما هم منطلقون، طهروا. رجع واحدٌ منهم، وكان سامريًا، وهو "يُمجِّد الله!" أسرع عائدًا على الطريق الصخري إلى يسوع، وخرَّ على وجهه عند رجلي يسوع، وشكر المُخَلِّص. فقال يسوع: "أَلَيْسَ العَشْرَةُ قَدْ طَهَّرُوا؟ فَأَيْنَ التِسْعَةُ؟" (لوقا ١٧: ١٧)

"أين التسعة؟ لماذا يا يسوع! إنهم في الطريق متجهون إلى أورشليم. وهم متجهون حيث أرسلتهم - إلى الكاهن الذي سيُعلن طهارتهم. يا يسوع، أنت لم تُقل شيئًا عن عودتهم - إنهم يؤذون واجبهم!"

واجب؟ نعم، ولكن أَيْة طاعة هذه التي لا تُعرف شيئًا عن بهجة الخلاص، وعن تمجيد اسم الله؟ لقد اقتحمت امرأة خاطئة عشاء الفريسي لتغسل قدمي يسوع بدموعها (متى ٢٦: ٦-١٣)؛ سكبَت مريم التي من بيت عنيا عند قدمي يسوع ناردين تكريسها الباهظ الثمن (يوحنا ١٢: ١-٨).

مجدًا للرب! أوقف مجدُ الرب الرسول بولس، الذي كان معروفًا باسم شاول المُحقِّق، عن إضطهاده الغاضب للمؤمنين. سَمِعَ مِنْ شفتي مُخَلِّصه اسم يسوع. من بعدها، صار مُبتَهجًا بنعمة الله المُدهشة. في تأمله في أبعاد مشيئة الله السيادية العميقة في الخلاص، صرخ قائلًا: "لَأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الأَشْيَاءِ. لَهُ المَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ". (رومية ١١: ٣٦)

مجدًا لاسمه، فنحن مدعوون إلى الكرازة التمجيدية: إن للربِّ الخلاص! إذا ماتت هذه الأنشودة لن نملك ما نُنشده أمام الشعوب. إنهم لا يريدون أن يسمعو تلك الأغاني القديمة المُتعجرفة للاستعمار التبشيري، ولا يحتاجون إلى مساعدتنا في تعلُّم هتافات العنف الثوري. لكن عندما يُرثم شعب الله تسبيحاته، عندها ستُنصت الأمم.

سَبِّحُوا اسْمَهُ، فَإِلَهِنَا مَجِيدٌ فِي حِكْمَتِهِ. لقد جاء ملوك ليتعلَّموا عن حكمة سليمان، ولكن هوذا أعظم من سليمان ههنا: يسوع المسيح! من سحاب المجد على الجبل، سَمِعَ التلاميذ أمرَ الآب: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا" (لوقا ٩: ٣٥). قال يسوع: "إِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي" (متى ١١: ٢٩). "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ" (يوحنا ١٤: ١٥). إن الكلام الذي تكلم به يسوع قد أكده الذين سمعوه منه (عبرانيين ٢: ٣). ينبغي علينا أن نذكر "الْأَقْوَالَ الَّتِي قَالَهَا سَابِقًا الْأَنْبِيَاءُ الْقَدِيسُونَ، وَوَصَيْتَنَا نَحْنُ الرَّسُلُ، وَصِيَّةَ الرَّبِّ وَالْمُخَلَّصِ" (٢ بطرس ٣: ٢)

لكي نُعلن اسمه، يجب أن نتعلَّم من كلمته. يجب أن يسمع الأمم عن يسوع الحقيقي، يسوع الكتابي. يتكلم الله إلينا في ابنه ويأمرنا بأن نسمع له. لا نستطيع أن نخضع تحت اسم الله ونسود على كلمة الله. في الواقع، يوجد اسم الله في كلمته، لأنَّ الله يتكلم إلينا ليُعلن عن نفسه. ويتكشف سرُّ اسم الله في كلمته. ما أسرع اصطدامنا بأمرٍ يفوق إمكانياتنا! مع ذلك، حينها فقط يُمكننا أن نعرف مع بولس ماذا يعني أن نُحمل في تسبيح بموجة الحكمة الإلهية العالية.

نحن لا نُعلن بين الأمم شعارًا فارغًا، أو اسمًا يعني كلَّ شيء ولا شيء. بل نُعلن غنى حقِّ الله، كلَّ مشورة الله، مجد يسوع المُذخَّر فيه جميعُ كنوز الحكمة والعلم (كولوسي ٢: ٣).

سَبِّحُوا اسْمَهُ! نترنم بمجد قوته أيضًا. إن اسم الله مُقدَّس في عظمة في يسوع المسيح ملكنا.

من هو ملك المجد؟ دخل ذات مرَّة إلى أورشليم وسط الهتافات بكلمة أوصنا وأغصان النخل لكي يقدر أن يصعد تلة الجلجثة ليموت. لكنَّه صعد الآن إلى تلة أخرى. "ارْفَعْنَ أَيْتُهَا الْأَزْنَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْفَعْنَهَا أَيْتُهَا الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتِ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ" (مزمو ٢٤: ٩). لقد انتصر الربُّ الجبار في القتال على قوَّات الظلمة، وصعد إلى عرش أبيه. يقول الابن، الذي هو بهاء مجد الآب: "دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَأَذْهَبُوا وَتَلْمَذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ". (متى ٢٨: ١٨، ١٩)

إنَّ مجد المسيح السماوي ليس مجرد مستودع للقوَّة، أو مصدر للطاقة يُستخدم في تلمذة الأمم؛ كلاً، فمجد المسيح هو سيادته التي يتلمذوا لكي يخضعوا إليها. وإذا كنَّا لا نُمجِّد اسمه، فنحن لا نركز برسالة الانجيل. إننا نُعَمِّد باسم الآب، والابن، والروح القدس الذين يعترفون بأنَّ يسوع المسيح هو ربُّ. يسود

المسيح الآن على التاريخ ويتمشى بين المناير السماوية بصفته القاضي لكنيستته. إن إنجيلنا هو "إنجيل
مجد المسيح، الذي هو صورة الله". (٢ كورنثوس ٤: ٤)

رغم أن الأمر قد يبدو غريباً لنا، إلا أننا لا نعلم اسم المجيد بطريقة الأبطال الغزاة ولكن مثل عبيد
خدّام. نبدأ أحياناً، مثل يعقوب ويوحنا، في تكوين صوراً خيالية حول كوننا أمراء عن يمين المسيح، أو على
الأقرب ممتطين جواداً مثل ضيف الشرف في موكب مملكة المسيح. إذا كان هذا ما تتصوّره في ذهنك،
فأنت تفكر في الموكب الصحيح لكن في المكان الخطأ. لا يتصوّر بولس، عبد يسوع المسيح، كما لو كان
راكباً في مركبة المسيح الانتصارية، بل كأنه أول المأسورين، مُقيّد في مركبة الملك المنتصر (٢ كورنثوس
٢: ١٤). إننا نحمل كنز اسم المسيح المُمجّد في أوانٍ خزفية. يحمل بولس في جسده إماتة يسوع، في
اكتئاب، وحيرة، واضطهاد، وانطراح، عالماً أنه سيقوم أيضاً مع يسوع (٢ كورنثوس ٤: ٨-١٤). لقد صار
منظراً، واعتبره العالم مثل القمامة. ولكن ماذا عن منصبك أنت؟ كتّب بولس قائلاً: "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا
مُتَمَثِّلِينَ بِي". (١ كورنثوس ٤: ١٦)

أجل، لقد سُمّر اسم يسوع، ملك المجد، فوق الصليب. إن اسمه مجيد في الحكمة والقدرة، ويُمجّد في
المحبة. إن حكمة الله عند الناس جهالة؛ إن قوّة الله عند الناس ضعف؛ إن محبة الله عثرة للناس. ولكننا
نحمل أمام الأمم اسم محبة الله.

في ضوء اقتراب الصليب، كانت نفس المسيح مضطربة. صرخ قائلاً: "وَمَاذَا أَقُولُ: أَيُّهَا الْآبُ نَجِّنِي
مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ؟" (يوحنا ١٢: ٢٧). كانت هذه صلاة كاتب المزمور المتألّم، صرخة مسيح الربّ لأجل
الخلاص. "وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ" (آية ٢٧ب). لقد جاء يسوع بصفته كاهناً وذبيحة، ليبدل
حياته فدية عن كثيرين. فماذا ينبغي أن يقول؟ وأي صلاة إلا هذه: "أَيُّهَا الْآبُ، مَجِّدِ اسْمَكَ!" (آية ٢٨).
إن يسوع، الذي علّم تلاميذه أن يصلّوا قائلين: "ليتقدّس اسمك"، كان يطلب حينها أن يتقدّس اسم الآب عند
الصليب. أجب الآب من السماء قائلاً: "مَجِّدْتُ، وَأَمَجِّدُ أَيْضًا!" (آية ٢٨). كيف سيمجّد الآب اسمه الآن؟
هل يمجّد جيوش الملائكة؟ أم يمجّد سحابة على الجبل؟ كلاً، سيمجّد الآب اسمه بأن يرفع ابنه على
الجلجثة!

أي مجد هذا؟ أهو خزي التعري، وآلام التعذيب، نبيذ السخرية المرّ، ومعاناة الترك؟ هل يمجّد الابن
المختار اسم الآب عندما يصرخ قائلاً: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"

لم يكن اسم الله مُمجّداً إلى هذا الحدّ أبداً. لا تستطيع أنشودة السرافيم الأبدية أن تعلق إلى هذا المستوى.
لقد اكتمل تكريس الابن. في محبة للآب، شرب الابن هذه الكأس؛ في محبة لخاصته بدّل نفسه عن
الخطية. إن محبة قلب الآب اللامتناهية تشتعل في الظلمة. "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ

خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا" (رومية ٥ : ٨). "لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ" (يوحنا ٣ : ١٦). إن الثمن الذي لم يضطرَّ إبراهيمُ لدفعه إذ عفا عن إسحاق عند المذبح على جبل المُرِّيَّاء، دفعه الله الأب عندما لم يشفق على ابنه الوحيد، بل بذله لأجلنا أجمعين.

أعلنوا بين الأمم اسمَ إله الجلجثة، ومجدَ محبة الله التي ختمتُ الفداء على الصليب. ربَّما قد تكون مدعوًّا لأن تتشدَّ مزامير المجد في زنزانه سجن المَحْن. فعلَ بولس ذلك في فيلبِّي. كان ظهره الدامي لا يزال ينزف، وأيضًا كانت قدماه مخدَّرتين للغاية في المقطرة لدرجة يصعب معها إيجاد الراحة في النوم، لذلك وجدَ ارتياحًا في التسبيح: "الربُّ قد ملك... الربُّ عظيم... قدوسٌ هو!" هل من المدهش أن هؤلاء الذين يفتخرون بالصليب هم مدعوُّون لحمل الصليب واتباع المسيح؟

إلامَ تسعى؟ هل إلى مجد ربِّك؟ ارفع اسمَ الربِّ العظيم في تقدمات التسبيح من شفقتك وتقدمات الشكر في حياتك. وقدِّم جسدك ذبيحةً [تسبيح] حياةً مقدَّسةً مرضيةً عندَ الله (رومية ١٢ : ١).

لا يدور السؤالُ الأوَّل بالنسبة إليك حول إلى أين قد يدعوك الربُّ بين الأمم؟ ولا حتَّى حول كيف سنُعلن شفقتك وحياتك بين الأمم عن مجده؟ إن السؤالُ الأوَّل هو، هل رأيتَ مجدَ الربِّ؟ هل سمعتَ صوتَ ابن الله ينادي من الجلجثة؟

نعم، ربَّما نعرف عن المسيح ملك المجد الذي ستدين قوَّته الأمم المتحاربة، أو عن المسيح نبيِّ المجد الذي كلمته هي الحقُّ للأمم الضالَّة، أو عن المسيح كاهن المجد الذي تُعد ذبيحته الخلاصَ الوحيد للأمم المتمرِّدة. ولكن لكي نُعلن اسمه بين الأمم، لا بدُّ أن نُبارك اسمه أوَّلًا في قلبك.

اصرخِ إليه في توبة، وادعُ باسمه في إيمانٍ، وترنِّم بمجد يسوع المسيح مُخلِّصك. فمثل جيش يهوشافاط قديمًا، تخرج الكنيسةُ إلى المعركة الروحية مترنِّمة بتسابيح الربِّ. لقد رنَّم يسوع في العليَّة مع تلاميذه. ويقود الآن تسبيحات شعبه. فلترنِّم مع المسيح نشيده الوطنيِّ، ترنيمة الحمل! هللوا!

يسوع المسيح

وضلال الإنسان^{٤٣}

تحكي لنا أغنية قديمة مشهورة عن الأمر مثلما كان:

لا تُخمد هذه النيران الداخليّة،

اتبع رغبات قلبك

حتى يأتي اليوم الذي تتحقّق فيه؛

اجعل اليوم عطلةً، وكذلك الغد أيضًا.

لا تستطيع أن تأخذه معك، يا جاك،

وعندما ترحل، لن تستطيع العودة.

فأنت تمرّ فيه فقط!

إن هذه أغنية قديمة، قبل زمنك بكثير. في واقع الأمر، كانت هذه الأغنية شائعة في مصر قبل عام ١٣٠٠ قبل الميلاد. لكن نسختي تُعتبر إعادة صياغة بعض الشيء. يُمكنك أن تجد نسخة أكثر حرفيّة تحت عنوان "أنشودة عازف القيثارة" في نصوص الشرق الأدنى لجيمس بريتشارد.^{٤٤} ولمدّة أكثر من ثلاثة آلاف سنة، كان الإنسان غارقًا في فكرة أنّه يمكنه العيش مرّة واحدة فقط، لذلك من الأفضل أن "يستمتع برغباته" ما دام يستطيع ذلك. لكن الخوف يكمن تحت هذا التبرّج - الخوف من الموت. إن "الخوف الصباحي" سيئ بما فيه الكفاية، ولكن ماذا عن الليلة التالية؟ لا تستطيع الحياة أن تهرب أبدًا من ذلك الظلّ.

منذ زمن "أنشودة عازف القيثارة" تأتي أنشودة لعازف قيثارة آخر، مليئة بالعظمة المهيبة بدلاً من الرغبة

^{٤٣} "Jesus Christ and the Lostness of Man" by Edmund P. Clowney. Adapted from *Jesus Christ: Lord of the Universe, Hope of the World*, edited by David M. Howard. © ١٩٧٤ InterVarsity Christian Fellowship/USA. Used by permission of InterVarsity Press, P.O. Box ١٤٠٠, Downers Grove, IL ٦٠٥١٥. www.ivpress.com. The message was given at InterVarsity's Urbana Conference in ١٩٧٣.

^{٤٤} "A Song of the Harper," trans. John A. Wilson, in James B. Pritchard, ed., *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, ١٩٥٠), ٤٦٧.

التافهة: أنشودة موسى رجل الله، في مزمور ٩٠ في العهد القديم. نسمع مرّةً أخرى عن قصر الحياة: "كسِنَّةٍ يَكُونُونَ. بِالْعَدَاةِ كَعُشْبٍ يَزُولُ. بِالْعَدَاةِ يُزْهِرُ فَيُزُولُ. عِنْدَ الْمَسَاءِ يُجْزُ فَيَيْبَسُ". (مزمور ٩٠: ٥، ٦)

لكن موسى يَضَعُ قِصَرَ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ فِي تَنَاقُضٍ مَخِيفٍ مَعَ أَبَدِيَّةِ اللَّهِ: "مُنْذُ الْأَزَلِّ إِلَى الْأَبَدِ أَنْتَ اللَّهُ... لِأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ مِثْلُ يَوْمٍ أَمْسَ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزَيْعٍ مِنَ اللَّيْلِ". (آية ٢، ٤)

عند مُقَارَنَتِهَا بِأَبَدِيَّةِ اللَّهِ، فَإِنَّ حَيَاتِنَا لَيْسَتْ سِوَى مَوْتٍ بَطِيءٍ، وَلَيْسَتْ حَتَّى مَوْتٍ بَطِيءٍ فِي ذَلِكَ. يُحَقِّقُ ظِلُّ الْمَوْتِ فَوْقَنَا وَيَمْحُو ضَوْءَ شَمْسِ الْيَوْمِ بِظِلْمَةِ الْغَدِ. وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا نَفْسٌ، وَهَذَا النَّفْسُ هُوَ التَّهْيِيدَةُ. اعْتَمَدَ صَمُوئِيلُ بِيكِيَتِ (Samuel Becket)، الْكَاتِبِ الْمَسْرُحِيِّ الْحَائِزِ عَلَى جَائِزَةِ نُوْبَلِ، عَلَى الْمَوْضُوعِ الَّذِي صَاغَهُ مُوسَى فِي أَقْصَرِ وَأَعْرَبِ وَأَقْوَى مَسْرُحِيَّاتِهِ. إِنَّ مَسْرُحِيَّةَ النَّفْسِ (Breath) هِيَ مَسْرُحِيَّةٌ بَدُونِ بَطْلٍ، وَبَدُونِ مُمَثِّلِينَ، وَبَدُونِ كَلِمَاتٍ. تَمَّ تَجْهِيْزُ الْمَسْرُحِ بِكُومَةٍ مِنَ الْخُرْدَةِ. بَيْنَمَا تَزْدَادُ الْإِضَاءَةُ، نَسْمَعُ صَرْخَةَ طِفْلِ وَوَلِيدٍ، ثُمَّ شَهِيْقٍ طَوِيلٍ، يَتْبَعُهُ زَفِيرٌ مَخْنُوقٌ يَنْتَهِي بِحَشْرَجَةِ الْمَوْتِ. إِنَّ أَمَلَ بِيكِيَتِ الْمَرِيرِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقْدِمَ سِوَى صَرْخَةِ وَوَلَادَةٍ ثَانِيَةِ بَيْنَمَا تَخْبُو أَضْوَاءُ الْمَسْرُحِ ثَانِيَةَ. "لِأَنَّ كُلَّ أَيَّامِنَا قَدْ انْقَضَتْ بِرِجْزِكَ. أَفْتَيْنَا سِنِينَ كَقِصَّةٍ" (آية ٩). تَنْتَهِي أَنْفَاسُ حَيَاتِنَا فِي هَذِهِ التَّهْيِيدَةُ.

يَحَاوِلُ الْبَشَرُ أَنْ يَتَّصِلُوا مَعَ الْمَوْتِ. شَرِبَ سَقْرَاطُ الشُّوْكَرَانَ بِهَدْوٍ فِلْسَافِيٍّ، لِأَنَّهُ كَانَ مُحَصَّنًا بِحُجْجٍ لِمُصَالِحِ الْخُلُودِ. وَيَزْرَعُ إِرْهَابِيَّ الْمَوْتِ لِكِي يَحْصِدَهُ، ذَائِقًا كَأْسِ الْإِنْتِقَامِ الْأَكْثَرَ مَرَارَةً. وَيُحَذِّرُ فِيلْسُوفَ فِرُودِيَّ مَشْهُورٍ مِنْ أَنَّ الْخَوْفَ مِنَ الْمَوْتِ هُوَ الثَّمَرَةُ الْمَرْضِيَّةُ لِلْقَمْعِ، فَيَقُولُ: حَرَّرَ الْجَسَدَ مِنْ كُلِّ قَمْعٍ، وَاسْتَجَدَّهُ جَاهِرًا لِمُوَاجَهَةِ الْمَوْتِ مَعَ عَدَمِ وُجُودِ حَيَاةٍ لَمْ تُعْشَ.^{٤٥} لَا تُعْتَبِرُ النَّصِيْحَةُ الْمَعَاكِسَةُ أَقْلًا قَدِيمًا (أَوْ حَدَاثَةً): اجْعَلِ الْجَسَدَ يَمُوتُ بِاعْتِبَارِهِ سَجْنِ النَّفْسِ، وَعَجِّلْ بِالذُّوْبَانِ فِي الْوَعْيِ الْكُونِيِّ. لَكِنَّ رَأْسَ الْمَوْتِ مَا زَالَ ظَاهِرًا وَرَاءَ الْأَقْنَعَةِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي نَصْنَعُهَا. يَجِبُ حَتَّى عَلَى طَبِيبِ عِلْمِ الْمَوْتِ أَنْ يَمُوتَ.

لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمَوْتُ هُوَ الْعَدُوُّ الْأَخِيرُ؛ إِذَا فَهُوَ لَا يَأْتِي كَغَرِيبٍ. فَإِنَّ رُعْبَ الْمَوْتِ الَّذِي نَجْهَلُهُ يَصِلُ إِلَيْنَا فِي عَذَابَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي نَعْرِفُهَا:

كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ، انْفَصَلْتُ كُلُّ عِظَامِي.

صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ؛ قَدْ ذَابَ فِي وَسْطِ أَمْعَائِي؛

يَيْبَسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قَوْتِي؛ وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي؛

وَأَلَى تَرَابِ الْمَوْتِ تَضَعْنِي. (مزمور ٢٢: ١٤، ١٥)

^{٤٥} Norman O. Brown, *Life Against Death* (New York: Vintage, ١٩٥٩), ٣٠٨.

إنَّ معاناة المتألِّم في المزمور تُزيد من تهيدة الإحباط إلى زئير العذاب. ويُعتبر بؤس الإنسان يأسًا هادئًا في أفضل الأحوال. ويُعتبر في أسوأ الأحوال صرخةً من الأعماق.

الإنسان المتمرد

لكنَّ كلَّ آلام الحياة والموت الذي تُظهره لا تملأ في ذاتها كأس بؤس الإنسان. إن السَّمَّ الموجود في كأس الحياة هو دَنْبُنَا نحن. نوح موسى قائلاً: "قَدْ جَعَلْتَ آثَامَنَا أَمَامَكَ، خَفِيَّتِنَا فِي ضَوْءِ وَجْهِكَ". (مزمور ٩٠: ٨)

إذا وقفَ إنسانٌ تحت السماء الخالية، يستطيع أن يتَّخذ وضعيَّة مأسويَّة باعتباره ضحيَّة للموت. يستطيع حتَّى أن يتظاهر أنَّه بطل السخافة، والذي يُعطي معنَى للحياة التي بلا معنى من خلال فعل إرادي. فيصوِّر ألبير كامو (Albert Camus) سيزيف (المُعاقب في تارتاروس) باعتباره بطلًا إنسانيًا، وتحديدًا لأنَّ عمله كان بلا معنى. يُعاني سيزيف للأبد بأن يُدحرج صخرةً إلى أعلى التلَّة، عالمًا أنَّها ستدحرج للأسفل مرَّة أخرى للأبد. يقول كامو: "لا يوجد مصير لا يُمكن التغلُّب عليه بالازدراء". لكنَّ الازدراء الذي يرفع به الرجلُ قبضته نحو السماء الفارغة يُظهر أنَّ السماء ليست فارغة حقًّا. إنَّ حسَّ الإنسان بالمأساة يخونه. إن الإنسان ليس ضحيَّة بل متمردًا. يقف الإنسانُ أمام الله ويقف مكشوفًا أمامه - بصفته خاطئًا. تُبرز قداسة الله ضخامة جرائمنا في حقِّ إخوتنا. في تمرُّده، لا يستطيع الإنسان أن يُشرِّع عقوبات ولا أن يُقدِّس كراهيته في كبرياءٍ قبليَّة أو وطنيَّة. يستطيع أن يعامل نساءه بوحشيَّة وأن يتخلَّص من أطفاله. كتب هيلاريون (Hilarion)، وهو رجل أعمال مسافر في العام الأوَّل قبل الميلاد، رسالةً إلى زوجته في مصر: "إذا حدثتْ صُدفةً وأنجبتني طفلًا، فإذا كان غلامًا فأبقيه، وإذا كانت فتاةً فتخلَّصي منها".^{٤٦}

أمام الله الحيِّ، يُعتبر الزنا نجاسةً، وقتل الأطفال جريمة قتلٍ. إن الكرامة التي تجعل الشخص "إنسانًا" هي انعكاس كونه مُشابهًا لله - أنه مخلوقٌ على صورة الله. من خلال تلك الصورة، يملك الله حق السيادة على كلِّ إنسان. لا يستطيع الإنسان أن يجعل أحدهم عبدًا أو مرهونًا دون أن يتحدَّى ذلك الإنسان خالقه.

عندما سُئل يسوع إذا كان يجوز لليهود أن يدفعوا الجزية لقيصر، طلب أن يرى عملةً رومانيَّة فضيَّة، دينارًا. فُدِّم دينارٌ من محفظة المُمتلئة للمُتسائل. فسأل يسوع: "لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟" فكانت الإجابة: "لِقَيْصَرَ". ثمَّ ردَّ يسوع بسيفٍ ذي حدَّين: "أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ". (متى ٢٢: ١٥-٢٢)

نحن بحاجة إلى التأمل في تعليم الملكوت لهذا المسيا الذي قَنَنَ الضرائب الرومانيَّة. لكننا نحتاج أيضًا بالأكثر إلى التأمل في تصريح الملكوت للوجه الآخر من قول المسيح. مَنْ يحمل صورة الله؟ نحن نحملها. بماذا ندين لله؟ بأنفسنا. إن صورة الله تضع حَنَمَ الله في مواجهة كلِّ استغلال لأخيِّنا الإنسان.

^{٤٦} Quoted in C. K. Barrett, ed., *New Testament Background: Selected Documents* (New York: Macmillan, ١٩٥٧), ٣٨.

لكنها تفعل أيضًا أكثر من ذلك بكثير. فهي تمنعنا من أن نسرق الله عن طريق الامتناع عن تقديم أنفسنا. عندما وصف الرسول بولس إثم الإنسان، بدأ من البداية - بفجورهم. إنهم بلا عذر، لأنهم "لَمَّا عَرَفُوا اللَّهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَالِهٍ، بَلْ حَمَقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْعَبِيُّ". (رومية ١: ٢١)

بطرقٍ عجيبة، يجعل الله حتى غضب الإنسان يُمَجِّدُه (مزمو ٧٦: ١٠). مثلما يشهد حس الإنسان المأساوي لصالح خليقة الله، كذلك يشهد غضب الإنسان لبرِّ الله. حاول أن تسخر من متظاهرٍ غاضب باستخدام المنطق الذي ورائي ما يدعي أنه يؤمن به. أخبره، "حسنًا، لا يوجد إله إذا؛ يُعتبر الإنسان حادثًا كيميائيًا في كونٍ عشوائيٍّ. ما هي بضعة آلاف من الأرواح، أكثر أو أقل؟ ماذا لو أعادت قبلة فجأة تنظيم الجزيئات التي كانت موجودة في لحظة ما على هيئة فتاة صغيرة. وماذا في ذلك؟ لم يتم فقدان أي طاقة."

عندما يدعوك شخصٌ مُلحد بالأحمق أو الوحش، فإنَّ غضبه للبرِّ يشهد لصالح الإله الذي يُنكره. نحن نقيس الصواب والخطأ بمعيارٍ مطلق. إننا عريان إذا كنا لا نرى أن حتمية "الصواب" تُشير إلى ما هو أبعد من رغباتنا أو رغبات الآخرين في أي مكان وفي كلِّ مكان. تصير الأخلاق ذات معنى فقط قدام الله الحي. تُعتبر كلُّ خطيئة في النهاية خطيئة موجَّهة ضدَّ الله. إن أبشع خطيئة هي أصل كلِّ الخطايا الأخرى، أي التمرد على الله. لأنَّ اهتمام الجسد هو عداوة لله (رومية ٨: ٧)، ولا نستطيع أن نرى خطيئتنا على حقيقتها. يقول بولس إنَّ فهمنا أظلم في جهل غلاظة قلوبنا (أفسس ٤: ١٨). ينبع العُنف، والفسق، والطمع، والحسد، والقتل - وكلُّ الانحرافات التي تُسمِّم المجتمع البشري - من كراهية أعمق نُخفيها أو نُنكرها. إننا نكره الله، ونكرهه لأنَّه هو الله: القدوس، والعاقل، والصالح.

إنَّ مقدار قساوتنا هو الذي يجعل كُره الله يبدو أقل الخطايا، بل ربَّما حتى فضيلة: شجاعة بطولية ضدَّ طاغية قدير. عندما ناشد الله شعبه المتمرد في العهد القديم، أظهر كل صور الإيمان المكسور ليوضح بشاعة خطيتهم الفظيعة. كانت إسرائيل تُعتبر كريمةً تحمل عنبًا مرًّا للكرام الإلهي الذي لم يدخر جهدًا في الزراعة (إشعيا ٣: ١١). كان شعب الله ابنًا متمردًا ينقلب على أبيه الذي كان يضمُّه بين ذراعيه ويُعلِّمه المشي (هوشع ١١). وكانت أمة إسرائيل زوجةً زانية تُقابل محبة زوجها المُخلصة بالزنا الصريح (هوشع ٤).

قد نمتلأ بالغضب تجاه جرائم العنف الأناني القاسية المذكورة في الصحف، ولكننا لا نستطيع أن نستوعب شرَّ التمرد الشديد ضدَّ الإله الحي. مع ذلك، يتناسب حُكمنا مع جريمتنا. نزل موسى إلى مستوى أخير في مزموه عن مأساة البشر. لا تتعلَّق مأساة الحياة فقط بزوال أيَّامنا وخطية قلوبنا. لكن يوجد ما هو أكثر من ذلك، لأنَّ خطية قلوبنا مكشوفة أمام عيني الله: "فَدَّ جَعَلْتَ آثَامَنَا أَمَامَكَ، خَفِيَاتِنَا فِي ضَوْءِ وَجْهِكَ" (مزمو ٩٠: ٨). لذلك، "لِأَنَّنا قَدْ فَنِينَا بِسَخَطِكَ وَبِعَصَبِكَ ارْتَعَبْنَا" (آية ٧). "لِأَنَّ كُلَّ أَيَّامِنَا قَدْ انْقَضَتْ بِرَجْزِكَ" (آية ٩). "مَنْ يَعْرِفُ قُوَّةَ عَصَبِكَ؟ وَكَخَوْفِكَ سَخَطُكَ". (آية ١١)

إنَّ مزمور موسى له قرينته في البرية حيث كان محكومًا على جيل من المتمردين بالتجول حتى يفنوا. وهم رافضون أن يصدقوا أن الله سيعطيهم أرض الموعد، فسمعوا كلمة الله للدينونة لتردُّهم ثانية إلى الصحراء. هذه الكلمة لها أصداء في مزمور ٩٠: «تُرْجِعِ الْإِنْسَانَ إِلَى الْغُبَارِ وَتَقُولُ: «ارْجِعُوا يَا بَنِي آدَمَ»». (آية ٣) إن البشر ليسوا خطاة فقط، بل هم أيضًا "أبناء الغضب"، وواقعون تحت حكم الله العادل. يأتي الموت بصفته لعنة: "لِأَنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ" (رومية ٦: ٢٣). "وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ". (عبرانيين ٩: ٢٧)

يبدل الرسول بولس، في الأصحاح الخامس من رسالة رومية، جهدًا كبيرًا ليتتبع مسار الخطية في العالم إلى مصدرها. أينما يأتي الموت، تكون الخطية هي المُدان. يدق ناقوس الموت خلال سلاسل النسب في سفر التكوين، أول سفر في الكتاب المقدس: "ومات... وومات... وومات". إن الذين ماتوا قد أُدينوا بصفقتهم خطاة. قبل أن يُعطى الناموس لموسى، وقبل أن تتمكَّن وصاياه من محاسبة الخطية، كان البشر مذنبين وعرضة للموت.

عند أي نقطة إبدأ، دخلت الخطية إلى العالم، ومن خلالها دخل الموت؟ من الواضح أن ذلك حدث في الخطية الأولى للإنسان الأول، آدم. من خلال خطية واحدة اجتاز الموت إلى كثيرين (رومية ٥: ١٢). وبالطبع، شدَّ بولس على التوازي المرتبط في الخلاص. مثلما جعلت خطية واحدة البشر مذنبين، ويُحاسبون على خطيَّتهم -لأنَّ الجميع أخطأ في آدم (آية ١٢، ١٨)- هكذا أيضًا جلب برُّ شخص واحد التبرير والحياة إلى البشرية الجديدة في المسيح.

قد نحتاج إلى مراجعة منطق الرسول بولس بشكل عكسي. بصفتنا مسيحيين، نفهم أنَّ المسيح كان مُمَثِّلنا الذي وقف مكاننا بصفته رأسًا للبشرية الجديدة. لكن يجب علينا أيضًا إدارك دور آدم الأول بالنظر إلى دور آدم الأخير. إن ذنب ودينونة تعدي آدم يشترك فيهما المُتحدون برأسهم آدم بواسطة القرار الإلهي الخلاق. يموت الجميع في آدم لأنَّ الجميع مذنبون في آدم. إن خطية البشرية كلها ليست نتيجة اعتراضية: إنها نتيجة للسقوط. يرجع حكم الموت على الإنسان إلى تمرده الأول وينمو مع إثمه المُتزايد.

أمام قداسة الله، يصير هلاكنا كاملاً. إننا موتى بالذنوب والخطايا (أفسس ٢: ١). نحن بالطبيعة أبناء الغضب (آية ٣). "الْقَلْبُ أَخَذَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟" (إرميا ١٧: ٩). إن الإنسان ليس بالسوء الذي يستطيع أن يكون عليه، لأنَّ الله يكبح الثوران الجهنمي لفساد الإنسان. مع ذلك، لا ينجو أي جزء من آفة الخطية "لِأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عِدَاوَةٌ لِلَّهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِئَامُوسِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ أَيْضًا لَا يَسْتَطِيعُ. فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللَّهَ". (رومية ٨: ٧، ٨)

علاوة على ذلك، لا يُعد الإنسان الخاطئ مُستعبداً للشّر فقط، بل للشّرير أيضاً. إنه أسيرٌ في فخ الشيطان (٢ تيموثاوس ٢: ٢٦) ويسلك حسب رئيس سلطان الهوَاء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المَعْصِيَةِ (أفسس ٢: ٢). إن البشر الذين خُلِقوا ليكونوا أبناءً لله، صاروا أبناءً للشيطان، عاملين أعمال أبيهم وصار محكومًا عليهم أن يشاركوه دينونته (أفسس ٢: ٢؛ متى ٢٥: ٤١، ٤٦؛ يوحنا ٨: ٤٤).

إنَّ عبودية الإنسان للشّر تجري مثل نهرٍ من النار تحت الأرض عبر تاريخ البشرية. ففي جهلٍ مُتعمَّد، يَخْتَرع الإنسان أوهامه ويدمر نفسه وعالمه في شهوات أوثانه (أفسس ٤: ١٨؛ رومية ١: ١٨؛ ٦: ٢١، ٢٣). لا يستطيع أحدٌ أن يتغاضى عن الشرّ البشري؛ ربّما يستطيع فقط أن يُضيف عليه من خلال التسامح مع أمور باعتباره مُثيرة للشفقة بينما يعلن الله أنها تستحق الدينونة.

غضب الله

لكنَّ الله لا يُشمخ عليه. ما يزرعه الإنسان إياه يحصده. إن التعليم الكتابي بشأن غضب الله يختلف تمامًا عن عجلة القدر الميكانيكية في الديانات الشرقية. فلا يمكن أن يكون الله مُراقبًا مُنعزلًا في عالمٍ روحي يعتمد على السبب والنتيجة حيث تولد الأفعال عواقبها الحتمية. ولا يُعد الله اسمًا فقط لهذه لعملية. إن الإله الحي شخصيٌّ: فهو إله يعلن عن نفسه لشعبه بأنه "بطيء الغضب وكثير الرحمة والحق" (خروج ٣٤: ٦). لا يشتعل غضب الله سريعًا. لا يُعتبر الله "مُنقَمًا" بالمعنى المعتاد للكلمة. مع ذلك، يُعد غضبُ الله غيرًا لعداسته ضدَّ كلِّ خطيئة. يُحذّر كاتب العبرانيين: "إلهنا نارٌ آكلةٌ" (عبرانيين ١٢: ٢٩). إن معرفة الإله الحي الكاشفة هي التي تُدين الخاطئ، لا القدر، أو عملية التناسخ لعجلة السامسارا (samsara).

مع ذلك، لا يستخدم الله ثمار أفعالنا ليدينا. في الواقع، كثيرًا ما يجعل خطايانا ذاتها تُصبح عقابًا لنا. بينما يصف بولس في رومية ١ انغماس الأمم الوثنية في الفساد، يُظهر عدالة الله عن طريق مضاهاة استسلام الإنسان للخطيئة مع تسليم الله له للدينونة. إن كلمات بولس في اللغة اليونانية أكثر حيوية من ترجماتها. لقد أبدل الإنسان مجدَّ الله الذي لا يفنى بالأوثان (رومية ١: ٢٣)؛ "لذلك أسلمهم الله أيضًا في شهوات قلوبهم إلى النجاسة" (آية ٢٤). "فاستبدلوا حقَّ الله بالكذب" (آية ٢٥)؛ "لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان" (آية ٢٦). "وكما لم يستحسنوا أن يُبغوا الله في معرفتهم" (آية ٢٨)، "أسلمهم الله إلى ذهنٍ مرثوض" (آية ٢٨ب). حتى إن ترك الإنسان للعلاقات الجنسية الطبيعية تمت إدانته بترك إلهي لقيود الانحراف (آية ٢٦، ٢٧). إن الإنسان تائه لأنه يرفض الله من أجل رغباته الشخصية. إن تيهانه هو هلاكه حيث يتركه الله لتلك الرغبات. قال سي إس لويس ذات مرّة إنَّ السماء هي المكان حيث يقول الإنسان لله، "لتكن مشيئتك"، والجحيم هو المكان حيث يقول الله للإنسان، "لتكن مشيئتك".^{٤٧} إن هذه ليست الحقيقة الكاملة، ولكنها تُعبّر عن معنى دينونة الله في الترك.

^{٤٧} C. S. Lewis, *The Great Divorce* (New York: Macmillan, ١٩٤٦), ٧٢.

أخيراً، لا بُدَّ أن يَعترف كلُّ خاطئٍ بعدل دينونة الله. تحتوي مسرحية جان بول سارتر (Jean-Paul Sartre) "لا مخرج" (*No Exit*) على الجملة الأكثر اقتباساً، "الجحيم هو الآخرون".^{٤٨} يُصوِّر غرفةً جلوس في الجحيم يُقاد إليها ثلاثة غرباء، رجل وامرأتان. ليس لديهم جفون؛ لا شيء يمكن تغييره أو نسيانه؛ وبما أنهم موتى بالفعل، فالقتل أو الانتحار غير ممكنين. في ضوء هذا السياق، فإنَّ عبارة "الجحيم هو الآخرون" سهلة الفهم! لكن ذروة المسرحية توجد في سطرٍ سابق. فبعد أن جرّدت الأحاديث المريرة الدّعاءاتهم، تمَّ الكشف عن "البطل" جارسين (Garcin)، باعتباره جباناً قد تخلّى عن رفاق فصيلته في الحرب. فيقول إينيز (Inez)، الذي مرَّق بقوة أكاذيب جارسين: "أنت حياتك، ولا شيء غير ذلك".^{٤٩}

"أنت حياتك، ولا شيء غير ذلك." أنت تصرّخ قائلاً: كلاً، أنا لست ما كنت عليه -أنا ما سأكون عليه؛ أنا ما قصدتُ أن أكون. وفي يوم الدينونة، لن تكون النظرة التي ستقف أمامها عارياً هي العين التي بلا جفون لخاطئٍ آخر، بل عيون الله القدير النارية. لن يكون هناك ظلم، بل الحقيقة فقط؛ سيُكشف ما أنت عليه، ولا شيء غير ذلك. "نَعَمْ أَيُّهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ! حَقٌّ وَعَادِلَةٌ هِيَ أَحْكَامُكَ". (رؤيا ١٦: ٧)

عندما ستجتو كلُّ ركبة لله في يوم الدينونة، سينتهي كلُّ التمرد. لن يعترض أيُّ خاطئٍ على حكم الله. إن صرير الأسنان الذي يصفه الكتاب المقدّس من جانب الضالّين للأبد لن يكون صرير أسنان الكراهية والعناد، بل صرير أسنان العذاب والندم.^{٥٠} ونحن الذين ما زلنا نختبر احتماليّات الحياة الأرضية لا نستطيع أن نتخيّل معنى الوجود دون أمل، حيث ذنب تمرد الماضي يختم غضب الله الدائم. حاول مايكل أنجلو أن يصوِّر رعب التيهان، على حائط كنيسة السيستين، حيث يغرق المدان خلف المذبح. مع ذلك، لا يُعد المسيح الديان أو المحكوم عليه الذي يُحدّق باتجاه الخارج من سخام الشمع المشتعل لقرون شخصيات مُقنعة. والأسوأ من ذلك بكثير هي الفظائع البشعة التي صوّرها الرسام هيرونيموس بوس (Hieronymus Bosch). إن معنى الدينونة يجب أن يتمّ تناوله من الداخل لا من الخارج. إن الشخص الذي يرفض ما يُعلّم به الكتاب المقدّس عن الدينونة الأخيرة يجب أن يقف أمام الله، بدلاً من افتراض أنه يستطيع أن يدعو الله إلى المحاكمة. دعه يسأل، أمام الله، "ماذا تستحقّ خطاياي؟" إن العذاب الأعمق للجحيم نفسه هو إدراك أنّ الانفصال الأبديّ عن الله هو ما طلبه الخاطئ واستحقّه.

تستنتج حُجّة بولس الجادة في رسالة رومية أنّ كلَّ البشر واقعون تحت غضب الله لأنَّ كلَّ البشر يستحقّون ذلك. إن شعوب الأمم هم بلا عذر، لأنَّهم تركوا الإله الذي عرفوه. لم يترك نفسه أبداً بلا شاهد، سواء في العالم أو في قلوبهم. إن جهلهم ذاته هو من صنّع أيديهم؛ عبادتهم الزائفة هي من اختراعاتهم

^{٤٨} Jean-Paul Sartre, *No Exit and Three Other Plays* (New York: Vintage, ١٩٤٩), ٤٧.

^{٤٩} *Ibid.*, ٤٥.

^{٥٠} Henri Blocher, "La doctrine du châtement éternel," *Ichthus* ٣٢ (April ١٩٧٣): ٨.

الخاصة؛ رذائلهم المهينة هي بهجتهم المستمرة. ولكن عندما يُدان الأمم من قِبَل الأبرار الذين يعرفون الناموس، يكتب بولس دينونة أشد. لا يُعتبر سامع الناموس مُبِرّاً، بل فاعلوه. إن الإنسان الذي يَعْرِف الناموس ولا يطيعه هو أسوأ من الشخص الذي لم يعرف الناموس أبداً. يُعد استنتاج بولس هو نفس حُكم كاتب المزمور: "أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللَّهَ. لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللَّهِ". (رومية ٣: ١٠، ١١، ١٩ ب)

توجد اليوم أفواه تفتثرت، أفواه لأناس يَلتمسون الأعذار لأنفسهم ويُلقون اللوم على الله، أو يَلتمسون الأعذار لآخرين من أجل نقض حُكم الله. إن العلاج الوحيد لهذا الشخص صاحب ذلك الفم هو الوقوف أمام الله. فإذا رأى الله، سيصرخ مع أيوب: "بِسْمِعِ الْأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالْآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي. لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ". (أيوب ٤٢: ٥، ٦)

رسالة الإنجيل

في وصفي لبعض تعاليم الكتاب المقدس بخصوص ضياع الإنسان، كنت أؤخر الحديث عن السياق الذي نتعلم منه هذه الأشياء. عند النظر إلى الضياع، والموت، والهلاك في حد ذاتهم، سينتهي بنا الأمر إلى تقسيم آيات الكتاب المقدس إلى نصفين. "لِأَنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتٌ" -أجل، يجب أن نعرف ذلك، مع تفجر الخطية في عصرنا هذا- ولكن كيف نتوقف عند "الموت؟" "وَأَمَّا هَبَّةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا". (رومية ٦: ٢٣)

يُعلن الكتاب المقدس عن غضب الله في إعلان رسالة الإنجيل. فلماذا يُصرُّ بولس على أن "الجميع أخطأوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ" (رومية ٣: ٢٣)؟ لأنه يريدنا أن نعلم أن "الله أَغْلَقَ عَلَى الْجَمِيعِ مَعَا فِي الْعِضْيَانِ، لِكَيْ يَرْحَمَ الْجَمِيعَ" (رومية ١١: ٣٢). لاحظ العلاقة بين الإعلان عن برِّ الله في رسالة الإنجيل (١: ١٧) والإعلان عن غضب الله (آية ١٨). لا يُعلن غضبُ الله ببساطة باعتبارها مفهوماً غير زمني للبرِّ القضائي. تُعلن دينونة الله باعتبارها جزءاً من أخبار مقاصد الله وعمله. أنت تسمع ذلك في عظات بولس في سفر أعمال الرسل. إن رسالة الدينونة تدعو الأمم إلى الرجوع من السير في طُرُقِهِمْ (أعمال الرسل ١٤: ١٦)، لأنَّ الله الآن "يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاضِبًا عَنْ أَرْمَنَةِ الْجَهْلِ. لِأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَّهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيْمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ". (أعمال الرسل ١٧: ٣٠، ٣١)

إن حتى تعيين يومٍ للدينونة يُظهر رحمة الله، لأنه يعني أن هناك وقتاً مُعطى للأمم للتوبة. إن الدينونة تعني الرجاء، لأنَّ يوم الغضب هو يوم الخلاص من الظالم. يمكن من خلال الدينونة فقط أن يكون هناك نظام جديد، عالم جديد من البرِّ. ولكن عندما افترض المُتبررون ذاتياً أن يوم الربِّ سيكون يوماً مُشرقاً لهم، حذَّرَهُمُ الرَّبُّ أَنَّهُمْ سِيواجهوا بالضرورة ديَّان الأرض كلها، الذي يصنع عدلاً (عاموس ٥: ١٨-٢٠).

كفـيف يُمكن للكرـازة بالدينونة أن تجلب رجاءً للخطاة؟ لماذا يحتاجون أن يسمـعوا عن خليفة جديدة مُحـررة من الأئين إذا كانوا قد خسروا كلَّ ميراثهم فيها؟ إن الإجابة غير المتوقَّعة لرسالة إنجيل هي أن برَّ الله المطلق يصنع خلاصًا عن طريق انسكاب الغضب. إن بشارة الله هي يسوع المسيح، الذي لا يأتي إلى الأرض مرَّة واحدة فقط بل مرَّتين. سيأتي في النهاية ليُجلب الغضب، بصفته ديَّان كلِّ الأرض. إن مجيء ملكوت الله في قوَّة الاكتمال يعني "استعلان الرَّبِّ يسوع من السَّماءِ مع ملائكة قُوَّته، في نارٍ لهيبٍ، مُعطياً نَقْمَةً لِلَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ، وَالَّذِينَ لَا يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبَّنَا يسوع المسيح، الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلَاكِ أَيْدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّته". (٢ تسالونيكي ١: ٧-٩)

لكن لو كان هذا هو مجيء المسيح الوحيد، لم استطاع أيُّ خاطئ أن ينجو. "وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ؟ وَمَنْ يَنْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لِأَنَّهُ مِثْلُ نَارٍ الْمُحْصِي". (ملاخي ٣: ٢)

حتَّى يوحنا المعمدان، المُنادي بمجيء يسوع، كان لديه صعوبة في هذا الأمر. لقد كرَّر بمجيء المسيَّا بالدينونة، المسيَّا الذي سيُعَمِّد بالنار وسيقطع كلَّ شجرةٍ للشرِّ. عندما صنع يسوع معجزات الشفاء بدلاً من آيات الغضب، وعندما فتح أعين العمي بدلاً من إحضار الظلمة الثقيلة، وعندما أقام الموتى بدلاً من أن يقتل الأشرار، أرسل يوحنا استفسارًا من السجن - السجن الذي لم يُخرجه منه المسيَّا: "أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟" (لوقا ٧: ١٩). فأبقى يسوع تلميذي يوحنا معه بينما كان يُجري المزيد من معجزات الرجاء. وأجاب يسوع وقال لهُمَا: "أَذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوْحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا: إِنَّ الْعُمَى يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يَطْهَرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ". (آية ٢٢)

تـعكس إجابة يسوع نبوَّة إشعيا ٣٥: ٥-١٠، بخصوص وعد ببركات التجديد في ملكوت الله للخلاص. ولكن كيف يُمكن أن تأتي البركة دون دينونة؟ أيُّ رسالة إنجيل توجد للفقير إلى أن يُدان من استغلَّه واضطَّهده؟

قال يسوع ليوحنا: "طُوبَى لِمَنْ لَا يَعْثُرُ فِيَّ" (لوقا ٧: ٢٣). تُقدِّم لنا الإجابة التي انتظرها يوحنا بإيمانٍ في رسالة الإنجيل. لم يأت يسوع أوَّلًا ليحمل فأس الدينونة بل ليتحمل ضربة الموت. إن المسيح، الديَّان الذي يجب أن يدوس معصرة خمر غضب الله، حمَلَ بنفسه غضب الله وشرب الكأس من يد الله. نن خَاصْنَا بِدَمِهِ مِنَ الْغَضَبِ مِنْ خِلالِ الْإِيمَانِ بِهِ (رومية ٥: ٩). لقد جُعِلَ المسيح خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، وَحَمَلَ اللَّعْنَةَ مِنْ أَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بَرًّا اللهُ فِيهِ. يكون الله بارًّا حينها فقط، بل ويُبَرِّرَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْمَسِيحِ (٣: ٢٦).

وعظ بولس عن برِّ الله المُعْلَن - البرِّ المُعْلَن في غضب الله ضدَّ الخطيئة؛ والبرِّ المُعْلَن بصفته عطية الله بالنعمة - البرِّ المُعْلَن في مجيء المسيح الأوَّل والثاني. لأنَّ غضب الله ضرب ابنه في الجُلجثة، سيظلُّ ذلك ماضيًّا إلى الأبد للذين اتَّحدوا بيسوع المسيح. تدعونا رسالة الإنجيل إلى الصليب، حيث ابتلعت المحبة غضبَ الله، وحيث تقابلت النعمة مع العدل.

هل غضب الله شديد جدًا؟

هل غضب الله شديد جدًا، هل قداسته قويّة جدًا، هل دينونته ثقيلة جدًا؟ إنَّ مقدار محبّة الله يشمل حقيقة غضبه. لا تُقَلُّ للآبِ إنَّ غضبه عظيم جدًا عندما يجب أن يوجّه هذا الغضب تجاه ابنه الحبيب!

كم يُحِبُّ الآبُ ابنه؟ إن الابن الذي كان في حضن الآب قبل أن يُخلَق العالم... الابن، البكر، الذي قال الله عنه، "أنا أكون له أبًا، وهو يكون لي ابنًا"، كان يُصَلِّي في بستان جثسيماني قائلاً: "أيُّها الآب، مَجِّد اسمك!" كم يُحِبُّ هذا الآبُ الابنَ في الجلجثة حيث أخذ الكأس وأطاع حتّى الموت؟ (عبرانيين ١:

٥)

لقد فرَّ معظم تلاميذ يسوع. مع ذلك تَرَكهم له لم يكن سبب صرخته. لقد صرَخ بصوتٍ عالٍ قائلاً: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" كانت هذه هي الكأس التي يجب أن يشربها - كأس غضب الله. لم تكن دينونة الله بمثل هذه الشدّة من قبل؛ لقد كانت كأس اللعنة عقوبةً للتمرد، والتجديف، والخيانة، والقتل - كل دم كراهية الإنسان لله. احتمل يسوع دينونة الله، وهو مُدانٌ ظلمًا من الناس. إن الذي لم يفعل أيّ خطيئة، أخذ مكانَ الذين يستحقُّون العقوبة التي حملها. أحاطت شدّة غضب الله الكاملة على الصليب، غضب الدينونة، معاناة ابن الله بالظلام. لقد ترك الآبُ ابنه. لقد بدَّله. لا عجب أن الشمس حُجِبَت والأرض تزلزلت. فقال قائد المئة عند الصليب: "حقًا كان هذا ابن الله!"

هل أحبَّ الآبُ عالمَ الخطاة أكثر من محبّته لابنه؟ إن لغز الجلجثة هو أن الله أحبَّ العالمَ حتّى بدَّل ابنه الحبيب. نَسْتَطِيع فقط أن نستخدم اللُغَةَ البشريّة، ونقول إنَّ الآب لم يُحِبَّ الابن قطُّ أكثر ممَّا أحبّه عندما بدَّله على الصليب. لقد ظهرَ بدَّلُ الآب في بيت لحم، ولكن بشكلٍ كامل في الجلجثة. إن كان الله معنا، فمن علينا؟ إن كان الله بدَّل ابنه لأجلنا، فما الذي يمكن أن يحبّه الله عنّا؟ في الحقيقة، كانت العطية في قلب الآب قبل تأسيس العالم. لا يقول نص يوحنا ٣: ١٦: "هكذا أحبَّ الله ابنه حتّى أنه أعطاه العالمَ." هذا صحيحٌ، ولكن الحقيقة الأكثر إذهالًا هي أنه هكذا أحبَّ الله العالمَ حتّى بدَّل ابنه الوحيد. إن مقدار محبّة الله هو أنه لأجل عالم الخطاة الضالِّين الذين كانوا قبالاً أعداءً له، بدَّل الآبُ ابنه، وببدِّله ابنه، قدّم نفسه.

نعم، أنت لديك شكوك؛ ولديك مخاوف. وأحيانًا ما تكون في حيِّرة. لكن، اذهب إلى أعماق شكوكك واجمعها كلّها؛ خذ مشكلاتك غير المحلولة، وكلَّ أسئلة لماذا التي تأتي من تأمُّ قلبك، وأسئلة لماذا التي تتبع من المآسي الكبيرة، أسئلة لماذا التي تتبع عندما لا تفهم. أحضر فقط كلَّ أسئلة لماذا التي لديك، وكلَّ تساؤلاتك، إلى الله.

لكن تعال إلى هناك لتبقى. تعال لتشهد يسوع المسيح. تعال هناك لتستمع بينما يصرخ الإله المتجسد في طبيعته البشرية قائلاً: "لماذا؟" ثم لا تقل إنَّ غضب الآب ضدَّ الخطيئة شديدٌ جدًّا.

يتساءل موسى في مزمور ٩٠ قائلاً: "مَنْ يَعْرِفُ قُوَّةَ غَضَبِكَ؟" (آية ١١). نحن نعرف الإجابة. عَرَفَها يسوع المسيح من خلال قُوَّة الآب، لأنَّه حملَ هذا الغضب. يجب علينا أن نُعلن أنَّ غضب الله حقيقيٌّ، لأنَّ الله عادل، ونحن خطاة آثمين. لكننا نُعلن دينونةَ الله في رسالة الإنجيل. مجدًا لله. إننا نُعلن ذلك في اسم يسوع.

يُنَاشِدُكَ بولس بالألا تستهين بالجلجثة،

"أَمْ تَسْتَهِينُ بِغَيْ لُطْفِهِ وَإِمَهَالِهِ وَطُولِ أَنْاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ فَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ، تَذَخَّرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ... فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللَّهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي بِيَسُوعِ الْمَسِيحِ".
(رومية ٢: ٤، ٥، ١٦)

لا، بل بالأحرى، دَعُ جديفة غضب الله المقدَّس عند الجلجثة تَفْتَحْ عَيْنِكَ على عجائب محبَّته:

من لا يعرف الحبَّ، فليُجَرِّبْ

ويتذوَّقْ ذلك العصير، الذي على الرمح بجانب الصليب

هل سَكَبَ منه مرَّةً أُخرى؛ إذا دعه يخبرنا

إذا كان قد تذوَّقَ مثل ذلك أبدًا

إن الحبَّ هو ذلك المشروب الحلو والإلهي،

ما يَشْعُرُ به إلهي كالدَّم؛ أدوِّقه أنا كالنبيذ.^{٥١}

^{٥١} George Herbert, "The Agonie," in *The Works of George Herbert*, ed. F. E. Hutchinson (Oxford: Clarendon, ١٩٤١), ٣٧

الإيمان بالسَّمع:

رَبُّ الكَلِمَة

"الإيمان بالرؤية." إن هذا المثل القديم له معنى جديد غريب في عصر الواقع الافتراضي. تستطيع التكنولوجيا الرقمية الآن أن تُقدِّم بيئةً أخرى للاعبين، وأن تُقدِّم بدايةً "للميتافيرس" (Metaverse)، وهي "شبكة انترنت ثلاثية الأبعاد ذات سرعة عالية، حيث تتفاعل الشخصيات الرقمية البديلة للأشخاص، التي تُسمَّى بالصور الرمزية (Avatars)، في مدينة افتراضية عملاقة."^{٥٢} إن العالم الرقمي الافتراضي هو فعلاً تحت الإنشاء، وبالنسبة إلى مدمني الألعاب فربما يُصبح ذلك أكثر من مجرد واقعهم البديل.

كم لعب إريك هاريس (Eric Harris) وديلان كليبولد (Dylan Klebold) ألعاب الفيديو العنيفة لدرجة أنهما قتلا زملاهما في المدرسة ثم أنفسهما في مدرسة كولومباين الثانوية في ليتلتاون، في ولاية كولورادو؟ في ذلك الوقت، حذر الرئيس كلينتون كثيرًا من تأثير مثل هذه الألعاب.

إن الصور تُشكّل وتقود ثقافتنا. بدأنا أيضًا في أن نرى الفرق الذي تصنعه الصور عندما يغيب الله عن تفكيرنا. يبدأ الواقع نفسه في الذوبان. ولا يحلُّ بدلاً منه مجرد تخيلات بل الواقع التفاعلي للعالم الافتراضي الذي يتف مستعدًا لأن يُسيطر.

ترتكز خرافات عصر ما بعد الحداثة على الاقتناع بأن الصورة تساوي ألف كلمة. توحى عبارة "الإيمان بالرؤية" بأن الرؤية أفضل من السَّمع. في كتاب رائع بعنوان إذلال الكلمة (The Humiliation of the Word)^{٥٣} يربط جاك إيلول الرؤية والسمع بالتصديق. يرى أن إعلان الكلمة تمَّ استبداله بالليتورجية في الكنائس التقليدية وبالمسرحيات الدعائية في الحركات الإنجيلية. استند إلى اللغة، لا مجرد الرؤية بالعيون، باعتبارها ما يُميِّز البشر. إن اللغة أكثر من مجرد إشارات حسية للنمل أو رقصة بصرية للنحل. إنها ليست أكثر تعقيدًا فحسب، ولكنها مختلفة، وذلك لأنه رمزية ونظرية. يصف إيلول الرؤية بأنها فورية، وتضعنا في واقع مكاني، ولكنها تنقر إلى المغزى. على الناحية الأخرى، تتضمن الكلمات الزمن. يتدقق المعنى من نبع الكلمات. تُوصِّل الرؤية الواقع؛ تُوصِّل الكلمات الحقيقة.

^{٥٢} Jason Fry describes the world of *Snow Crash*, a 1992 novel by Neal Stephenson, in "Novel Ideas," *Wall Street Journal*, November 16, 1998, R10. Stephenson has updated with a new novel, *Cryptonomicon* (New York: Avon, 1999).

^{٥٣} Jacques Ellul, *The Humiliation of the Word* (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1985).

يهاجم إيلول وثنية الصور، والواقع البديل التي تصنعه. إن إعلانات التلفزيون بأسلوب ما بعد الحداثة تُومض صورًا بلا كلمات، أحيانًا بمعدّل صورتين أو ثلاث في الثانية. إن هذه الصور المُبعثرة والموسيقى المشوّشة تُذيب كلّ الاستمرارية في نبضٍ لصور متغيّرة الألوان. يبدو أن مُقطّعات الصوت وومضات الفيديوها حلتّ مكان الخطابات المُملّة "للرؤوس الناطقة".

يقول هنري جرانوالد (Henry Grunwald)، المحرّر السابق لمجلة تايم (Time): "إننا غارقون في الصور".^{٥٤}

ما هو موقف الواعظ الآن؟ يطرح ديفيد شورينجا (David Schuringa) التساؤل في أطروحته للدكتوراه، التي بعنوان سماع الكلمة في عصر مرئيّ (Hearing the Word in a Visual Age).^{٥٥} ويُظهر بحثه أهميّة سماع الكلمة في العهدين القديم والجديد. يبدو أنّ الأذن، وليس العين، هي البوابة لاستقبال الإعلان الإلهيّ. مع ذلك، يعترض على تفسير الوصيّة الثانية بحيث يُنظر "للمرئيات باعتبارها سرًا". يُذكّرنا بأنّ الكتاب المُقدّس يتحدّث عن الإعلان الذي من خلال الرؤية وكذلك من خلال السمع. يُجادل بأنّ الوعظ يجب أن يأخذ الآن في الاعتبار "التحوّل المعرفيّ" الحاليّ في علوم الاتّصالات. إن المعنى يتمّ تحليله الآن، لا من حيث قصد الراسل، بل من حيث المعنى الذي أعطاه المُستقبل للرسالة.

إن هذا التحوّل ليس حديثًا للغاية. لسنواتٍ عديدة، ظلّ المشاركون في دراسات الكتاب المُقدّس، الذين لم يسمعوا قطّ عن علم العلامات أو علم التفسير، يتحدّثون عن "ماذا يعني هذا المقطع لي؟" ويتحدّث دونايد كارسون، في كتابه إسكات الله، (The Gagging of God) كلاً من النظريّات السائدة حول التفسير والممارسة الشائعة المتمثّلة في فهم الكتاب المُقدّس على أنّه يعني أي شيء تُريده. في حكمه، لم يبدأ بأساليب تفسير الكتاب المُقدّس بل بدأ بالله الذي يتحدّث في الكتاب المُقدّس. ويجب أن تكون هذه نقطة البداية في فهمنا لمهمّة الواعظ.^{٥٦} مع ذلك، يُقبل شورينجا شيوع الفهم النسبيّ للمعنى من جهة السامع المعاصر، ويُفضّل نموذج كنيسة ويلو كريك (Willow Creek Church) للعبادة والوعظ. يجد فيه مزيجًا بين المؤثرات المرئيّة والدراميّة مع الوعظ بالكلمة.^{٥٧}

^{٥٤} Henry Grunwald, "The Power of the Word," *Wall Street Journal*, May ١٩, ١٩٩٩, A٢٠. Grunwald is the author of *Twilight: Losing Sight, Gaining Insight* (New York: Knopf, ١٩٩٩).

^{٥٥} H. David Schuringa, "Hearing the Word in a Visual Age: A Practical Theological Consideration of Preaching Within the Contemporary Urge to Visualization," Th.D. diss, Theologische Universiteit van de Gereformeerde Kerken, Kampen, The Netherlands, ١٩٩٥.

^{٥٦} Donald A. Carson, *The Gagging of God: Christianity Confronts Pluralism* (Grand Rapids, Mich.: Zondervan, ١٩٩٦).

^{٥٧} Schuringa's dissertation reports accurately the Reformed and biblical emphasis on the preaching and hearing of the Word of God. He provides valuable research on the issue of hearing and seeing, especially from sources in the Dutch language.

يتحدّث الكتاب المقدّس فعلاً عن إعلان الله بمصطلحات الرؤية وكذلك السمع. وبينما يُقلّل إيلول من التركيز على الظهورات الإلهية ليدافع عن سماع الكلمة، فإنّه أيضاً يهدف إلى تحقيق توازن أساسي، إذ يُعطى الإعلان الكامل لله في المسيح يسوع.

في الواقع، إنّ الإله الحيّ إلهٌ غير لا يُعبَد على طريقتنا الشخصية. إنه يُعرف قلوب عابدي الأوثان أكثر ممّا يعرفونها هم. لماذا إذاً يصنع صوراً للكروبيم على غطاء تابوت العهد؟ ربّما بشكلٍ جزئيّ لِيُظهر الفراغ بينهما. تستطيع سحابة المجد فقط أن تستقرّ هناك. إن الله الذي خلق الإنسان على صورته سوف يتجسّد في شخص ابنه. إن العرش محفوظٌ ليسوع، صورة الله غير المنظور (كولوسي ١: ١٥)، "فإنّه فيه يَحِلُّ كُلُّ مِلءِ اللاهوتِ جسدياً" (كولوسي ٢: ٩). يغار الأب على إعلان ابنه. لا يمكننا إعادة تصوير هيئة يسوع في فيلم. إذا كان الممثل الذي يقوم بدور يسوع يستخدم كلماته، فإنّ تلك الكلمات لا تزال تتمتع بالسلطان والقوّة، ولكن وجه الممثل ليس وجه يسوع. إن كلّ شيء في التعبير عن يسوع كان إعلاناً، وبخصوص هذا الإعلان لا يزال الأب غيراً.

أعطى بطرس ويعقوب ويوحنا تدوفاً مبدئياً لمجد الربّ يسوع. رأوا على جبل التجليّ مجد ربّ السماء. تحقّقت هناك ذروة رؤيتهم وسمّهم. ويخبرنا بطرس في رسالته الثانية قائلاً: "لأنّنا لم نَسْبِغْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لِأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللَّهِ الْآبِ كِرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهَذَا مِنَ الْمَجْدِ الْأَسْنَى: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرَرْتُ بِهِ». وَنَحْنُ سَمِعْنَا هَذَا الصَّوْتِ مُقْبِلًا مِنَ السَّمَاءِ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ". (٢ بطرس ١: ١٦-١٨)

كان يسوع قد انسحب من بين الجموع مع تلاميذه، ليأخذهم إلى أقصى الشمال إلى قيصريّة فيلبس. وسألهم: "مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الْإِنْسَانِ؟" (متّى ١٦: ١٣). وعندما طلب منهم يسوع جواباً أفضل، قال بطرس: "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!". (آية ١٦)

لقد ذهب اعتراف بطرس إلى ما هو أبعد من الآراء الإطرائية الحالية، وذهب في الواقع إلى ما هو أبعد من بطرس نفسه. لقد كان الأب السماويّ هو من أعلن لبطرس عمّن كان يسوع ومّن يكون. وبواسطة هذا الإعلان، تحدّث بطرس عن الحقّ الإلهيّ. مع ذلك، حتى بطرس كان يجب توبيخه عندما حاول أن يمنع يسوع من أن يذهب إلى أورشليم، لا ليغزو بل ليموت. لم يُرد بطرس أيّ صليبٍ ليسوع ولا لنفسه. على الرغم من توبيخ بطرس الصارخ للربّ، استسلم بطرس لتوبيخ الربّ له. بقي بطرس مع يسوع، وكذلك بقي يسوع مع بطرس. لقد تبع بطرس والآخرين يسوع إلى أورشليم، مع أنّه قال إنّهُ سوف يموت هناك. على الرغم من رؤية وسمّ بطرس بشكلٍ يوميّ ليسوع، فإنّ هذا في حدّ ذاته لم يُنتج الإيمان الذي اعترف بأن يسوع هو الله. فلقد أتى هذا الفهم من الأب. بعدها فقط، رأى بطرس مجد الربّ الذي اعترف به. لم يُصدّق بطرس لأنّه رأى مجد المسيح. بل أصبح شاهداً لهذا المجد لأنّه آمن بالمسيح.

وتُظهر لنا حادثة التجلي الأهميَّة القصوى لِسَمَعِ كلمة الربِّ. لقد شعرَ بطرس ويعقوب ويوحنا بالنعاس بعد أن أُنهوا تسلُّقَ جبلِ حرمون الطويل مع يسوع.^{٥٨} انشغلَ الربُّ هناك في الصلاة، في حين أنهم هم ناموا. قام نورُ المجد المُتَجَرِّ بِإيقاظهم في رهبة. لم يتدقَّقَ النور من سحابة المجد، بل من وجه يسوع. إن ذلك الوجه المألوف أصبح الآن مُشِعًا بروعةٍ سماويَّة. رأوا يسوع مثلما لم يروه من قَبْل، رأوه في مجده: الله الابن المُتَجَبِّد. لقد رأوه يتحدَّث إلى موسى وإيليا، اللذين عرفوهما بطريقةٍ ما.

كان هذان هما موسى وإيليا، لا من الماضي، بل من السماء! لا عجب أن بطرس اقترحَ صنْعَ ثلاث مظالٍ، ليسوع أولاً، ثم لموسى وإيليا. لقد أتت السماء على الأرض. لم يتشكَّك أحدٌ في مجيء الملكوت، لأنَّ ملكوت السماوات كان حاضرًا على قَمَّةِ الجبل. لم يكن إيليا، المُنادي بالأخبار، هناك فقط لكي يُبشِّرَ بمجيء المسيح، بل ليقف بجواره في مجدٍ. لقد كان موسى وإيليا في محضر الربِّ على قَمَّةِ الجبل. والآن يقفان، لا على جبل سيناء أو حوريب، بل على جبل حرمون. وحيث كان يسوع، هناك نَزَلَ مجدُ السماء. هل رأى بطرس الجموع من الجليل يرتحلون إلى جبل حرمون لينظروا المجد؟ كان ذلك المنظر بالتأكيد سيُنهي كلَّ شكِّ.

إن نفس السحابة التي غطَّت موسى على جبل سيناء، غطَّت بعدها بطرس ويعقوب ويوحنا في خوفٍ. فسَمِعوا، مثلما كان موسى قد سَمِعَ، الصوتَ يتحدَّث من السحابة. إنَّ صوتَ الله لم يُكرِّر كلمات الوصايا العشر. فلم تكن هناك عشرة وصايا، بل واحدة. وكذلك لم يُكرِّر الله الوعود لإيليا التي سَمِعها على جبل حوريب، هامسًا بكلمات أكثر مهابة من الريح التي شَقَّت الصخور. كلاً، بل نطقَ الصوتُ من السحابة بوصيَّة واحدة: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا" (لوقا ٩: ٣٥). لم يُقل انظروه في مجده، بل اسمعوا له. اسمعوا له وهو يتحدَّث مع موسى وإيليا عن خروجه العتيد أن يتِمَّ في أورشليم.

اسمعوا له: النبيُّ الآتي بِمجدٍ

اسمعوا له، فهو نبيُّ المجد. لم يكن هناك أيُّ نبيٍّ آخر مساوٍ لموسى. لم يتحمَّلَ شعب إسرائيل، المجتمعون تحت جبل سيناء، أن يسمِعوا صوتَ الربِّ: "تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَع. وَلَا يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلَّا نَمُوتَ" (خروج ٢٠: ١٩). وبينما وقفَ الشعبُ بعيدًا، صعدَ موسى إلى الجبلِ إلى كثافةِ ظلمةِ السحاب حيث كان الله (الآيات ١٨-٢١). دخل هناك في السحابة واستقبلَ كلمةَ الله (خروج ٢٤: ١٦-١٨). وتحدَّثَ اللهُ مع موسى "فَمَا إِلَى فَمٍ وَعَيَانًا، لَا بِالْأَلْغَازِ. وَشِبْهَ الرَّبِّ يُعَايَنُ". (عدد ١٢: ٧، ٨)

^{٥٨} بما أنه كان جبلاً عاليًا، وبما أن يسوع يسوع إلى منطقة قيصرية فيلبس، فإن جبل حرمون يُفترض أن يكون هو مكان التجلي.

أدانَ إرميا لاحقًا الأنبياءَ الكذبة الذين تظاهروا بأنهم يتكلمون نيابةً عن الله وكأَنهم واقفون في مجلس القدير ذاته (إرميا ٢٣: ١٨، ٢٢). إن النبي الحقيقي يتكلم من فم يهوه. تُعتبر هذه الكلمة مؤكدة على الأرض مثلما هي مؤكدة في مجلس السماء (آية ١٦).

مع ذلك، في حين أننا قد نجد بحق في نبوة موسى تصريحًا عن الأنبياء الآخرين الذين كانوا سيأتون، لكن كلماته كانت بصيغة المفرد. سيأتي نبي واحد، الذي له يجب أن يسمع الشعب (تثنية ١٨: ١٨).

كان مجد يسوع على قمة الجبل أعظم من مجد موسى، مثلما أن الابن في بيت الله أبوه أعظم من خادم في البيت. إن الله الذي تكلم في الماضي بأنواع وطرق كثيرة، كَلَمْنَا في هذه الأيام الأخيرة بشكل كامل ونهائي في ابنه (عبرانيين ١: ١، ٢). إن يسوع هو التحقيق لكل ما وَعَدَ به الأنبياء. ولم تكن رسالة الأنبياء فقط عنه، بل كانت منه، لأن روح المسيح هو روح النبوة (١ بطرس ١: ١١؛ رؤيا ١٩: ١٠). تَكَلَّمَ ابْنُ اللَّهِ بكلمة الله الأخيرة، وهو نفسه الكلمة الأخيرة لله. ما تَكَلَّمَ به أَدَّه هؤلاء الذين سَمِعُوهُ، "شَاهِدًا اللَّهُ مَعَهُمْ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَقَوَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، حَسَبَ إِرَادَتِهِ". (عبرانيين ٢: ٤)

يوجد شخص واحد يستطيع أن يُحقق على الأرض كل مقاصد التالوث. إن ابن الله، الذي هو في حضن الأب منذ الأزل، رأي الأب في طبيعته الإلهية (يوحنا ٦: ٤٦). يتحدَّث الابن ويفعل الأشياء التي رآها وسمِعها مع الأب. يستطيع وحده أن يُعلن عن الأب، مثلما يستطيع الأب فقط أن يُعلن عنه. لو كان خصوم يسوع يؤمنون بكتابات موسى، لكانوا آمنوا بكلمات يسوع، لأن موسى كتب عنها، لا في نبوة واحدة صريحة، بل في كل التوراة (٥: ٤٥-٤٧).

تحدَّث موسى مع يسوع على جبل حرمون عن تقديمه لنفسه في أورشليم. تذكَّر موسى جيّدًا اليوم الذي أقام فيه إسرائيل دعوى عهدية ضدَّ الربِّ، متهمين إِيَّاهُ بأنَّه تركهم ليموتوا عطشًا في البرِّيَّة (خروج ١٧: ١-٧).^{٥٩} لقد وضعوا الله في محاكمة. وبأمر الربِّ، أخذ موسى عصا الدينونة، واستدعى الشيوخ كشهود، وذهب لينظر في القضية عند الصخرة. وظهر الربُّ هناك، أي الأفتنوم الثاني في التالوث، على الصخرة في سحابة المجد. وقف الربُّ أمام موسى، مثل مجرمٍ مُدان في قفص الاتِّهام، ورفَع موسى عصاه ليضرب. لم يجرؤ أن يضرب المجد الذي ظهر به الربُّ؛ قيل له أن يضرب الصخرة التي كان الربُّ واقفًا عليها، التي ارتبط وجوده بها. وفي ترنيمات موسى، سمَّى الله بالصخرة، "إِلَهُ أَمَانَةٍ لَا جَوْرَ فِيهِ. صَدِيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ" (تثنية ٣٢: ٤). وفي رمز الصخرة الذي كان هو اسمه، أخذ الربُّ الضربة التي استحقَّها شعب إسرائيل. ومن الصخرة تدفَّق ماء الحياة للشعب المتمرد. كتَبَ بولس قائلًا "لأنَّهم كانوا يشربون من صخرة رُوحِيَّةٍ تابعتهم، وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ!". (١ كورنثوس ١٠: ٤)

^{٥٩} تُشير كلمة "مريبة" (خروج ١٧: ٧) إلى قضية. هذا هو استخدام كلمة ريب (*rib*)، التي هي جذر كلمة مريبة. إن كلمة مسَّة (*Massah*)، التي أُستخدمت مع مريبة في آية ٧، تتضمن هنا أيضًا مشهدًا قضائيًا للتجريب، أو الإحضار للمحاكمة.

لم يتحدث موسى مع يسوع عن رمزية الصخرة المضروبة، بل عن حقيقة الكفارة النهائية. كان لا بُدَّ أن ينزل يسوع من على جبل حرمون ويصعد إلى تلّ الجلجثة. وقال الصوت الآتي من السحابة ببساطة: "له اسمعوا!"

نعم، لا بُدَّ أن يتبعه تلاميذه. فهم سيكونون شهودًا لكلِّ ما صنعه لأجلنا. ولكن لمعرفة ما صنَّع، يجب أن نسمعه يُخبرنا مغزى عمله. إنَّ عدم الإيمان دائمًا ما يتجاهل كلمات يسوع. بالنسبة للسمع المرتبط بالإيمان الذي يبيّن *notitia* ("المعلومات" أو "الحق")، يضع عدمُ الإيمان محلّها أفكارَ الإنسان التي تختلق الخطأ؛ بالنسبة ليقين الإيمان المُعبّر عنه في القبول *assensus*، يتجه عدمُ الإيمان نحو الحقيقة الافتراضية للهوهم؛ بالنسبة للالتزام بالإيمان الموجود في *fiducia* ("الثقة")، يُستعبد عدمُ الإيمان لعبادة الأوثان.

إنَّ مجد الله الابن سيرتفع إلى ما لا نهاية، فوق أعلى جبل على هذا الكوكب الصغير. وعلى عرش مجده في سماء السماوات، سيكون اسمه فوق كلِّ اسم. سينادي السيرافيم قائلين، "قُدّوس، قُدّوس، قُدّوس، ربُّ الجنود"، لأنّه مثلما يُخبرنا يوحنا، فإنَّ إشعياء، في رؤياه للهيكَل، رأى مجده، وتكلّم عنه (يوحنا ١٢: ٤١).

مع ذلك فإنَّ ربَّ المجد لا بُدَّ أن ينزل من جبل حرمون مع بطرس ويعقوب ويوحنا، لأنّه لا بُدَّ أن يُتمَّ خروجه في أورشليم.

اسمعوا له: الكاهن الآتي بمجدٍ

اسمعوا له، فإنَّ كاهنكم هو وسيط أعظم من موسى. تضرّع موسى لله لكي يعفو عن إسرائيل. وصلّى طالبًا أنّه إذا أهلك الربُّ في دينونته المتمرّدين، فليمخُ اسمُ موسى كذلك من سفر الحياة. لكنَّ يسوع فعل أكثر من مشاركتنا في هلاكنا؛ لقد خلّصنا عندما حملَ خطايانا في جسده على خشبة الصليب.

لكي نتذكّر رُفة وحنان رئيس كهنتنا، يجب أن نأخذ في عين الاعتبار خبرة المجد الذي ذاقه يسوع عندما صلّى وهو مُثبّت وجهه نحو أورشليم (لوقا ٩: ١٥). لقد كان ذلك مجده الخاص الذي عرفه واختبره مع الأب. لقد غمرَ هذا المجدُ كيانه وسطعَ من وجهه. كان يُمكنه بالتأكيد أن يعود إلى ذلك المجد مع موسى وإيليا! كانت هناك مركبة نارية تحت أمره. هل كان بحاجة إلى النزول إلى الوادي مرّة أخرى، ليتحمّل تلاميذه العاجزين الذين لم يستطيعوا إخراج شيطانٍ؟ لقد أراه إبليس مجدَ ممالك العالم، ولكن على جبل التجلّي ذاق يسوعُ مجدَ ملكوت السماوات. لم يُعطى له هذا المذاق لإغرائه بل لتقويته. نعم، كان لا بُدَّ أن ينزل. لم يكن يستطيع أن يصعد مع موسى وإيليا، لأنّه إن لم ينزل، لن يستطيعا هما أن يصعدا. ولن يكون هناك أيُّ مجدٍ لهما. لقد تحدّثا مع يسوع عن الذبيحة التي كانت هي رجاءهما ورجاء كلِّ شعب الله أيضًا. لقد تقوى يسوع في الصلاة، وانتعش بالمجد ليتمنطق من أجل آلام اللعنة التي على الخطاة الضالّين الذين

كان ينبغي أن يموت لأجلهم. لقد ذاق موسى وإيليا، على جبل حرمون مع يسوع، مجداً أعظم من أيّ مجدٍ عرفاه من قبل. ومن مصر دعا الله ابنه.

كلاً يا بطرس، لا تحاول أن تُقيم ثلاث مظال، لأنّ الخيمة الحقيقيّة والنهائيّة نُصِبَتْ الآن. "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ [حَيْمٌ]"^{٦٠} وَيُنِنَّا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لَوْجِدِ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً" (يوحنا ١: ١٤). وعندما عاد موسى وإيليا إلى المجد، لم يبق إلا يسوع وحده مع بطرس ويعقوب ويوحنا. ولم يكن هناك أحد آخر صالحاً كفاية ليدفع ثمن الخطيئة. إن يسوع هو الكاهن والذبيحة. الذي مرّة واحدة، عند انقضاء الدهور، أبطل الخطيئة بذبيحة نفسه (عبرانيين ٩: ٢٦؛ ١٠: ١٢). لقد أخطأ موسى عندما ضرب الصخرة مرّة أخرى لإخراج الماء. كان يمكن أن تنزل تلك الضربة مرّة واحدة فقط على يسوع، الذي صار خطيئة لأجلنا.

اسمعوا له: ملك المجد

اسمعوا له، ملك المجد. عندما تشقّع موسى لأجل خطيئة إسرائيل مع العجل الذهبي، لم يستطع أن يُقدّم أيّة أعدار، ولا تعهدّ بأداء أفضل سيُقدّمه شعب إسرائيل. لم يكن بوسعهِ إلا أن يتوسّل أن يسكن الربّ وسط شعبه في مسكنه، وأن يُظهر مجده. لقد تراجع الشعب أمام المجد الذي كان ينعكس من وجه موسى. لكن على جبل التجليّ، رأى موسى على الأرض مجدّ الله، لم تكن لمحّة من ظهر الربّ عابراً حول نُقْرة في الصخرة، بل المجد الكامل غير المنعكس لوجه ابن الله المتجسّد.

انتصر إيليا على كهنة أنبياء البعل على جبل الكرمل عندما نزلت نار من السماء. ومع ذلك، هرب في ضعفٍ مميتٍ من غضب الملكة إيزابل. واشتكى من أنّه بقي وحده من بين جميع الأنبياء، وكان على وشك الموت. فأعلن الربّ مقاصده لإيليا بصوته الهامس. لم يكن بمفرده، فأليشع كان قد تمّ اختياره بالفعل. تقابل إيليا الآن مع الربّ، وسمع صوته، صوت الآب متكلماً من السحابة، وصوت الابن، ملك المجد. سيكون يسوع بمفرده، لأنّ بطرس ويعقوب ويوحنا سينامون في بستان جثسيماني، وسيهربون عندما يُقبض على سيدهم. مع ذلك، فإنّ اللافتة المعلقة فوق الصليب تشهد على مدى الدهور:

^{٦٠} إنّ كلمة "سَكَن" في ترجمة الملك جيمس الجديدة NKJV والترجمة الإنجليزيّة الحديثة ESV هي ترجمة جيدة لكلمة *eskēnōsen*، التي حرفياً تعني "حَيْمٌ". تُعتبر الإشارة في هذا السياق إشارة إلى تحقيق رمزيّة خيمة الاجتماع. كانت سحابة المجد فوق خيمة الاجتماع ترمز إلى حضور الله في خيمة مسكنه.

يسوع الناصري، ملك اليهود.

الإيمان بالسمع

عندما قام يسوع من الموت، أظهر نفسه لتلاميذه. رآوه وعرفوه. لم يظهر فقط يسوع لتوما بل عرض نفسه أمام فحص توما. سمح لتوما أن يلمس جرحه، فصَدَّق. لم يلمس توما جروح قدمي يسوع. بل سقط عند قدميه، صارخًا: "رَبِّي وَإِلَهِي! فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا»" (يوحنا ٢٠: ٢٩).

نحن لم نر، لكننا سَمِعْنَا كلمات ربنا. بالنسبة إلى توما، كان الإيمان بالرؤية. أمَّا بالنسبة إلينا، فالإيمان بالسمع. عندما صعد يسوع، لم يترك صورة أو لوحة شخصيَّة له. ولم يبقَ على الأرض مجد يسوع الذي رآه التلاميذ الثلاثة على الجبل قبل موته. إن المجد المنظور ليسوع مُعلن الآن عن يمين الأب. رآه استفانوس هناك، رأى الرب الذي شهد له استفانوس. كانت الكلمات التي سمعها التلاميذ وأعلنوها هي ما بقي بعدما صعد يسوع للمجد. لقد سمعوه، وهو أتى إليهم بقوة الروح القدس ليذكّرهم بكل ما قاله لهم، وليقوِّمهم ليعلنوا للأُمم بشارَةَ الخلاص. لم يتركهم يسوع. يُسجِّل سفر أعمال الرسل ما كان يسوع يفعلُه ويُعلِّمه بواسطة الروح القدس في الأيام التي تلت صعوده. أتى روحه القدوس بقوة، ونمَّت كلمة الله وتضاعفت.

عندما كتب بطرس للذين في آسيا الصغرى الذين صاروا، بصفتهم مسيحيين، غرباء في موطنهم، تحدَّث بطرس بإعلان يسوع المسيح. كانوا يتطلَّعون لأن يروا يسوع، حتَّى أن بطرس تَطَلَّعَ لأن يراه ثانية: "الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ. ذَلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَرَوْنَهُ الْآنَ لَكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لَا يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ" (١ بطرس ١: ٨). لقد رأى بطرس يسوع وأحبَّه. أمَّا هؤلاء الأُمم فلم يروه أبدًا من قبل، ولكنهم أيضًا أحبُّوه. كيف يُمكن حدوث ذلك؟ يُقدِّم بولس الإجابة. ففي وَسَطِ توبيخه لأهل غلاطيَّة، كتب لهم قائلاً: "أَنْتُمْ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوبًا!... أَبْأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمْ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الْإِيمَانِ؟" (غلاطيَّة ٣: ١، ٢)

كان وعظ بولس واضحًا. لقد كَرَزَ بالمسيح، وإيَّاه مصلوبًا. لكنَّ قوَّة وعظه كانت هي قوَّة الكلمة، قوَّة الروح القدس. لقد سُمِعَتِ الكلمة، وأتى الإيمان بالسمع. إن الصورة التي رسمها بولس للغلاطيين لم تكن وصفًا يجعل من السهل التعرُّف على يسوع بين الناس. بل كانت صورة الإنجيل بخصوص ما قيل وصُنِعَ في الجلجثة. يجب أن نسمع له هناك، مثلما على جبل التجلي.

وفي عالم الواقع الافتراضي، فإنَّ كلمة الرب هي التي تجلب الواقعيَّة. هذا هو "التحقُّق من الواقع" الذي يُبَدِّد الوهم بقوة شمس الحقيقة. في حياتنا وخدماتنا، يجب أن نسمع له، يسوع المسيح، الكلمة الحيَّة.

اسمع ربّ الكلمة

إنّ الذي قال على لسان موسى، "اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (تثنية ٦: ٤)، هو الذي يقول لموسى وإيليا والرسل، "له اسمعوا"^{٦١} منذ خلق العالم، "هَلْ سَمِعَ شَعْبٌ صَوْتِ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ مِنْ وَسْطِ النَّارِ كَمَا سَمِعْتَ أَنْتَ، وَعَاشِ؟" (تثنية ٤: ٣٣). لكن نُطِقَ الآن بكلمة القوة العظمى والنهائية، لأنّ صوت الآب يقول: "هذا هو ابني الحبيب؛ له اسمعوا!" لقد جاء الربُّ. إن الكلمة هو نفسه الإله الحيّ الذي يتكلّم. اسمعوا له، لله الابن، الذي به كان كلُّ شيء! هو مَنْ يقول "ليكن نور". إن النور الذي سطع من وجهه على جبل حرمون كان نورًا خلقتَه كلمته. ونوره هو النور غير المخلوق الذي يسطع في ظلمتنا.

استمع له وهو يتحدّث بكلماته بقوة. كان يقف في قارب صيدٍ يغرق في العاصفة. وسَمِعَ التلاميذ أمره وهو يقول: "اسْكُتْ! اِبْكَمْ!" أرعبهم صمّتُ الريح والبحر أكثر ممّا فعلت العاصفة. "مَنْ هُوَ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضًا وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!" (مرقس ٤: ٤١). وربُّ الخليقة هو ربُّ التاريخ (مزمور ١٤٨: ٧-١٢؛ ١٤٧: ١٥، ١٦؛ ٤٦: ٦؛ ٣٣: ٦، ١٠، ١١). ضربت كلمته هيرودس المُجَدِّف وحكمت قوَّات الأرض والسماء.

سَمِعَهُ الأَصْمُ وهو يقول، "إِفْتَأ. أَيِ انْفَتِحْ" (مرقس ٧: ٣٤). وسَمِعَهُ الموتى وهو يقول، "يَا صَبِيَّةُ، قُومِي" (لوقا ٨: ٤٥). إن الذي يقدر أن يقول: "عِازِرُ، هَلَمْ خَارِجًا!" (يوحنا ١١: ٤٣)، يقدر أيضًا أن يقول: "يَا زَكَا، أَسْرِعْ وَأَنْزِلْ، لِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ" (لوقا ١٩: ٥). إنه يدعو البشر؛ كلامه روح وحياء. يخرق كلامه القلب مثل السيف؛ إن كلامه يُنمّم أوامرهم. بالنسبة لخطيئ عاجز، يقول أولاً: "أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ." ثم، "لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ فِرَاشَكَ وَادْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!". (لوقا ٥: ٢٠، ٢٤)

لذلك فإنّ كلمة القوَّة التي قالها يسوع هي أيضًا كلمة وعد. اسمعوا له وهو يدعو الخطاة، "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (متى ١١: ٢٨). "لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ." (لوقا ١٩: ١٠)

تحدّث يسوع، ربّ الكلمة، عن أعماله المُخَلِّصَة. دائمًا ما يكون تاريخ فدائه مصحوبًا بإعلانه. يُعلن الربُّ عما سيفعل، وما يفعل حاليًا، وماذا قد فعل. اسمعوا له، إنه الراعي الصالح! قال: "وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ" (يوحنا ١٠: ١٠). اسمعوا له، لأنّه يتكلّم بكلمات التصريح والإعلان. في مجمع الناصرة، قرأ من مخطوطة سفر إشعياء في اليوبيل المسيانيّ وقال: "إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ" (لوقا ٤: ٢١). لقد أتى ليطلق المأسورين، ويُعلن سنة الربِّ المقبولة.

^{٦١} بخصوص أهمّيّة "الشماع"، ٣٢٦ff. see Schuringa, "Hearing the Word in a Visual Age,"

جمع تلاميذه وعلمهم كلمات وصاياه: "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متى ٥: ٤٤، ٤٥). وللشاب الغني الذي ظنَّ أنه قد فعل كلَّ الوصايا، قال يسوع: "تَعَالِ اتَّبِعْنِي حَامِلًا الصَّلِيبَ". (مرقس ١٠: ٢١)

لا يتكلم الربُّ بقوة فقط إلى الأمواج، وفي دينونة وتحذير للفرّيسيّين، وبطرق أخرى عدّة لتلاميذه. يتحدّث أيضًا مع أبيه في الصلاة. "أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ" (متى ١١: ٢٥). تَرْتَمِ يسوع بتسبيحات أبيه في وسط الجماعة. طلب من أجل بطرس لكيلا يَفْنَى إيمانه. اسمعوه وهو يُصَلِّي قبل موته قائلاً: "وَأَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِيْنَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي" (يوحنا ١٧: ٢٠، ٢١). اسمعوه أيضًا وهو يصرخ في ألمٍ على الصليب قائلاً: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" اسمعوه!

اسمعوا له، لأنَّ الربَّ ينطق باسمه الذاتي. إنه يتكلم بكلمات حضوره. يمشي على الماء في وَسْطِ العاصفة، ويقول للتلاميذ المرتعبين في قاربهم المُتَعَثِّر: "أنا هو، لا تخافوا!" وأنت، كتلميذٍ له، هل تسمعه؟ إنَّه هو الذي يقول: "وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ" (خروج ١٩: ٤). ويقول: "قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن". لقد أعلن اسمه العهديّ لموسى من العليقة المُشْتَعَلَة، وهو يقول لك: "لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ". (يوحنا ١٤: ١٨)

هل ستعظ بكلمة الربِّ؟ هل سمعتها من قبل؟ هل تسمعها الآن؟ كيف يمكنني أن أعلن لك القليل عن هذا الكنز؟ إذا سمعت كلمة واحدة من يسوع اليوم في الروح، فسوف تتغيّر حياتك. مع ذلك، لا ينبغي أن تتوقّف عند كلمة واحدة. يجب أن تسمع وتطيع إلى صوت المخلص يومًا بعد يومٍ. وكونك متخصّصًا في الكلمة لا يعني أنّك متخصّص في الوصايا فقط أو الوعود فقط أو الإعلانات فقط. عِظْ بكلمة الربِّ التي اكتشفتها من جديد، أو اكتشفتها لأول مرّة. احضِرْ من كنزك جُددًا وعتقاء. اشرب من ينبوع، كل من الوليمة، أسقط أمام النار، اقترب إلى الربِّ.

لا تنسَ أبدًا قوّة الوعظ والكراسة بكلمة الربِّ. إن الكلمة التي نَمَتْ وسادت في الكنيسة الرُّسُل كانت كلمة المسيح، كلمة القوّة. إن رسالة الإنجيل هي الكلمة المنطوقة للربِّ الحيّ الذي صعد. أيُّ تحوّلٍ يمكن أن تجلبه كلمة المسيح لخدمتك بالكلمة! هل تشعر بالفزع من أجيال لا تقرأ، وتتنظر فقط إلى الصور؟ هل تؤمن أنّ يسوع المسيح ما زال يتحدّث، ويدعو الرجال والنساء إلى أن يستمعوا له؟ ارتعدوا، يا وعاظ الكلمة، لأنَّه يتكلم من خلالكم، إذا كان بالفعل دعاكم وجعلكم مُنَادِين بِكَلِمَتِهِ. يُرجعنا جون موراي (John Murray)،

بإيجاز ووضوح، إلى كلمات الرسول في رومية ١٠: ١٢-٢١.^{٦٢} إن بولس الذي ربط معًا السلسلة الذهبية للخلاص في رومية ٨، صاغ سلسلة تطبيق الإنجيل في رومية ١٠. لا يتحدث بولس هنا عن المدعوين من الرب ولكن عن الذين سيدعون باسم الرب. من هم هؤلاء؟ إنهم الذين يؤمنون. فكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟ وكيف يكرزون إن لم يُرسلوا؟^{٦٣}

يأتي الإيمان من خلال السمع، لا بالمعنى العام، بل بسمع يسوع المسيح وهو يتحدث. إن يسوع نفسه هو الابن الذي أرسله الأب، وهو "يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ اللَّهِ. لِأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللَّهُ الرُّوحَ" (يوحنا ٣: ٣٤). كان يشهد بما رآه وسمعه في السماء (يوحنا ٣: ٣١، ٣٢). إن الكلام الذي يتكلم به هو روح حياة (يوحنا ٦: ٦٣، ٦٨). لا يفترض بولس أن كل مؤمن سمع يسوع يتحدث بنفس الطريقة التي تحدث بها إلى بولس على طريق دمشق. كان سمع بولس جزءًا من رؤيته للرب المقام. لقد أرسله الله بصفته إناءً مختارًا ليحمل اسمه أمام أمم، وملوك، وأمام بني إسرائيل. يستطيع بولس بصفته رسولاً أن يتحدث عن رسالة إنجيله باعتبارها ذروة إعلان أسرار الله التي مكنته من أن يعلن كلمة المسيح للأمم وكذلك لشعب إسرائيل (أفسس ٣: ٢-١٢). وبصفته سفيراً لله، تكلم بولس نيابةً عن الله، لأن الله كان يتكلم بواسطته (٢ كورنثوس ٥: ٢٠).^{٦٤} لم تأت رسالة الإنجيل التي كرز بها بولس من الناس، ولا مأخوذة أو مشروحة منهم، بل مأخوذة بإعلان من يسوع المسيح (غلاطية ١: ١١، ١٢).^{٦٥} نحن لا نسمع ربنا فقط في أقوال يسوع، بل في كل إعلان الرب، أي الكلمة.

مع ذلك، لم تُعطَ كلمات المسيح لِكْتَبَةِ الوحي وحدهم. يُعتبر الوعظ الآخريين وكلاء أيضاً لكلمته المُعطاة بواسطة الرسل والأنبياء. إنك تُعلن كلمة الرب مثلما قالها الرب، وأكدها الذين سمعوه. يجب أن نُميّز بين إعلان الرب الذي بواسطته وُضِعَ الرُّسُلُ أساس الكنيسة، واستنارة الذين بنوا على أساس الرُّسُل. لم يقل يسوع للرسل فقط، بل للسبعين أيضاً: "الَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي، وَالَّذِي يُرْدُنِي يُرْدُنِي، وَالَّذِي يُرْدُنِي يُرْدُنِي" (لوقا ١٠: ١٦؛ يوحنا ١٣: ٢٠).

^{٦٢} John Murray, *The Epistle to the Romans*, vol. ٢ (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, ١٩٦٥), ٦٠ ff.

^{٦٣} انظر دفاع شورينجا لترجمة "اسمعوا له" مقابل "اسمعوا عنه" في رومية ١٠: ١٤ ("Hearing the Word in a Visual Age," ٥٣ ff.).

^{٦٤} Schuringa cites F. W. Grosheide, who says that the *hos* clause ("as though God were entreating by us" [ASV]) is not to be understood as meaning "as if" in the sense of "it appears so, but it is not so," but, rather, "as if" in the sense of "it appears as if we are doing it, but God is doing it." Thayer and G. Abbott-Smith list this verse and ٢ Peter ١:٣ under *hos* with the genitive absolute as expressing the belief of the writer (or as someone's erroneous opinion). See J. H. Thayer, *Greek-English Lexicon of the New Testament*, ٤th ed. (Edinburgh: T & T Clark, ١٩٠١), ٦٨١, col. ١; G. Abbott-Smith, *A Manual Greek Lexicon of the New Testament* (Edinburgh: T & T Clark, ١٩٣٧), ٤٩٠-٤٩١.

^{٦٥} Peter R. Jones, *La deuxième épître de Paul aux Corinthiens* (Vaux sur Seine, France: Édifac, ١٩٩٢), ١١٥.

ما زالت كلمة الربّ تنمو وتتضاعف. إن النصّ الكتابيّ المكتوب يحملها، مثلما حدث مع الكتاب المقدّس الذي وجده أحد أحفاد متمرّدي سفينة باونتي (Bounty) في صندوق بحار على جزيرتهم المجهولة. لقد نشرها المسيحيّون المضطهدون، بينما كان يطردون من أورشليم في أيّام الرّسل. يمكن لكلمة الربّ أن تُسمع في مجموعات صغيرة أو في مسيرات حاشدة تُنظّمها المنظّمات الكنسيّة، ولكنّ العهد الجديد ولا سيّما الرسائل الرعويّة يُدكّرنا بأنّ اجتماع شعب الله للعبادة يبقى هو المكان الخاصّ لسماح كلمة الربّ (١) تيموثاوس ٥: ١٧؛ ٤: ١١، ١٦؛ ٦: ٣؛ ٢ تيموثاوس ٢: ١٤، ١٥؛ ٤: ٢؛ تيطس ٣: ١).^{٦٦} يجب أن تُعلن الكلمة في الحياة اليومية والعمل، ولكن يجب أيضًا أن تُسمع وباستمرار في عبادة شعب الله. ويجب أن تُسمع من شفاه الشخص الذي دُعي وأُرسل. نعم، يُعد وعظ الشخص المدعوّ لهذه المهمّة هو الوعظ الذي تُسمع فيه كلمة الربّ. فمن خلال شفاهك، يتحدّث يسوع المسيح. فمثلما يُعلن إقرار الإيمان البلجيكيّ (Belgic confession)، يُعد الوعظ بكلمة الله هو كلمة الله.

إذا كنت مدعوًّا لمثل هذه المهمّة، فما هي كلمات الأب لك:

"هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا!"

^{٦٦} انظر شورينجا، "سماح الكلمة في عصرٍ بصريّ"، صفحة ٥١.